عبد الله محمد صالح باشراحيل

# شذرات

## نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع



عبدالله محمد صالح باشراحيل

# شذرات

## نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع



اسم الكتاب:

# شذرات

## نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع


اسم المؤلف:

**عبد الله محمد صالح باشراحيل**



الطبعة الأولى

1438 هـ 2017 م





مطبوعات ومنشورات منتدى

الشيخ محمد صالح باشراحيل (يرحمه الله)

الثقافي بمكة المكرمة

دار المؤلف
Dar Al-Moualef

Tel.: +961 1 823720
Fax: +961 1 825815
info@daralmoualef.com

Design and printed by : Printing Group - Beirut, Lebanon
info@printinggroup.com

# إهـــداء

إلـــى أمتي العربية والإسلامية ...




نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع

# كتاب الزمان

اضحك في وجه الزمان ضحكة الساخر من البهتان، وأطلق العنان لخيول ضميرك أن تجوب مدائن الأرض، لتجد فيها من كل عذاب وهوان ومشقة وظلم وبأس وآلام وأشجان وأشكال وألوان، تُعزيك عن بلواك، وتغنيك عن شكواك، وتتغلَّب بالسلوان على دنياك.

حاذر النقمة والانتقام من الزمان وأهله، لأنَّه كفر بالرضى، وخسارة مضاعفة. فإذا ضاعت الدنيا فلا تُضيِّع الآخرة منك، فأنت لا تدري خيرك في أي الدارين، وحين يتملكك اليأس والضجر، تذكَّرِ العافيةَ فليس يعْدِلها شيء غلا. فبالصحة رأيت المغْني عن السؤال وأنت الغني بالعمل والنّوال. وإذا احتكمت إلى الحكمة ترى أنك وأغنى الأغنياء سواء. لا يزيد على أكلك إذا أكلَ، ولا شربِك إذا شربَ، ولا لبسِكَ إذا لبس، إلا بقدر الوهم. والأموال ما هي إلا أرقام مودعة في البنوك، منها الحرام الذي يجلب الشقاء والعذاب في الدنيا، وهو مجلبة للهلاك في الآخرة، اعملْ ولا تكلَّ ولا تملَّ ولا تكسل. وارضَ بما قسم الله لك تعشْ هانئ النفس، مرتاح البال والضمير. ولا تعدُ عينك إلى نصيب الآخرين، فأنت لا تعلم أيعيشون سعودًا أم نحوسًا. فلا تخدعك المظاهر عن الدخائل، فربما أنت في حال تحسد عليها من الغير، وتكفيك سلامة نفسك وسلامة أبنائك وسلامة دينك من الذنوب والآثام.

لا تنشغل بالذات إلا في الطاعة والعمل، ولا تنسَ أن تكتب اسمك في كتاب الزمان، بما يترك لك حسنَ الذكر وفخرَ الأبناء والنبل، وارسم على

خارطة الحياة صورة مجدك بما يُبدعه فكرك، وكن رقمًا، ولا تكن صفرًا، وكأنك دخلت وخرجت فلم تُحدث أثرًا يشهد لك به الزمان.

مُدَّ يدك بالخير والكرم، ولا تضنَّ بها عن عسر المعسور، وابذل للضعيف والفقير والمسكين، فإن سعادتك تكمن في إقالة عثراتهم. وضعِ البسمة على شفاه الحيارى والمحزونين تعشْ مبتسمًا ما حييت، وتعالَ معي نسأل الحياة عن مقصدها وشؤونها، وكيف أنها تُبدّل المحبين، وكيف تُغيّر النفوس. عندما سألتها أجابتني: لقد أحسنت الظنَّ بي أيّها الطيب الغرير البريء، ولم تكن تعلم أنني أُقلّب القلوب، وأجلب الذنوب، وأنكب الدروب. فإذا خاب ظنّك بي اليوم فإن طبعي أن أخيِّب ظنَّ الطالب والمطلوب، فحين أبتسم لك يجب أن تحذر، وعندما أُعطي فاعلم أنني أسترد ما أعطيت، فلا وفاء لي ولا حبَّ عندي، ولا شفقة لديّ. ذنبك أنك لم تعرفني، فوقعت بحسن ظنك في سوء فعلي. وليس لك أن تأمَنّي، فأنا الحياة، لا أمان لي ولا عهد عندي، فاشرب من كؤوسي كأسًا دهاقًا، ومُرًّا وألمًا. وما تتعلل بالصبر وإلا حملتك على نعوشي إلى أعماق الرّمس هكذا أظنك عرفتني فتَعَزَّ بالوحدة، واستأنس بالخلوة إلى نفسك، وازهد في الناس، وتجلَّد على البأس، ولا تأمل بالنذور، فأنا قاطعة السرور، وهادمة الجسور، وقاصمة الظهور. وابتعد عني تأمن شري، فإن اقتربت مني أذقتك ويلات الأمور والهول والثُّبور. فلا تصدق أنني أرضى الصَّديق للصديق، ولا الرفيق للرفيق، فما تراه اليوم هو حقيقتي التي غفلت عنها، فأنا الشقوة، والنزوة، والقسوة، فإن اتبعت هواي أكنْ لك الخادمة، وإن اعتنقت ضلالاتي أحفَّك بالنُّعمى، وإن سعيت بسَوأتي رفعتك كالنجمة. ولكن في كل الأحوال أسقطكَ عند شعورك باللذة، وأخيِّبك بالحسرة، ثم أوديك قبرًا مظلمًا موحشًا. فاحذر مني تأمنْ فتنتي ونقمتي، وتفزْ بحسن العاقبة.

❊ ❊ ❊

# الأصالة

الكتابات بالنثر المبدع أو النثر المصوِّر أو النثر الخارق. يذهب الدكتور البازعي ويبحر أعمق حين قرَّر قراراً لا أدري من أي مصدر استقاه، حيث قال (إن الشعر ليس مرتبطًا بالوزن)، وهذه ثالثة الأثافي التي وقع فيها أو أوقع نفسه فيها من دون مرجعية. فهو في البداية يُنكر الشكل، والآن ينكر الوزن. إذًا فأين الشعر يا دكتورنا العزيز، وقد أسقطت كل شروط الشعر، وهدمت أركانه لتسويغ ما يسمى بقصيدة النثر. لا يا دكتور، إنني أُعيذك أن تكون من الجاهلين، فنحن مسئولون أمام الله وأمام أمتنا وأمام نعمة العقل التي وهبنا الله، لأن الأجيال المتعاقبة هي أمانةٌ في أعناق العارفين. وثمة حقائق لو أغفلناها لأودت بالتالي إلى الضَّلال عن الحق، رغم أنني أشك بأنّ هذا المثال هو ما يؤمن به الدكتور سعد البازعي. ثم نستعرض رأي الأستاذ الدكتور/ عبدالله المعطاني، الشاعر الملهم والناقد الحصيف الذي استطاع بكل جدارة أن يضع النقاط على الحروف، وأن يُقدّم لنا رأيًا علميًا جديرًا بالتقدير والاحترام، لا لأنّه وافق رأينا، إنما "الحق يعلو ولا يُعلى عليه"، فالشعر المتعارف عليه، عبر عصوره وأجياله، هو ما عناه القرآن الكريم في "سورة الشعراء"، حيث لم يكن هناك وجود لشعر تفعيلة أو ما يُسمى بقصيدة النثر. وعندما وقف الشعراء أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبرزهم كعب بن زهير، كان الشعر العمودي المعروف هو سلاحهم الأمضى لنصرة الدين. وعندما قال الرسول ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه "اهجهم وروح القدس معك" كان هو الشعر العربي الفصيح. فكيف بجرة قلم، ونزول للأهواء والأغراض

نمسخ تراث أمّة، نحن ننتمي إليها ونحمل هويتها، لنذوب في هويَّة أُخرى، بغية أن يقال عنَّا إننا تقدميون ومستقبليون. ولماذا ندافع بهذا التفاني عن أفكار مستوردة لم نكن نحن من صنعها؟ ثم لماذا أخذنا الحداثة وطبقناها على الشعر فقط، فيما للحداثة جوانبها واتجاهاتها العلمية والنظرية. فهي منظومة متكاملة "يا ليت قومي يعلمون" بما يحاك لنا وما هم قادمون عليه. لذلك فأنا متفق مع رأي الدكتور عبدالله المعطاني ورأي الأستاذ فواز اللعبون جملة وتفصيلًا، وأقول لهما آن الأوان كي نرفع الحجب عن أعين أجيالنا لترى ما يحاك لنا ولهم في الخفاء، لتهديم أركان قيمنا وآثارنا وموروثاتنا العربية. ويجب أن نكشف القناع عمن يتسنّمون وسائل الإعلام المرئي والمقروء والمسموع، الذين يروجون للهزيل من الشعر، للإيحاء بأن الشعر العمودي المعروف مستهلك وقديم ورجعي، ولا يُعبّر عن آمال الشعب والعصر. وهم يخادعون الله وما يخادعون إلّا أنفسهم. وعليهم يقع العار الكبير حين يتنصلون من لغتهم وتراثهم، ويعبرون عن عجزهم، ويحاولون الالتصاق بتراث الغرب الذي لا يشبهنا في شيء. وإذا عرفنا حقيقة الشعر فنحن الذين نمثل الحداثة العصرية، لأنَّ لنا قضيَّة، والشعر قضيّة وأحداث وانفعالات، تُصاغ بعناية لتعبر عن واقعنا وأحلامنا في آن.

أمّا رأي الأستاذ محمد خضر الذي وضع إصبعه على الجرح، وعلى المشكلة التي تُفرغ قصيدة النثر من معناها ومضمونها، حين يقول: "ربما بقيت مشكلتها الوحيدة في شيوعها بكثرة خلال عقد مضى، وفي كثير من حالات الاستسهال اللاواعية". وعلينا أن نحيل القارئ أيضًا على واحد من أكبر نقاد الحداثة، هو الدكتور محيي الدين اللاذقاني، الذي وصف شعراء قصيدة النثر بشعراء السردين، في مقاله المنشور بجريدة الشرق الأوسط، فهو يقول: "جميعهم يكتبون نصًا واحدًا، بحيث لا تستطيع أن تفرق أو تميز بين

نص وآخر". كما أن معجمهم اللغوي لا يخرج عن الحبيبة والرفيقة والكأس والنبيذ، كالذي يقول "حبيبتي جدار الإسمنت"، و"الريشة التي أغرقت البحر"، وغيرهما من الهلوسات.

* * *

# العداوات

لقد تغيَّرت حال الزمان ولم يتغيَّر الزَّمان. وتغيَّرت أخلاقيات النّاس حتى أصبح غير المألوف هو المألوف. واعتبرت الطِّيبة ضعفًا، وغباءً يستغلُّهما من تآلف مع الغدر فكان قرينه، وتواصى بالكذب فأضحى معينه. من غلبته الشَّقوة وجافته الفطنة، وعَدِمَتْهُ الحكمة. من إذا صحا على سطوة الحياة وضنك العيش وقلة ذات اليد، اعتملت في أعماق نفسه الغيرة مع الحيلة، والتَّعبير عن الرَّفض بالخروج على النظام، في رسالة شطرها الأعلى الاستنكار والاستهجان، والأدنى إنشاء الحقِّ من الباطل، ليكون حقيقة مضادة لحقائق الواقع والوقائع المنشأة بلغة الأمر والطَّاعة. هذه حالات افتراضيَّة داخلة في أحاسيس وظنون البشر، وتفاعل الذَّات مع الحاجة، وصولًا إلى درجة الحياة أو العدم. تلك فرضيِّة الشُّعور بالآدمية في أطوارها المتعدِّدة والمتنوعة في السلوك والسبل والوسائل، حين يكون واقع النَّفس مأزومًا أو معسورًا أو مقسورًا، ليس في مقدوره الاقتدار، ولا في وسعه الاحتيال على موانع الرَّجاء. آنذاك تشتعل شعلة الغيظ والحقد في مواجهة الترف والنِّعمة ويتعاظم الألم من واقع لم يساوِ بين الإنسان وأخيه الإنسان، في الحقوق والواجبات الملحة في أبسط معانيها، والاستشعار بالغنى والفقر. فكيف تأمَلُ من نَفس يبتذلها الزَّمان ولا يبذل لها؟ وكيف لا تعتمل القلوب بالمواجد، ولا يتعامل العقل بالضَّغائن، ولا تستشيط الدوافع الخاضعة لتبريرات الحاجة الملحة؟

إن شعوراً كهذا هو مدعاة إلى اختراق أجسام الأشياء لاستنقاذ الحياة من الهلاك، ومن مذلَّة السؤال لمن تتجشَّمه الآمال لركوب الصعاب، حين يفتقد البصيرة بافتقاده لمقومات النفس أو الأسرة أو الأقارب. هنا تتوافق المصائر فتتَّحد الآلام ضد الجمال والهناءة والأمن والاطمئنان، ويكون النظر إلى المصير أهم لدى المجموع من النَّظر إلى الذَّات، أو الذّوات المستكثرة المستزيدة والمستفيدة، في إطار يسمح بتنويع مصادر الأفكار واستنفار المتلقين، بل واستحضار إمكانياتهم العقلية والعلمية، والعملية، ليكون الثواب بقدر العمل. إن ما يؤدي بالانفعال النفسي إلى الاعتدال هو تقلص الفوارق بين التَّرف واليسر، وبين الغنى وستر الحال، حينئذ تذوب الحساسيات والانفعالات في نبع غير خَلِقٍ ولا آسن يشرب منه الجميع، ويطعم من غراس روضه البهيج ثمراً مختلف المذاقات، يُشيع الرَّاحة في الروح. ويبعث على الائتلاف لا الاختلاف، وعلى القناعة لا الطمع والجشع، والإفادة والاستفادة بشكل مستمر ومتكافئ ومتساوٍ في التَّقدير والتحصيل، ما يُفسر معنى الإيثار الذي تبلغ النفس من خلاله أرفع أحوالها الإنسانية. وحين يغيب الإيثار، يولد الاستئثار الذي يكون الشعلة في إذكاء نار الحقد والبغض والحسد في الضِّد، ويذكي حركة الوجود الفطري للتفاعل المولِّد للانعكاسات الأخلاقية سلبًا وإيجابًا.

لذلك لن تقاسي الأرض ظلمًا وجورًا وفتكًا وإرهابًا وقتلًا، أكثر مما قاسته في هذا العصر الدَّموي، المتنامي مع الدوافع الغريزية للبشر الذين أعمى قلوبهم الجشع والاستئثار واعتناق مبدأ القوة.

وما دامت هذه هي حال الزّمان وأهله على مرِّ العصور، سيظل الآدميون عرضةً لتعاقب الحب والبغض والكره والسلام والخصام والجحود والنُّكران والكذب والزَّيف والخديعة والخيانة والظُّلم بكافة صوره وأشكاله.

وما دامت الأخلاق أُسست على المصالح المتبادلة في الأخذ والعطاء، فكيف يفسِّرُ الإنسان ذلك التَّضارب الواقع بين لحظات الكره المتعدِّدة والمتجددة، ولحظات الحب المتعدِّدة والمتجدِّدة أيضًا؟ ففي لحظة من الزمن تدعي حبك لفلان، وبعد وقت تكرهه أشد الكره فلا دوام للحب ولا للكره، بل هو حدث قديم جديد قائم على المصالح والفوائد المحققة لاستمرارية الوجود، أو الاختلاف في الرؤى. لكنَّ اللافت والمحيِّرَ والموجع والمؤثر والمضحك في الوقت نفسه، أننا نعيش كما لو كنا في سوق شعبي. هذا يبيع وهذا يشتري، وذاك يبني وآخر يهدم، وهناك مآتم وأحزان. وهيهات أن تدوم الحال لي أو لك على الزّمان. إذن لماذا هذه العداوات بين الإنسان وأخيه الإنسان؟ وكيف يستطيع الإنسان كبح جذوة بغضه للشعور بالراحة ولو بشكل مؤقت؟ وما هي الراحة إذا لم تكن تفريغ شحنات الانفعالات النَّفسيَّة لتتوازن النَّفس مع مكتسبات التجربة الأخلاقية، وتكون الراحة في الإيثار أو التَّيسير. ولعلّ أفضل أشكال الراحة يتمثل في إخلاء الرأس من الوسوسة والأفكار السوداء.

* * *

# المسؤولية الشرعية

لم يكن الإسلام في يوم من الأيام (إيديولوجيا) أو (نظرية) أو (فكرة) أو أُطروحة) أو (شكلًا) نتزيًّا به. إنما الإسلام هو دين وعقيدة وكتاب لا يأتيه الباطل، وهو وحي يوحى، نزل على قلب ولسان سيد ولد آدم محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه.

الإسلام دين السلام والاستسلام لله بالطاعة والخلوص من الشرك. لا يقبل العداء ولا التَّعدِّي، ولا يقبل الظلم ولا التَّجني، ولا يدعو إلَّا للتي هي أقوم. وهو في مجمله نظام أخلاقي لتقويم النفس إلى جمال الحياة وخير الإنسان. وهو ملاذ من السقوط في مهاوي الرذيلة والانحلال والضلالة والضَّياع. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ ﴾ [سورة الشورى، آية ١٣]، ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [سورة النساء ١٦٣].

فمنذ أن خلق الله الأرض ومن عليها أوجد الله الإسلام على هذه الأرض، حتى جاء أبو الأنبياء النبي إبراهيم عليه السلام، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران، ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران، ٨٥].

وحين أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق النبي الأمين محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين، قال عزَّ من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[سورة الأحزاب، ٤٥]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ

أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء،١٠٧]. نخلص من ذلك إلى أن الإسلام هو الحق من عند الله. والحقُّ يدعو إلى الصدق، ويدعو إلى البر، والبر يدعو إلى العدل، والعدل يُفضي إلى الرضى، والرضى يؤدي إلى القناعة، والقناعة تنهج إلى الامتثال، والامتثال طاعة الله فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

فأين نحن من العصور التي قال عنها الله سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [سورة الأحزاب، ٢٣]. أين نحن من التقوى ومن خشية الله؟ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [سورة فاطر، ٢٨]. وقال رسول الله: "العلماء ورثة الأنبياء".

يا لها من منزلة عظيمة أنزل الله فيها العلماء. ولكن من هم هؤلاء الذين أشار إليهم الله إلى أنَّهم الذين ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، ٦]؟ إنهم من زهدوا في نعيم الدنيا، ونظروا إلى النعيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، ٨٣].

أين علماء الخلف من السلف الصالح الذين نذروا أنفسهم لطاعته ورغبوا عن معصيته، وعرفوا أن الدنيا ما هي إلَّا رحلة مسافر، زادُها البر والتقوى وخيرها العدل!

ويل لهذا العصر من أهله وأبنائه. وقد جاء في محكم التنزيل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [سورة العصر، ١ و ٢]. فما بالنا ونحن نعيش عصرًا مملوءًا بالموبقات والأحقاد والكراهية والزور والباطل، عصرًا يغلب عليه الإغراء ويضله الإغواء، إلّا من رحم ربك.

إنه عصر العسف القائم على قهر الضعفاء، وعلى ظلم الأقوياء، وعلى صبر العقلاء. عصر ينوء بالغفلة، ويضيق بالحق والصدق.

كم يوجعني ويؤلمني من ولِّي أمرًا من أمور المسلمين فيدفعه الهوى إلى انتهاك حقوق النَّاس بالباطل، لشيء في نفسه، وحقدٍ يعتمر نياط قلبه على صاحب حقٍّ، لأنه يكرهه فقط، ويهضم حقه، ويضر به اشدَّ الضرر. وهو لا يعلم أنَّ له نفسًا مثل الناس وأنَّ ما ألحقه بالناس سوف يجرع منه إن عاجلًا أو آجلًا. وإن هو نسي فإن الله لا ينسى. وإن مات فالعقاب شديد. ربما يقول ظالم إن الله سيغفر الذنوب جميعًا. لا والله إلَّا حق العباد وظلمهم وقهرهم وانتهاك حرماتهم وإذلال كرامتهم.

يحزنني بعض القضاة في أحكامهم من دون تبصر وبصيرة، لأنهم يحتمون بحصانة قاتلة للمظلومين، فمن أراد أن يشكو قاضيًا لظلمه فربما يتعرض للسجن وإهدار كرامته، لأن القاضي في نظر المسئول منزَّهٌ عن الخطايا. فكيف ونحن نعلم أن القاضي هو إنسان كأي إنسان، يغضب ويحقد ويُغرى ويخطئ إلَّا من رحم ربك. فالقضاء روح الوطن، وإذا صلح القضاء صلح الوطن والأمة، وقضيت الحقوق وانتصف البعض من البعض وقلّت المشاكل. فالعدل كما قيل أساس الملك. وفي الحديث: "قاضٍ في الجنة وقاضيان في النَّار"، فهلَّا خشي البعض النار التي وقودها الناس والحجارة. ولا ينفع من يختلق الأعذار لنفسه بأن الله غفور رحيم ما دام يصلي ويصوم. لا والله إن الظلم ظلمات يوم القيامة، كما جاء في الأثر. لا والله إن يد المظلوم ترتفع إلى أعنان السماء، فيمهل الله الظالم ويأخذه أخذ عزيز مقتدر. لا والله فالله لن يبارك للظالم في نفسه وماله وولده، إن لم ينزه قلبه وعقله عن الهوى، وإن لم يتَّقِ الله. وإن لم يعلم أن توليته القضاء إنَّما هو قد ولِّي أمرًا عظيمًا، فهو بين أمرين، الثواب أو العقاب، والجنة أو النَّار. ولا تفيد الأعذار في حقوق البشر،

وأنا أقترح أن لا يتسلم القضاء إلا من كان عمره يزيد على أربعين عامًا، وأن يفتح مجلس القضاء الأعلى وديوان المظالم معاهد علمية تدريبية تؤهل القضاة. ولأن سن الثلاثين عرضة للميول مع غمرات الشباب، فلا يجب أن يُسلّم القضاء إلا لمن أوتي حظًا من العلم والخبرة، والزُّهد في نعيم هذه الحياة الفانية. إنَّ الكثيرين يشتكون ويحجمون عن رفع الصوت أو مناشدة أولي الأمر بأن ينظروا إلى أمرهم. فهناك مظالم ترتكب في حق النَّاس. فلا يملك المرء منا إلّا الصمت، وكيف نصمت ونحن أُمة محمد ﷺ الذي يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". وكيف نصمت ونحن كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران ١١٠]. وكيف نصمت والجرائر كثر وفي ازدياد، أفلا يعين ولي الأمر هيئة رقابية على القضاء، ويلمس بقلبه وفكره وعينه ما يتعرض له الكثير. إننا بين نارين، فإما أن نصمت على المكاره والعلل، أو نتعرض للعقاب لتجرؤنا على قول الحق. والقضاة هم أناس مثلنا ومن دم ولحم. ورضي الله عن خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: "رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي"، أو عندما قال "أخطأ عمر وأصابت امرأة". إنني أهيب بمعالي وزير العدل ومعالي رئيس مجلس القضاء الأعلى ومعالي رئيس ديوان المظالم، وهم من خيرة رجال الدولة والعاملين على مرضاة الله، وعلى تتبع هموم ومشاكل النَّاس والعاملين بحقوق الله، إضافة إلى علمهم وفضلهم الذي يتطلع إليه الكثير وينهل منه الجميع، أن يضاعفوا الاهتمام بأوضاع الناس، وأن ينشئوا قسمًا خاصًا للتَّظلم من القضاة، وأن يعاقبوا من يسيء إلى الأحكام الشرعية ويعمد إلى قهر الناس المظلومين. وأُهيب برؤساء المحاكم أن يدرسوا الأحكام من خلال هيئة تنشأ في كل محكمة لمراجعة الأحكام، ومن ثم إجازة ما ينطبق على الوقائع والمنطق، وقبلها على العلم الشرعي، قبل رفعها إلى محكمة التمييز.

هي نصيحة أقدمها، وربما تجد آذانًا صاغية من العاملين لمرضاة الله الذين ينظرون إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتّقين. أيها العلماء الفضلاء، إن قضية القضاء يجب أن توضع نصب أعينكم، فإن صلاح القضاء هو صلاح لكل الوطن. وإنني والله لا ارتجي إلَّا صلاح هذه الأمة، والأمة تصلح بصلاح أولياء أمرها وصلاح علمائها، وترتفع وترتقي ويتجمع حولها النَّاس على هدى وبصيرة ليكونوا حصنًا لهذا الدين ضد أعداء الأمة. وإنني أنشد رفعة دين الله وارتقاء المخلصين بالحق، كي لا يصيبنا ما أصاب الأمم من قبلنا من هلاك ودمار. والله إنني أقولها قولة حق أرجو بها وجه الله، وأخاف على هذا الوطن الذي عشت فيه وعاش فيه آبائي، ولي به حقٌّ ورحمٌ وذمة، فغيرتي من غيرة الإسلام الذي يحضنا على قول الحقِّ ولو كان مُرًّا. وإذا لم يجد صوتي صدى فاللَّهم اشهد أنني قد بلغت والعاقبة للمتقين.

*** * ***

# جيل الضياع

قال لي أنتم الأطلال المتهدمة على زوايا أعمارنا. أنتم بقايا آثار العصور البائدة. أنتم القيم المرفوضة في زماننا. أنتم تريدون أن تبعثوا قيمكم وأخلاقكم من جديد. وهيهات أن يكون لكم بعث جديد. وإن جئتم ستكونون قرابين لعصر استن قيمًا استغنينا بها عن قيمكم. أنتم تدعون إلى الصدق والأمانة والحب والإيثار والعطاء والنبل، ونحن اكتسبنا ثقافة الجرأة والمغامرة وحب الذات. نريد أن نكون آية أخرى يتنزل بها كهان الوقت وفساق العصر. نحن نريد المضي إلى اللاشيء، لأنه يعبر عنا وعن ذواتنا وعن عصرنا، وعن الحرية. ارحلوا عنا بقيمكم التي احتبستنا ردحًا من الزمان بين أنواتكم واشتهاءاتكم. دعونا نمارس جمال تفسخنا وانحلالنا، ونترشف نزواتنا ونتلذذ بعوراتنا. أنتم الضالون حين سجنتم أرواحنا في أقبية تعاليمكم، وصغتم لنا موادها لتكون دستور حياتنا. وقد جاء اليوم وقتنا لنعلمكم أن الحرية أن تفعل ما تريد، بلا خوف أو وجل من العواقب. نحن جيل اللامبالاة والمغامرة والضياع. إما أن تكتسبوا قيمنا أو نحتبسكم في عصرنا كما احتبستمونا أول مرة. قلت له: تبًّا لكم ومضيت.

❋ ❋ ❋

# حـُطـَّاب الليل

يجدر بالكبير أن يعف قلمه عن التعليق على من لا يحسن إلا الإساءة لكرامة الحروف والمعاني، في سفسطائية مقيتة أخذتها سفاسف كليمات إلى درجة التصديق، لغرورها، بأن الخنساء ومي زيادة قد تجسدتا من جديد في أرواح الموتى، وهيهات.

كثير من حُطَّاب الليل وأذناب الفكر ومدعي الفضيلة يأرنون كما تأرن الفرس عند رؤية الفحل، ليس بفعل عقل يدفعها بل غريزة ولذة واشتهاء. إن كُثُرًا من الكتَّاب قد حملوا أقلامًا ولم يحملوا أفهامًا تحفل بالإبداع، أو معرفة بلاغة الكلام ومغزاه. كنت أظن أن نظرية تصارع الثقافات قد أثبتت جدواها في التأثير والتأثر الفكري بين خلايا المجتمع للانتماء إلى الحضارة العصرية، خصوصًا حينما رأيت أمريكا تهتم بالعقول وليس بالأجناس والإثنيات والقوميات تلك أمة قد خلت وكانت تنتسب إلى الأصول. وتبدل الأمس باليوم وأصبح الانتماء انتماءً إلى المصالح وعبادة المادة. وما ظننت بأن ديناصورات الهمجية القديمة قد تركت بقايا جينات ما زالت تعمل للعودة إلى الحياة. أظنني ندمت كثيرًا حينما غرست قلمي في عقول جدباء تعيش على أشواك الماضي الذي انتزع بجهله قوة الإسلام التي جاء بها النبي العظيم محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، ومن سار على نهجه من أهل الرشد والعلم والخلق الكريم الذين يبادلون الحسنة بالحسنة ويدفعون بالتي هي أحسن. ولكنها النفوس الضعيفة تعتصم بالقشور لتبث مكنون الضغينة في أسلوب الهمز واللمز وعصبية الانتماء ونرجسية الهمجية.

# المستقبل المخيف

إن مرض البيروقراطية الذي ينشب أظفاره في الأمة العربية، إضافة إلى أمراض التنازع والفساد الإداري والأخلاقي، هي أمراض عضال تستشري في أوصال الأمة، وربما تودي بها إلى الفوضى والهلاك الذي لا يرجى برؤه. وليت هناك من يستشعر بخطورة الحالة القومية، وتحليل التوقعات التي ينذر بها المستقبل المخيف.

* * *

# سوس الهلاك

البعض يظن أن من الحكمة السياسية ضرب الناس ببعض ليخلو للساسة الجو. إنها نظرية في غير مكانها وأظن أن سوس الهلاك ينخر في عظام الوطن. الناس جميعهم يشكون من الفساد. والنصيحة لم تعد تفيد، فالكبير مطمئن والفقير يئن، والفكر الراشد يبدو أنه لا يُسمع ولا يُرى.

* * *

# أنا الدنيا

أضاحكها ألاعبها أعابثها ألاطفها أقبلها وأحضنها،
أهاديها المنى حبًا وأعشقها،
وأفديها بعمري لو أرادت أو أرادت فرحتي مدنا،
فما رضيت،
أشاحت وهي باسمة وقالت:
لست أنت أنا،
أنا الدنيا.

* * *

# من نحن؟

كم من الآهات ننفثها على ضياع الوقت في غربة الطيب والحب والوفاء. وكم كسرة قلب تجرحنا في خيبة أمل. وكم تشتعل وتنطفئ الأشواق. ونحن لا ندري سببًا لذلك ولماذا ومتى ومن؟ أدوات استفهام وأفكار وأقلام وضجيج وعويل وصراخ وابتسام وضحكات وغناء وزهور وأعياد. نحن السر، فمن نحن؟

# "النت" بين السلب والإيجاب

أعترف لكم بأن مساوئ التقنية العصرية تتمثل في الإنترنت، وأن انهيار الأخلاق سيكون سببه هذا "النت"، لأننا بضغطة زر ندخل إلى عوالم من الفساد، ونرى الرذائل بكل أشكالها وألوانها. فكيف سنستطيع أن نحجب هذه المصائب الأخلاقية عن الأطفال والشباب. فكلما فتحت أبواب المحظور على مصاريعها تسوء أخلاق النشء وأخلاق الكبار والصغار، لأن استعمالات "النت" ليست للدواعي العلمية والأدبية والثقافية، إلا لمن أوتي قدراً من الحصانة الفكرية التي تفرق بين السيئ والطيب. أتمنى لو استطعت، وهيهات أن يكون في مقدوري قطع هذه التقنية، برغم أن هناك من يستعملها لأخذ المعلومة أو إعطاء معلومة أخرى.

* * *

# المستطيع الذي لا يستطيع

كالمستطيع الذي لا يستطيع حين يكون الطبع غالبًا على التطبع. افتتان دائم وارتهان لغياهب العمر يترجم آهات القلوب وتمتمة الألسنة التي أعجزها البيان عن التبيين، عندما تدلهم الرؤى، وتعصف الرياح، ويبلغ الطوفان حد الزُّبى. يريد أن يتمرد على انكساراته، يحاول فيحول بينه وبين اشتهاءاته الدين والقيم، فيعود أدراجه لا يلوي على شيء سوى الرضى بالهزيمة، نزولًا عند رغبة الحب والكرم والعطف والرحمة، وكل المثل التي قيل إنها مثار الفخر والاعتزاز والإكبار والارتقاء إلى مصاف النبلاء والقديسين والحكماء. مثاليات ثقيلة الحمل حملها طائعًا مختارًا ليصيب من الضرر أخفَّه. لم يعد يعلم أهي خلائق الفطرة أم مثالبها؟ هو في كهف العزلة يغزل من بقاياه رداء يقيه الحر والقر. يضيء في ظلمات البر والبحر عتمة السواد للسواد ممن اجتلب الشقاء لنفسه، فكأنه يستهوي الشقاء ليسكن بين حناياه، ويقايض الكَبَدَ بالحب والبهجة لمن تنكب طريق السعادة والحق والفضيلة. يستفرغ الأراذل من معينه الثر عذوبة ماء غدق، فتراه الضاحك من سخريات الزمان، حين تتناكر الوجوه وتجحد القلوب. ما أخطأه البذل لمن كان به خصاصة. وليته بريء من طيبته. ليته اختار التعامل بالمثل. ثم تتصارع الثارات بين نفسه ونفسه. تلومه الآلام، وتهيب به المواجع أن يبذل الحب بالبغض، فكان المستطيع الذي لا يستطيع، فهل هو قدر الفطرة التي انطبع عليها؟ وهل هو ظلم النفس عمدًا؟ إذ إنه لم يكن ضعيفًا ولا جبانًا ولا خوّار الهمة والعزيمة والشجاعة. فهو في الحق سيف يردي به الباطل، وكلمة مدوية حين يكون الكلام أقوى من حد

السيف. يسأل نفسه دومًا ما هي الطيبة التي أورثته السماح حتى في القصاص المشروع في ناموس الكون والتكوين الخلقي. كأنه يقتسم النقيضين، العدل والظلم، ويؤثر الإيثار، حتى مع ظلم الخصوم له (تلك إذًا قسمة ضيزى).

* * *

# ينابيع أنثوية

أكاد أجزم أن مستقبل الأدب والفكر لدينا سوف تقوده العقول الأنثوية، فأنا أرى زخات من أمطار فكرية ناضجة. لربما أنتجتها العزلة التي كانت مضروبة على الفتاة، منذ نعومة أظافرها، إلى أن تفجرت ينابيع من العلم والأدب هي لذة للشاربين. إنني ألحظ بين الفينة والأخرى إبداعًا أنثويًا يضارع وينافس ذكورة الحروف والمعاني. ربما أعاد التاريخ نفسه، حين كانت المرأة هي العاملة والبليغة، كأسماء بنت أبي بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن والدها. وهي التي تطلّق الرجل كما فعلت امرأة حاتم الطائي. والخوف كل الخوف أن يتغير الحال بالرجال ليصبحوا هم ربات البيوت. لكن ما يطمئن الرجال أن الحمل والرضاع لن يخرجا عن دائرة المرأة، وإلا لكانا وهنًا على وهن. إنني أفرح وأبتهج لتلك المصابيح من بناتنا ونسائنا اللواتي عرفن أن الحياة ليست رجلًا فحسب، بل أنثى تضج بالأمل والإبداع، وتضيء شعلة الخلود.

* * *

# الحزن العظيم

ليس إنسانًا من لا يعرف الحزن. فالحزن إحساس العظماء، ولغة الأذكياء والعباقرة. الحزن فطرة الخلائق مهما علا شأنها أو دني. الحزن غذاء القلوب الطاهرة الطيبة. الحزن ملاك النبلاء. الحزن يهذب النفوس، ويؤدب العقول. الحزن ليس هزيمة بقدر ما هو انتصار على الكبر والغرور والفسق والعصيان. الحزن يرينا غفلتنا عن نفوسنا لنرى حقيقة ضعفنا وانكسارنا وقوتنا وصحتنا وسقمنا. الحزن مسرح كبير فيه الغني والفقير والمريض والجريح والمظلوم. الحزن دموع الذل أو الكرامة. الحزن الفراق والهجر والعداء والخصام. الحزن مخلوق لا يموت إلا بعد موت الموت. الحزن أكبر من الفرح وأقل من الترح. الحزن ينتاب الخلائق في أكثر الأوقات اليومية. الحزن صديق الأوفياء والكرماء والشعراء والأدباء والحكماء. لذا يتولد الإحساس بالحزن في النفوس الكبيرة العالمة المخلصة والصادقة.

* * *

# غربة الهوية العربية

في مواسم القلق تقرع أصابع الريح على أبواب المساءات المغلقة برتاج السواد الحانق على فلق البصيص المشرئب إلى بصائر النور غير مستديم العتمة. ثم تنبلج أسارير البوح لفيالق النور المترامي على عيون الكون الساهر المترقب لقوافل الأمل. لكأنها (الوجناء) تعود من رحلة الشتاء والصيف، محملة بشتى صنوف عروض التجارة التي ينتظرها أهل مدينة الجوع، ممن أرمضتهم تكاليف الصحراء. كانت تلك أحاديث أمة خلت وأضحت في الغابرين، وما زالت تجترُّ بقايا رواياتها ألسنة الكهولة. تتزايد في السرد وتنتقص. وفي النسيان تختلق قصصًا من وهم الخيال، منسوجة على غرار قصص ألف ليلة وليلة التي قيل إنها قصص نسجها بالعربية مؤلف فارسي، فنسبها البسطاء إلى العرب لجهل مصدرها. ومن هنا ندرك أن العرب بدوًا وحضرًا لم يكن في أمثولاتهم اهتمام بفن الأساطير أو فن الرواية إلا أقاصيص تحاكي الواقع، بأشكال سردية لا تروي ظمأ المتشوقين إلى القراءة، بل ظمأ المتشوقين إلى السماع. ولم تستطع الأثريات أن تفصح بالإجمال عن قوة النسب بين اللهجات، من حميريها وإلى سبئيها، لتأكيد اتصال اللغة بعضها ببعض. وما كانت إلا تخرصات لا تفسر بوضوح اشتقاقات الكلمات والمعاني. وحتى سدنة اللغة وأرباب علم التاريخ وعلم الاجتماع، كابن خلدون ومن جاء بعده وحذا حذوه من علماء اللغة والاجتماع، لم يستدلوا إلى الآن بحقيقة تؤكد اتصال أمشاج العرق العربي في زمن الأديان السالفة، اليهودية والنصرانية. إلى أن جاء النبي العربي محمد عليه أفضل الصلاة

والسلام بالقرآن المنزل، فوقفنا أمامه مصدقين بما ورد في القرآن والسنة. وتأكد لنا اتصال هذا العرق منذ آلاف السنين بهوية واحدة تتلخص في عروبة قحطان وعدنان وانتسابهما إلى سام بن نوح. ولولا هذان المصدران لكنا إلى اليوم مشككين وباحثين ومتطلعين إلى ما يجلو الصدأ عن الهوية العربية.

❊ ❊ ❊

# تعديل عطلة الأسبوع

لماذا لم يُسمَّ يوم الجمعة باليوم السادس بعد الخميس، ويسمَّ السبت باليوم السابع؟ إلا أن يكون يوم الجمعة هو يومٍ للاجتماع والترفيه والإيناس، وليس للعمل كما كان يسميه القرشيون. يوم الجَمعة (بفتح الجيم) هو يوم لقاء الجمع، فيما اشتق السبت من السبات، ولهما مشتقات كثيرة المعاني. وأرى أن الجمعة لاجتماع البعض مع البعض، والسبت هو للإخلاد إلى النوم والراحة، بعد عناء خمسة أيام. لذلك لم يحسبا أرقامًا، والأرقام مدعاة لعمل الفكر كما للعمل الجسماني. لهذا أرى أن تكون الإجازة الأسبوعية في يومي الجمعة والسبت، لا الأحد كما يفعل الفرنجة.

هذه الخاطرة كتبتها في صفحتي في "الفيسبوك" قبل شهرين من صدور الأمر الملكي بتعديل يوم الإجازة إلى الجمعة والسبت.

* * *

# مغرضون

(ما هكذا تورد الإبل يا سعد): البعض يروق له التجني على المملكة العربية السعودية وتحريف الكلم عن مواضعه، لإثارة الفتن والقلاقل وبث الإشاعات المغرضة لإشعال جذوة الحقد على هذا الوطن الكريم وأهله وشعبه وحكومته. وهناك من يفسر الأمور على غير حقيقتها، فليس من المعقول ولا من المنطق الشرعي أن تقرر المملكة تأجيل العمرة والحج، وهما شعيرتان من شعائر الدين لا تقبلان التأجيل، كما زعم المغرضون. والصحيح أن الهدف هو تقليل عدد الوافدين للعمرة والحج من الداخل والخارج، خوفًا وعصمة لأرواح المسلمين من أي كارثة قد يسببها الازدحام الشديد، نظرًا إلى مشاريع التوسعة التي يشهدها الحرم المكي الشريف، وتبيُّنًا للقدرة الاستيعابية للمعتمرين والحجاج. وهي خطوة محمودة العواقب، كي لا تزهق الأرواح، أو تكون هناك إصابات بين وفود المعتمرين والحجاج. فالملامة ستكون أكبر على المملكة إذا لم تقم بهذه الدعوى والتحذير. وأمر كهذا ليس محل هزل أو عواطف غير عقلانية، بل إن الأمر يتعلق بحقائق واقعية تشهدها ساحات الطواف والسعي. فمكة الآن تمثل أكبر ورشة للعمل، سواء في الحرم أو في المناطق المحيطة به، وبمعظم أرجاء مكة المكرمة، مما يجعل الوصول إلى الحرم والمشاعر صعبًا للغاية، ومنهكًا للمعتمر وللحاج وحتى للمقيم. فليتق الله من يهرف بما لا يعرف، وليقدر الجهود الكبيرة والأموال الطائلة التي تصرفها المملكة لراحة المعتمرين وحجاج بيت الله، وليقابل الإحسان بالإحسان لا بالإساءة.

* * *

# استنزاف

لعلّ سوريا اليوم هي أفغانستان الثانية، حيث يقضي مخطط التآمر أن تقوم بين الشعوب العربية حروب ماحقة كحرب داحس والغبراء. ولن يكون هناك غالب أو مغلوب، بل سيكون المأزق بالغ الصعوبة على أمة العرب، بحيث يستنزف ثرواتها وطاقات أبنائها، في حروب افتعلها ساسة العالم الأقوى. وسيقتل العرب بعضهم بعضًا في حروب سوف تأتي على الأخضر واليابس. وقد أسلفت القول منذ زمن ليس بالقصير، في كتاباتي النثرية وشعري، منبهًا إلى هذه الأحوال التي نعيشها الآن. وحيث القادم أكثر مرارة، ستتحول الأمة العربية وأوطانها إلى ساحات للصراع الدموي. ذلك كله حدث عندما أدار الحكّام ظهورهم عن الخُلَّص والنابهين من أبناء الأمة، وحجروا على الفكر الواعي ليكون حكرًا على البطانات والمنتفعين والأذناب. فمنذ حرب العراق ما برحت الدول الكبرى ترسم خططًا لتدمير الشعب العربي وأقطاره. وما سيلحق بالحكّام أيضًا، وبما ادخروه من ثروات. إذا لم تتلقف الثروة أيدي الفقراء، فهي ستكون حظًا وافرًا للقوى الكبرى، يأتيها من دون عنــــاء، لأن النظم العربية لم تنظر إلى ابعد من تخزين المال، ولم تفكر في أن وراء الأكمة ما وراءها من أعداء يحيطون بالحملان الوديعة. ستنشأ وستتضاعف الجريمة المنظمة، ولن يحول بين التدمير والسقوط العربي حائل. فهذه أشجار الخريف العربي تتساقط ولن تجدي النذر. ولن يتراجع النهم والجشع والتكالب على المصالح الذاتية إلا باندثار العالم العربي.

* * *

# حب الوطن

إن حب الوطن ليس مجرد تشدُّق بالكلمات، إنما هو تضحية وامتثال للنظام وحفظ للمكتسبات وارتقاء بالقيم الإسلامية العظيمة. حب الوطن ليس انتقامًا من جمالياته وبنيانه وازدهاره. حب الوطن لا يقوم على العبث والمخادعة والتضليل والزيف والفسوق وإدارة الظهر للمخلصين القائمين على استشراف حضارته. حب الوطن هو أن لا نسمح ليد الفساد والتخريب بأن تدمر أوصاله وأركانه. حب الوطن هو عهد الصادقين مع ترابه وجباله وكثبانه وصحاريه وبره وبحره وسمائه. حب الوطن ليس انتهاكًا لحرماته ولا قبولًا بضياعه وانكساره. حب الوطن ليس اغتصابًا لحقوق أهله ولا امتهانًا لكراماتهم. حب الوطن ليس التفريق بين أبنائه تعصبًا لجنس أو عرق أو لون. حب الوطن ليس استقواءً على الضعفاء، بل هو احتضان الكل للكل بقلوب تنشد المساواة في الحقوق والواجبات كما قال رسول الله ﷺ: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى". حب الوطن هو احترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، والبذل للمسكين والفقير. حب الوطن ليس استعلاء بمنصب أو مال أو جاه. حب الوطن ليس نهبًا لمكتسباته وثرواته. حب الوطن لا يقوم على السخرية والتعريض بأبناء الوطن الواحد أو الحقد أو الحسد لمن أعطاهم الله. حب الوطن قول يتبعه عمل وإتقان. حب الوطن أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك. حب الوطن يتجسد في جمال الخلق والوقوف صفًا واحدًا في مواجهة كل تخريب، فلا نستبدل الخبيث بالطيب. هذا هو حب الوطن، فهلّا أحببنا الوطن؟

❊ ❊ ❊

# العدل أساس الملك

لقد نجحت أمريكا بشكل لافت في تعرية الإسلاميين أمام شعوبهم العربية. وهي قد خططت لهذا كي تقتنع الشعوب العربية أن الإسلاميين غير الوسطيين ليسوا أهلًا للحكم وقيادة الشعوب، ومصر هي النموذج. وأنا أول المقتنعين بأن نظرية أسلمة الحكم تتعارض مع لغة السياسة العالمية، كما أنها أثبتت فشلها في عصر القوى العظمى وعصر تسارع التقنيات وتصارع الثقافات، وهذا لا يعني فصل الدين عن السلطة، إنما يؤكد التباين في الرؤى والاتجاهات ما بين فكر يتواءم مع العصرنة وفكر يعجز عن التلاؤم معها، لأن الشعوب العربية لا تعيش بمعزل عن العالم، ومن نافلة القول إن الأقوى هو من يفرض إيديولوجيته وثقافته على الأضعف، وإن تولي الإسلاميين غير الوسطيين السلطة يؤسس لانهيار الشعوب والأوطان، وإنني أخشى كثيرًا الآن على "الإخوان المسلمون"، رغم أن نظرياتهم قد سقطت. وربما نرى منذ الغد من سيحلقون لحاهم خوفًا من ثورة الأحزاب المختلفة المناهضة لتوجهاتهم التي أثقلها الغباء، بعد أن وصل الحكم إليهم طائعًا مختارًا. ولكن الجهل السياسي والفرحة بكرسي الرئاسة من دون النظر إلى الكفاءة هي الشعرة التي قصمت ظهر البعير. والأولى بالحاكم أن لا يغتر كثيرًا بالجلوس على كرسي الحكم، وبأن يستعبد الشعوب لمصلحة حزب أو طائفة، فدائمًا وأبدًا كرسي الحكم هزاز، ينقلب في لحظة ولأتفه الأسباب مهما كانت الدعائم تشي باستقراره. فالحكم مستمد من إرادة الشعوب، أما الأشخاص فسرعان ما يرحلون، حتى ولو اعتقدوا بأن حكم الشعوب حق مكتسب لهم، وأن

الشعوب ما هي إلا مجرد عبيد يؤمرون فيطيعون. هنا يكمن الغباء الذي يؤدي إلى سقوط الحاكم. أما الحاكم الفطن الذي يعرف أن الخلق عيال الله، وأن أمرهم له وإليه، وأنه مكلف من الشعب لإدارة شؤون البلاد بالعدل والمساواة، هنا يكون الحاكم جديراً بالاحترام والتقدير وحب الشعب له وتمسكه به. وقد صدق من قال: "العدل أساس الحكم".

* * *

# العبث باللغة

علينا النظر بجدية كاملة إلى قضية اللغة العربية، فهي ما بقي لنا من هويتنا. وهناك من يحاول بجهله تدمير هذه اللغة، بإضافة حروف أو إنقاص أخرى في الكلمات. ويظن أن من حقه أن يكتب كلمات اللغة العربية على كيفه وعلى مزاجه. وهو لا يدري بأن لغتنا تعني هويتنا، وتعني قرآننا العظيم، وأن مجرد العبث بهذه اللغة هو عبث بلغة القرآن.

إن اللغة أمانة في أعناقنا، والحفاظ عليها واجب كل مسلم يقرأ القرآن. والمقصود ليس اللهجة العامية، فكلنا في أحيان كثيرة نتكلم اللهجة العامية، ولكن الإضافات والتنقيص في أبجدية الحروف هي الخطر، مثل من يكتب (أكيييييييد) و(فااااااااقد)، وغير ذلك. ولو كانت هذه الكتابة خطأ مطبعيًا لالتمسنا العذر، لكن تعمُّد خلق موضة جديدة للغة هو الذي يهدد لغة القرآن بالتحريف وعدم القراءة الصحيحة. ولو كان الذين يكتبون بهذا الشكل الخاطئ أعاجم لعذرناهم، لكن المؤسف أن الإساءة تأتي من شبان عرب. ولو كان هؤلاء بكمًا، أو لديهم لثغة، أو تنقصهم القدرة على نطق الحروف، لعذرناهم صوتًا لا كتابة. فأرجو محاربة أمثال هؤلاء، وأولئك الذين يكتبون اللغة العربية بالحرف اللاتيني، كي لا يحسب هذا الجهل على العقلاء والعارفين منا. فهذه لغتنا التي نسمو بها، وآمل التضامن معي في محاربة من يعبث بلغتنا العربية، لأن المشكلة أخذت أبعادًا كبيرة، وأصبح الكثير من الشباب يكتبون بالطريقة الخطأ. إن من واجب المتعلمين والمثقفين وقارئي القرآن أن لا يقبلوا

بهذا الاستهتار باللغة، حتى لا يأتي يوم يصبح فيه أبناؤنا وأحفادنا أعاجم. فيكفي اللغة العربية ما لحق بها من كوارث جراء دخول العجمة إليها، وهي تكاد تضمحل لولا القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه. إنني آمل من كل مسلم ونابه وعاقل وعالم أن ينطق اللغة بلسان عربي مبين، وأن يحصر اللهجة في المنزل أو جلسات المباسطة الخاصة، ولو أنني أتمنى أن نتحدث باللغة العربية في كل زمان ومكان.



# خوف من الآتي

ثمة في الدنيا دوي هائل، أصوات وأحداث ونكبات وحروب ودماء. الآن نرى الدنيا على حقيقتها. كلها فواجع وشكوى ودموع. لا أحد يشعر بالأمان. في كل مكان خوف من المجهول، انتظار وترقب لحدث أكبر يهز العالم. ثمة شعور ينتابني بأننا نعيش مرحلة مخاض عسير، لا أعلم بعدها ما سيحل بهذا العالم. الكل في ذعر نفسي. الكل في متاهة، كما لو أن سرعة الأرض قد تضاعفت، فخلفت هذا الاهتزاز النفسي والكوني. إنني أشعر بأن شيئًا ما إلهيًا سيحدث. اللّهم الطف بنا. اللّهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

* * *

# نحن البلاء

نحن نستعدي الزمان على الزمان، ونستعدي النساء على الرجال، والرجال على النساء. نحن تُشْجينا الدموع ويطربنا البكاء. نحن لا نعرف ما معنى الحياة، ولا نفرق بين أصناف البلاء، لأننا نحن البلاء، نحن الهباء ونحن الغباء.

* * *

# وسطية الإسلام

الحمد لله الذي وهبني القليل من علمه الكثير، والذي ألهمني التبصر في رؤية الحقائق التي ينتهجها بعض من يدعي العلم الديني والفقه الشرعي، في هذا الوطن وفي الكثير من أوطان العروبة والإسلام. فقد كتبت سابقًا عن بعض من يزعمون ويدعون العلم الشرعي، وهم إنما يبطنون ما لا يظهرون، بغية تحقيق مآرب سياسية ومالية باسم الدين. إنهم أشبه بزعامات تهدف إلى كسب الأموال من رجال الأعمال والشركات، ومن الذين يحبون فعل الخير، ويعملون على جباية الأموال بحجة توزيعها على المساكين في الدول الفقيرة. وهم يزعمون أن ما يقومون به هو نصرة للإسلام ومجابهة للحركات التنصيرية في بلاد المسلمين التي تعاني من العوز. وبعد أن تكشفت نواياهم وأصبحوا من أصحاب رؤوس الأموال، وجمعوا حولهم العديد من المريدين والمُضَلَّلِين، وأنشأوا باسم الدين عصابات للإرهاب، جاء بيان حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمه الله) ليؤكد ما ذهبت إليه من النصح بالتنبه لأمثال هؤلاء الذين يتسترون تحت شعار الدين الإسلامي، ليكون لهم حضور وقوة كافيان لتقويض أركان الحكم المدني الذي ننعم به. إنهم يسعون لاستعباد عباد الله، ومن يخالفهم الرأي يلقى الثبور وعظائم الأمور. وحسنًا فعل خادم الحرمين الشريفين بهذا القرار الرافض لهؤلاء الانتهازيين الذين يسعون إلى تدمير الفكر القومي الوطني، ومحاولة استقطاب السذج والبسطاء وضعاف الحال، بإغرائهم مرة بالمال، ومرة أخرى بالترهيب الديني. وكأنهم بذلك يعيدوننا إلى زمن محاكم التفتيش المسيحية في القرون الوسطى، وإلى زمن إصدار الصكوك الدينية بمن يدخل الجنة أو النار، قبل

أن تقوم الحركات الفكرية النهضوية التي قادها المفكرون والأدباء في فرنسا وغيرها، والتي حملت مشعل التنوير، ونبذت الخرافات التي كانت تهيمن على الشعوب الغربية ونقلت أوروبا وأمريكا إلى آفاق العلوم التطبيقية والتقنيات الحديثة، بعيداً عن النظرات الضيقة التي باعدت بين الفكر الواعي وهيمنة الكنيسة على تلك الدول. لقد بتنا نعيش اليوم في ظل رفاهية العلوم والتقنيات التي يستفيد منها العالم بأسره. أقول لقد أحسن صنعًا هذا الملك الصالح بالتنبه في حينه، وقبل فوات الأوان لأمثال هؤلاء الوصوليين الذين يكفِّرون من لا يوافقهم الرأي ويؤسلمون من يوافقهم رأيهم. قاتلهم الله بجهلهم، فقد كفانا ضلالًا وتمزيقًا لأمة العرب والمسلمين من مدعي العلم الشرعي. وكم ذهب ضحية هؤلاء المرتزقة الكثير من الشباب السعودي وغيرهم من الشباب العربي، ووقعوا في حبائل المتصيدين الذين أفتوا بالإرهاب جوازًا مطلقًا في الداخل والخارج، حتى وصلوا إلى أمريكا وأوربا، فأشاعوا القتل والتدمير في الكثير من بلاد العالم، وجعلوا صورة الإسلام، مع الأسف الشديد، صورة قاتمة مخيفة. وقد أظهروا المسلمين على أنهم دعاة التفرقة ما بين الأجناس والأعراق، خصوصًا حينما ترك لهم الحبل على الغارب، وأصبح كل مواطن عربي، وبالأخص السعودي، يُنظر إليه عالميًا نظرة الحذر والريبة، ونظرة يسودها المقت والعنصرية. كل ذلك لم يكن ليحدث لولا هذه الطغمة الفاسدة المضللة لشباب الأمة الذين أرادوا أن يحكموا الإسلام بمزاجية، تخضع لرغبات خاصة، وتحقيق أمجاد زائفة. وحسنًا فعل قائدنا الهمام النابه الفطن الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمه الله)، فببيانه الرافض لهذه الطغم والأحزاب والعصابات إنما أسس لمرحلة التنوير الذي كفى ويكفي الأمة شرور هذه الطغم التي كادت تحجر على أصحاب العقول وتحولهم إلى قطيع يسير خلفها. نعم وألف نعم لهذا القرار الحكيم. فالإسلام لم يكن يومًا سوى دين الحب وقبول الآخر والإيمان بكل الأديان التي ذكرها القرآن والسنة. ولننظر كيف تعامل رسول الله ﷺ مع اليهود والنصارى في

القرار الأمور ووضعها في نصابها، حتى لا يتطاول متطاول، وحتى لا يتفرق الدين الحنيف من خلال مذاهب ونحل وعصبيات لم ينزل الله بها من سلطان. كشف هذا القرار أموراً خطيرة ومهمة للمرحلة التي نعيشها، وللمراحل القادمة، بغية أخذ الحيطة والحذر من كل أفاك مهين. فنحن نعيش في عالم الميديا والإعلام الذي يراقبنا في كل لحظة. ونحن أمام خيارين لا ثالث لهما، فإما أن نتحد بإسلامنا مع العالم ونريه محاسن الإسلام، وإما أن نعتزل العالم ونعيش في الخيام من جديد، من دون أن نحس بالعالم الخارجي أو يحس بنا. إن شباب هذه الأمة يتطلعون إلى تحقيق آمال كبار في أن يتركوا بصمات للفكر الخلاق، ويساهموا في صنع القرار العالمي. وذلك لا يحدث إلا إذا كنا أقرب إلى العدل والمساواة وعدم انتهاج العنصرية، وهجر القبلية المقيتة، والنظر بشمولية إلى الأمة الواحدة، وإن اختلفت هوياتها. فقد اجتمعت اليوم هويتها في الوطن، حيث لكل مواطن حق معلوم، ومتساوٍ مع غيره في الحقوق والواجبات. نحن ولدنا أحراراً ليكون هذا الوطن هو ما يؤمنا ويحملنا ويحمل لنا من بشائر الخير، ما يجعلنا نعمل بدأب وجهد متواصلين وغير محدودين لنصرة قضايانا العربية والإسلامية.

❋ ❋ ❋

# الاجتماع على المصالح

لن يجتمع البشر على كلمة سواء، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود، ١١٨].

هكذا نجد الناس يجتمعون على شكل عصابات أو أمم أو شعوب.

وتجد المجموعات المنتمية إلى الدين أو العرق أو الجنس أو اللون أو القبيلة أو العشيرة.

والمجموعات التي تنتمي إلى المصالح الذاتية دون الآخرين.

والمجموعات التي تنتمي إلى الجريمة والسلب والنهب والقتل.

والجماعات التي تحتكم إلى القوة.

والجماعات التي ترزح تحت الخوف من الأقوى.

والجماعات التي تنتمي إلى المصالح الوقتية والانتفاع الشخصي.

والجماعات التي تتوحد للدفاع عن النفس والوطن.

والجماعات التي تنتمي إلى المال.

هذه هي الحياة الدنيا بكل خلقها لا تتوحد على رأي، إلا إذا وجد العقل العاقل. وهذا العقل العاقل لم يظهر إلا فيما ندر على الأرض. إن في هذا الكوكب الكثير من الغل، الذي بدوره يزرع الحقد والحسد، والحقد والحسد يؤديان إلى العداوات، والعداوات هي التي تثير القتل والتدمير والهدم.

وسوف يولد العقل العاقل يوم أن يتم الله كلماته بنزع الغل في اليوم الموعود، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر، ٤٧]. لذا أقول لكم لا تحاولوا إصلاح الخلق فلن تفلحوا. وسلام على العاملين لمرضاة الله من دون سواه.

❋ ❋ ❋

# سلام على الحرائر

لن تسود اللبوة على الأسد في أي زمان ومكان، كما لن تسود المرأة على الرجل. وما نراه من شنشنة وتطبيل ومطالبة بمراكز قيادية للمرأة لا يعدو كونه تغزلًا بها. وإذا نظرنا بعين العقل للدول المتقدمة التي بدأت المرأة تمنح مناصب قيادية كإليزابيت ملكة بريطانيا ومارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا وأنجيلا ميركل رئيسة وزراء ألمانيا، فذلك لا يعطي مؤشرًا بأن المرأة مؤهلة للقيادة في كل الأحوال. قد تكون المرأة وزيرة أو مدرِّسة أو طبيبة أو أستاذة في الجامعات، أو ممرضة، أو ملبية لاحتياجات المحاربين في الحروب.

ويمكن لها أن تكون مبدعة في العلوم التطبيقية أو الأدبية. لكنها لا تستطيع أن تخرج من عباءة الرجل، ولا من قوامته. فهي نصفه الجميل، وهي الأم والأخت والابنة والزوجة والحبيبة والرفيقة. ولكن القيادة تظل للرجل، ولن تصلح لها. ويمكن لها أن تكون ملكة في عرش مليكها الرجل، لذا يجب أن لا تشطح بالخيال أكثر من ذلك. فهي خلقت للرقة والجمال والحب وتربية الأبناء وإعدادهم لتولي مسئوليات جسام هي فوق طاقتها ومكنتها. وإلا لرأينا نصف المناصب الذكورية موكلة لها. ليس هناك مساواة بين المرأة والرجل إلا في الحقوق والواجبات الفطرية. والذي يعتقد غير ذلك فليأتِني بسلطان ودليل وقرينة تخالف ما ذهبت إليه. وسلام على حرائر النساء العاملات والمبدعات، لا الواهمات والمرجفات بأنهن متساويات مع الرجل.

❋ ❋ ❋

# الكتاب

ذلك الذي كنا نتشوق إلى اقتنائه والخوف عليه من يد العابثين بورقه، هو الذي كان قبل "النت" و"الفيس" وكل التقنيات الحديثة. إنه خير سمير وخير جليس، كما قال المتنبي رحمه الله. وهو الآن لا يعدو أن يكون تحفة من التحف الأثرية، موضوعة على الرفوف. لتنام فوقها ذرات الغبار. لم يعد يتلبسنا الشوق إليه وإلى اقتنائه، بل بات كالرمائم أو كالمومياء الفرعونية، تستطيع أن تراها في المتاحف أو تتابع صورها على "النت"، لترى فيها ملامح الوجوه والأقلام والأفكار التي لا مطر فيها. وإن شئت قلت كالغيم الجَهام لا يمطر على الجديب، فتراه مصفرًا من قبور الزمان التي أطبقت عليه تحت الرِجام. لقد ضاعت تلك البهجة والراحة النفسية والألق الفكري في مجاهل البعيد. ولقد قل القرّاء والعلماء والشعراء والمفكرون الذين يعشقون الكتاب. لذلك بتنا نهبًا للفراغ الذهني، وأضحى الشباب في هذا العصر خاويًا من المعرفة العميقة، لأن فوضى "النت" قتلت الكتاب ودفنته في مقابر النسيان. إن لكل زمان دولة ورجالًا، ولكل زمان قفزات تكنولوجية. رحمك الله أبا مُحسَّد فقد خذل عصرنا بيتك الذي قلت فيه: "أعز مكان في الدنا سرج سابح/ وخير جليس في الزمان كتاب".

* * *

# لا لسلاح الدمار

في هذا العصر الدموي أصبح الحزن سمة غالبة على الناس في كل مكان. فما تنقله الفضائيات من أحداث يترك آثاره السيئة على النفسيات فتصاب بالاكتئاب والإحباط، خصوصًا عند جيل الشباب الذي ولد حالمًا بالأمل السعيد، فإذا هو يتعايش مع واقع أليم تكتنفه الصراعات والمصائب الجسام، وتألف عيناه مشاهد القتل والدماء والأهوال، التي لم تترك مكانًا من العالم إلا وأشعلته بنيران الأسلحة الفتاكة. فالعقول الإنسانية تهتم بابتكار أسلحة الدمار والقتل بدلًا من ابتكار اختراعات تؤدي إلى إسعاد البشر، ناهيك عن الأموال الطائلة التي تصرف على تصنيع وتحديث وصيانة السلاح، والتي لو قدر لها أن تنفق على فقراء العالم، لما وجد فقير على الكرة الأرضية. إن الاهتمام بالسلاح وتسويقه هو من أهم عوامل الهدم والتدمير لكل ما بنته الحضارات، فضلًا عما لحق بالبشر من أمراض نفسية وعضوية. فثمة أجيال تحترف القتل والجريمة، كما أنه من الصعب أن تتوقف الدول المصنعة للسلاح عن تصنيعه وتصديره إلى شتى بقاع العالم ـ فكيف إذن نستطيع أن نخفف عن النفس البشرية تلك الفجائع الثقال ـ وددت لو تنشأ مؤسسات علمية تستطيع أن تقنع البشر بأن القادم سيكون أجمل، وأن عوامل البغض والكره والعداوة والعدوان في طريقها إلى الزوال. وذلك من خلال عقول تزرع الأمل، وتنشئ مجموعات الرفض لتصنيع السلاح وتسويقه، ليبدأ الخوف بالتناقص التدريجي، وتعود النفس عن قلقها وحيرتها وهمومها. إنني أتمنى أن تنشأ مراكز مختصة بالجانب الأخلاقي عند البشر، وبالضغط على

الدول المصنعة للسلاح للتخفيف من صناعته، وصولًا إلى مطالبنا بوقف تصنيع السلاح المدمر للإنسان وللبيئة. فلقد تعبت النفوس وأنهكت، وأثخنها اليأس والهم والمرض، فضلًا عن الاختلالات العقلية، فباتت الأمراض النفسية أكثر من ذي قبل. فنحن نزعم أننا نعيش عصرًا حضاريًا، فيما نحن نعيش عصرًا همجيًا لا يحفل إلا بتدمير الإنسان ومكتسباته. فلنحمل شعار "لا لتصنيع السلاح، لا لقتل الإنسان، لا لتدمير الكرة الأرضية". إننا نريد أرضًا خالية من القتل والمجازر الجماعية وانتهاك حقوق الإنسان.

نريد أن نرى التفاؤل والأمل يعودان من جديد لتزهر الحياة وتخصب الأرض، نريد للخوف أن يتلاشى، وأن نعيش أصحاء العقول والأجسام. فمتى يعمد ساسة العالم إلى تبني نظرية "لا للسلاح". إذ ربما يعمد الأقوياء في لحظة غضب قصوى إلى استخدام القنابل الذرية. فأمريكا لديها سلاح نووي يستطيع تدمير الكرة الأرضية عشر مرات، وروسيا لديها سلاح نووي يدمر الكرة الأرضية مرة واحدة. وثمة دول أخرى لديها من السلاح النووي ما لا يستهان به في تدمير الأرض. اللَّهم لطفك، ولعلّ عقول الحكماء تستطيع أن تقلص هذا الكم من الأسلحة التدميرية واستبدالها بما يبني لا بما يهدم. والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

* * *

# أحقاد الشباب

يعمد الكثير من الشبان إلى تكسير وتدمير المنشآت وإشارات المرور ومظاهر البناء الباذخ، حين يشعرون بفقدان الأمل والانتماء إلى قوافل اللاشيء.

إنهم يتخرجون من الجامعات فلا يجدون مكانًا لاستثمار قدراتهم العلمية، فيحترفون التسكع على أرصفة الفراغ. هؤلاء هم القنابل الموقوتة التي تنتظر الانفجار، فهم يحملون تراكمات الفقر والعوز، خصوصًا حينما تذهب أحلامهم أدراج الرياح، ويصبحون غرباء في أوطانهم، وأذلاء يحترفون الجريمة بأنواعها، ويجدون حولهم من يعيش في ترف ونعيم، لأن أباه فلان بن فلان هو الوزير أو المدير أو الشيخ. وكلٌّ من هؤلاء له رصيد في البنوك يتجاوز المليارات. هؤلاء الشبان ينظرون بحسرة وألم إلى مستقبلهم الموصد، ودونهم عقبات من البيروقراطية العقيمة وقوارع الإهمال. فكر معي أيها الإنسان، ماذا سيكون عليه حال هؤلاء الشباب، إن لم يتوفر لهم المسكن والمال والوظيفة اللائقة. وماذا ننتظر منهم إذا لم نتدارك وضعهم المهين قبل فوات الأوان. وما لم نُحِطْهم بالإصغاء والتفهم والرعاية علينا أن لا نتفاجأ إذا تحولوا في المستقبل إلى قنابل موقوتة، تطيح بكل ما حولها من مظاهر الترف والثراء.

* * *

# طريق السعادة

تهتم الفتاة في الوطن بالعلم أيما اهتمام، حتى أصبحت منافسة للفتيان في الدرس والتحصيل العلمي. وتلك ظاهرة صحية في أمة قليلة العدد كثيرة المدد المالي. ولكنها في زحمة انشغالها بالعلم لتحقيق الشهادات العليا تتجاهل الوقت والعمر الزمني، ليتجاوزها سن الزواج والإنجاب والشعور بالسعادة الحقيقية التي تحصل عليها في كنف الزوج، وعبر تجربة الأمومة والعاطفة الأنثوية والحياة العائلية، وفي كثير من الأوقات نظن أنها منشغلة بالعلم حبًا به فحسب، ولكن إذا فكرنا أكثر نجد أن الفتيات لم ينصرفن عن الزواج بملء إرادتهن، وإنما هناك عقبات تحول بينهن وبين الحصول على من يناسبهن من الأزواج. فالزواج يقوم على الفهم المتبادل والاحترام والكرامة، في وقت ينظر الشباب إلى الفتيات نظرة فوقية تقوم على ازدراء الأنوثة واستضعافها. وبما أن أعداد البنات والنساء تفوق أعداد الشباب والرجال، فإن المجتمع سيعاني من إشكالية العنوسة والزواج المتأخر من دون شك، أضف إلى ذلك ازدياد منسوب البطالة بين الشباب، فيما الرواتب الزهيدة تكاد لا تكفي لسد الحاجات الملحة، بحيث بات بناء الأسرة أمرًا قريبًا من الأحلام. فالوضع المتردي للأسر الجديدة تنشأ عنه الخلافات التي تؤدي إلى الطلاق وهدم الأسر وضياع الأبناء، ما يجعل القضاء منشغلًا بمثل هذه المشاكل.

تعزف الفتيات عن الزواج ويتجهن نحو العلم، إلى أن يتقادم بهن العمر. فلعلّ الفتيات والشباب يفكرون بجدية كيف يختارون طريق السعادة مع شريك حياتهم، بفكر واعٍ ونية مخلصة، وحسن معاملة، وصبر على مشاق الحياة.

# الصدق مع النفس

هل من رجلٍ شجاع يستطيع أن يعترف صادقًا بتفاهاته وعيوبه ودخائل قلبه نحو الآخرين، وعن الجانب الطيب فيه، والآخر الخبيث أو السيئ. إن النفوس لا تريد أن تعترف إلا بأنها الأجمل والأسمى والأكمل، والاعترافات التي يعلن عنها البعض هي تواضع كاذب لنيل مكانة وحظوة، إلا من رحم ربك. إن العلم الذي اكتسبه البعض أدى إلى تزايد جهل البعض الآخر، خصوصًا بعدما أصبح الإنسان كتابًا مقروءًا وسرًا مفضوحًا بواسطة الوسائل التقنية.

لقد بات الخوف مرادفًا للحياة بعد أن بات الإنسان موضوعًا تحت مجهر الإعلام و"النت" و"الكاميرا"، وملاحقًا في حركاته وسكناته حتى وهو نائم، ومع ذلك فإن الشجاعة الحقيقية هي أن لا نرتكب من الآثام والحماقات ما يوجب خوفنا من الفضيحة. والشجاعة أيضًا هي في أن لا نخجل من عيوبنا، فنحن بشر خطاؤون قبل كل شيء، شرط أن نعمل على تجنب الأخطاء والتخفف من العيوب كلما وجدنا إلى ذلك سبيلًا.

❊ ❊ ❊

# عشاء الخميس

هو عشاء غير عادي خرج فيه عن مألوف العادة، وأقام مائدته على الثرى المعشوشب، لأنه لم يرد لفطرته الأولى أن تتلوث بمساحيق الحضارة.

في مسائه هذا، تقابل وجهًا لوجه مع السماء الصافية، مع القمر وقد اجترح أسارير السديم، وراح ينصت إلى ألحان سطحية لا تستهويه، بل هي تستهوي مزاج عصره الفوضوي المتسم بالسرعة، لكنه لم يكن يسمعها إلا مجاراة لأذواق الحاضرين.

ثم انتحى جانبًا، يقلب عينيه بين جيل مضى وجيل حاضر، وجيل لا يزال في علم الغيب ومستقبل القصص الكوني المتعاقب على دورات الزمان. كان بسجية فكره يبتسم، فتلحظه عيون الآخرين، وكأنها تسأله عمّا يبتسم له؟ لم يعقب، بل ترك ابتسامته غير عابئة بأحد.

قام من مجلسه واتجه إلى حيث روضته الغنّاء الصغيرة، ليعاود فوضويته المعتادة بين الكتب والأوراق والأقلام. فتح كتابه اليومي المستحدث التقنية الذي اسماه "جِنِّيّ سليمان الحكيم" عليه السلام. وجد حروف أيقونته الماسية تلمع بومضات الاستغراق البياني الملغز الذي سطرته أنامل حلم قديم.

أعجب ببكارة الكلمات وطزاجة الترميز، ومر على السطور يودعها وداع مفارق لن يعود ـ أخذ يقلب عينيه في بقية فصول الكتاب ـ وجد أيقونته وقد اختفت فجأة.

ابتسم بعدها ليواري الحزن الذي فيه، وتمتم في سره قائلًا: لقد اختفت مثلما اختفت صاحبتها!

# مضارب الحنين

قرأتها وكأنها عند جبل التوباد تبكي الحنين إلى مضارب ليلى وقيس ومضارب عبس. لم تشأ أن تغادر الصحراء والجمل، كأنها تعود بالخيال القهقرى، حيث القفار والفدافد والجبال والسهول، وهي تغترب في بلاد تتلوّن بحضارة العصر الحديث ـ وهي ما زالت تتشدق بِحَبِّ الصيد، وتجسد صورة الرعاة وهم بين البراري يرعون الأنعام والخرفان والماعز ـ عدت بالخيال لأرى قبائل بكر وتغلب وربيعة، ورأيت (عنيزة) ابنة عم امرئ القيس وهي على الوجناء، يعابثها وهي تقول له: (عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ).

تريده أن ينزل كيلا يفتضح أمرها معه ـ ثم إنني شاهدت الرعيان، وشاهدت قوافل البدو الرحل، وشاهدت كرم العربي حينها وهو يحتلب ضروع الأنعام ليسقي من لبنها الوافد والغريب والضليل والجائع. لقد أدهشني أن هناك من سكن المدن رغمًا عنه، فيما هو يريد للعصور الخوالي أن تعود. ويريد للخيمة والجمل وبيت الشعر أن تكون بديلًا من المنازل الإسمنتية ـ إنه إحساس لا تملك إلا أن تحترمه عند البعض، خصوصًا عند من يرى الحضارة ومظاهرها الخادعة عبئًا على النفوس الشفافة والوادعة، والقانعة بحب الخبز واللبن وتميرات تسد الأود وتطفئ حرارة الجوع ـ قلت في نفسي، نعم سيعود كل شيء إلى طبيعته، ولكن بعد دهور طويلة. وتساءلت، ما هو الدافع إلى عشق البداوة في زمن الحضارة، وما الدافع إلى عشق الحضارة في عصر الحضارة؟ وشتان بين عصرين لا تقابل حسيًا بينهما ـ قلت: ربما يكون

سرًا كامنًا في النفس يجتذبها إلى الزهد في كل شيء، لتعيش على أطلال خيالات عصور لم نكن نحن أهلها ـ كم هو جميل أن تسكننا البداوة بقيمها النبيلة لا بهمجيتها المقيتة ـ والأجمل أن لا نشط بالخيال أكثر، وننعم بحقائق الواقع ونعيشه، مع احترامنا وامتثالنا لقيم الدين والجمال في عصر نحن أهله وسكانه. على أن الحنين إلى البداوة هو من جهة أخرى نوع من شغف الأنا بالعودة إلى ذاتها الأولى، ونوع من تأكيد الهوية لمن ضلت به العروق والأنساب، وقادته الأسباب ليكون غريبًا في وطنه أو في أوطان الآخرين. وستبقى (البداوة) عند العرب مثل (بداوة) الهنود الحمر في أمريكا مستهجنة، يسخر منها مخرجو أفلام هوليوود، باعتبارها خارج دائرة الحضارة والحداثة. أما نحن فمعلقون بين القديم والجديد، وواقفون في مهب الريح، فلا نحن "في العليق ولا اللجام"، كما يقول المتنبي رحمه الله. وسلم لي على البدو والبداوة إن وجدا في هذا العصر، إلا في سِنَّة الغارقين في خيال الماضي. إذ ما الذي يفعله المتعلقون بالبداوة من دون الكهرباء والتكييف والسيارة والطيارة والتقنيات المختلفة التي نغرق من دونها في سبات الجهل. وسلام على ابن خلدون في الأولين والآخرين، وهو الذي وصف العرب والأعراب كما لم يصفهم أحد.

❊ ❊ ❊

# حسين عرب.. حسين سرحان

"حسينان" اثنان أثرا في حياتي: الشيخ الأديب الشاعر حسين عرب، والشيخ الأستاذ الأديب الشاعر حسين سرحان. وهما من هما في علمهما وأدبهما وشعرهما. وهما من الخمسة الذين شهد لهم الشاعر العبقري حمزة شحاتة بالشاعرية المطبوعة والريادة الأدبية.

فكيف تعرفت بهذين العملاقين؟ كنت في ريعان الصبا ولم أتجاوز الثلاثين من عمري ـ وكنت قد أصدرت باكورة أعمالي في القاهرة بعنوان "معذبتي"، وقدم لها الأستاذ الكبير والشاعر الفحل هارون هاشم رشيد، شاعر الثورة الفلسطينية، عندما كنت أدرس الحقوق في جامعة القاهرة. ثم عدت إلى مسقط رأسي مكة المكرمة، وكان الشعر والأدب مزدهرين آنذاك. إذ إن المملكة، وبخاصة الحجاز ونجد والرياض، كانت مهد الشعر والشعراء الأوائل الذين كتب لهم السبق في الخلود والذيوع والريادة على مستوى العالم العربي في ذلك العصر.

كنت قد تعرفت إلى الشاعر الأستاذ حسين عرب والشاعر الأستاذ حسين سرحان قبل لقائهما في كتب الأدب المدرسية. ثم بعد أن عدت من القاهرة وبدأت بنشر قصائدي في الصحف السعودية، بدأت حراب أسنة الأقلام المغرضة تتناولني بالقدح، وتزعم أنني أشتري الشعر مستورداً من الخارج، وأنني أستجدي النقاد كي يتناولوا شعري بالنقد. كدت أن أهجر الشعر في ذلك الوقت، حتى عقدت العزم على أن أعرف حقيقة شعري

وشاعريتي. وقد استخبرت عن موعد تواجد الأستاذ الشاعر حسين عرب، وكان يجلس يوميًا بعد صلاة المغرب في بلكونة داره الفسيح بالزاهر، فذهبت إليه تتملكني الرهبة، لكوني أقابل هذا الرجل الجهبذ، وأنا شاب يافع. فدلفت إلى حيث يجلس الأستاذ عرب، ورأيت على وجهه أمارات الوقار. وبعد أن عرفته بنفسي حاملًا بيدي المرتعشتين مخطوط ديواني الثاني "الهوى قدري" قلت لمعالي الشيخ حسين: "أنا أتجرأ على مقامكم العالي بطلب عزيز". قال في الحال: "اطلب". قلت له: "أحب أن تقرأ هذا الديوان فإن وجدت فيه شعرًا يستحق النشر فأرجو أن أتشرف بكتابة تقديم له بخط معاليكم، أستشرف من خلاله حاضري الأدبي، وأكون ضمن كوكبة أدباء الوطن والعالم العربي". أخذ عرب المخطوط وغرق في قراءته، فيما العرق يتفصد على جبيني من الخوف. وكان في ضيافة معالي الشيخ حسين عرب العلامة الأديب والشاعر والعالم الشيخ عبد القدوس الأنصاري، صاحب مجلة "المنهل" ورئيس تحريرها، ولم أكن أعرفه قبل ذلك. فسلمت عليه واعتدلت في جلستي أكثر فأكثر. فأنا أمام جهبذين من حذاق الأدب ولغة البيان وعلماء اللغة وصناع الفكر. بعد صمت مريع ساد بيننا ونحن لا نسمع إلا قرع فناجين القهوة والشاي، التفت معالي الشيخ حسين عرب، مقدمًا للشيخ عبد القدوس الأنصاري المخطوط الصغير، وهمس له أن يقرأ منه. فاستغرق الشيخ عبد القدوس أيضًا قرابة نصف ساعة. ثم قال: والله يا بني إنك شاعر مجدد، ولديك موهبة مطبوعة، وأنت تستحق الإشادة والتقدير، فبوركت وبورك شعرك". أما الأستاذ حسين عرب فلم يعقب، وطلب مني العودة إليه بعد يومين، ومر اليومان على مضض وأرق وقلق، إلى أن جئت إلى معاليه، ورحب بي، وشربنا القهوة والشاي، وتحدثنا طويلًا في شؤون الأدب والأدباء، وسرد على مسامعي شيئًا من مسيرة حياته الأدبية، والحروب التي جرت بينه وبين الأستاذ حسين زيدان والأستاذ محمد عمر توفيق في

عصر الشباب، وكيف انتصر على كيدهما ومكرهما به. وبعد أن صلينا العشاء، قلت له: "أرجو أن تسمح لي بالمغادرة". فمد يده إلى ظرف أعده من مطبوعاته وأعطاني إياه. وقال: "ستجد المقدمة في هذا المظروف كما طلبت".

أخذت المظروف وأنا أتحرق قلقًا لأعرف ما فيه. وغادرت إلى سيارتي، وأضأت المصباح الداخلي فيها، وفتحت المظروف، فوجدت صفحة بخط يد الأستاذ الأديب عرب تتضمن انطباعه عن شعري، إضافة إلى انطباع الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، ما أثلج صدري حول حقيقة شاعريتي المشكوك فيها من قبل مرتزقة الصحافة الذين يرفعون من شاؤوا ويسقطون من أرادوا بجرة قلم، ومن دون وازع من حياء أو ضمير، ومن دون معرفة بلغة الشعر وصناعته وفنونه وضروبه. ولكن ما يفعلونه هو تعبير عن حسدهم وغل أنفسهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ طبعت ديواني الثاني "الهوى قدري" في تونس الخضراء، حيث كنت أسافر إليها بصحبة عائلتي، ونقضي فيها ما لا يقل عن الشهر. سائحين بين تلالها وبحارها ورياضها ومناخها الخلاب. وعدت على أمل أن يتم استقبال ديواني الثاني بشيء من التقدير والتشجيع. إلا أن عصابة الصحفيين مصرة على مناصبتي العداء وبشكل شخصي ـ ولم يهدأ لي بال وأنا أتقي حروبًا من كل الجبهات، كان أكثرها مع الأسف من أبناء مدينتي مكة المكرمة. ولكنني لم استكن ولم أحبط، بل كنت شابًا يطمح إلى التفرد والتميز وإلى التسامي، ولو كره المبغضون والحاقدون والحاسدون. كنت في نزال غير متكافئ، إذ إن الكفة الراجحة لمن بيده الدواة والقلم الصحفي، كما يقال، وهو المستطيع أن يضلل الحقائق بقدرته على نشر ما يريده كذبًا أو صدقًا. وبين هؤلاء من انتقل إلى رحمة الله وجاءني قبلها معتذرًا عن إساءته لي، وصار من رواد (ثلوثيتي) الأسبوعية إلى أن وافته المنية. ومنهم من لا يزال الحقد والحسد يحرق

أوصاله إلى الآن. ولكنه يشعر بالخزي والعار في نفسه، فيقابلني على استحياء ومهابة مني، وقد أخفى ما الله عالمه، والله حسبنا ونعم الوكيل. وما كنت أرضى الإساءة لهم وهم يسيئون. وكان أبلغ رد عليهم هو انتشاري في الصحف العربية والخليجية والمصرية على وجه الخصوص، ومنها الأهرام والأخبار وغيرها من الصحف والمجلات والدوريات. وكلما نشر ديوان جديد لي يصيب تلك العصابة بنار موقدة، يحترق فيها غيظهم وحقدهم وحسدهم، والكتابة عندي هي ردي الحاسم على أكاذيبهم وأضاليلهم.

لطالما كنت متحديًا كبيرًا وخصمًا شرسًا في النزال، بذكاء هو منة الله عليّ، له الحمد والشكر. وكانت لي معرفة كبيرة بعقلاء شعراء المملكة، وبالكثير من شعراء العالم العربي، وقد بدأت في الانتشار حين كنت أرسل بدواويني كإهداءات إلى الجامعات والصحف، حيث تلقيت من الأستاذ الدكتور "إينار برج" من جامعة أوسلو بالنرويج خطابًا يفيدني فيه أن ديواني "الهوى قدري" قد تمت ترجمته إلى اللغة النرويجية. وهو يدرِّس الآن في قسم الآداب في الجامعة، وقد تم نشر الخبر في الصحف، مما زاد في غلواء العصابة الظالمة نفسها. ثم انقضت سنوات وأنا أكتب وأنشر إلى أن تكوّنت لدي مجموعة شعرية جديدة. وقد تبلورت لديّ فكرة جريئة، تعرفت من خلالها إلى الأستاذ الكبير الشاعر العلم حسين سرحان الذي كان يقطن في نفس الحي الذي أقطن فيه وهو "حي المعابدة".

والمعروف عن الشاعر الكبير حسين سرحان العتيبي الأصل أنه لا يتنازل حتى لظله، ولا يهتم بأحد إلا من كان من أهل العلم والأدب والشعر. وله قلم لا يجارى في النقد والسخرية، ويؤثر العزوف عن الشهرة، وهو "أشهر من نار على علم". كانت داره، رحمه الله، بجوار قسم النجدة، وكان يصحو مبكرًا، إذ إنه يغادر مجلسه عند الساعة الثامنة صباحًا، ليختلف إلى

كتبه وكتاباته القليلة التي تمتاز بالجدة والبكارة والقوة اللغوية. كان وجلي كبيرًا، وقلقي أكبر، حين قررت الذهاب للتشرف بمعرفة ذلك الجهبذ حسين سرحان. ففيه صلابة البدوي وكرمه واعتداده بنفسه. وهو كما قيل "فلا يكلم إلا حين يبتسم". ذهبت إليه في مجلسه فلم أجده، وقال لي العامل لديه، لقد تأخرت. يجب أن تكون هنا في تمام الساعة السابعة صباحًا. وسألني العامل عن اسمي ثم دونه على ورقة لديه قبل أن أغادر.

في صبيحة اليوم التالي صحوت مبكرًا وذهبت إليه فوجدت شخصًا ينظر من نافذة المجلس، وكأنه يبصق على الدنيا. وجهه لا يعرف الضحك، وفمه يميل إلى الصمت، بحيث لن تستطيع أن تنال حرفًا منه إذا لم تكن بالغ الذكاء والدهاء. وحين يجيئه أحدهم ولا يعجبه حديثه فإنه يضع منشفته على كتفه، ويسابق الباب تاركًا زائره الغث بمفرده إلى أن يمل ويرحل. ذلك ما كان يروى عنه، ولكنني لم ألمسه منه على الصعيد الشخصي. فعندما جئته تهلل وجهه بشرًا وسرورًا، وأجلسني قبالته على مستوى واحد، امام النافذة المطلة على الشارع العام. تحدثت معه عن شعره وأدبه فكان يجيبني بأريحية. وحين أطلت الجلوس طلبت السماح بالمغادرة، ولكنه ألحّ عليّ بالمكوث حتى الساعة التاسعة والنصف صباحًا، وهو ما لم يفعله مع غيري أبدًا. ثم زرته مرة ثانية بعد أن بادر إلى الاتصال بي، وحين غادرته كان يراودني أمل ما بأن أحظى بمقدمة لديواني الثالث "الخوف"، وأنا أعرف أنه ضنين بكتابة المقدمات. حتى أن بعض الشعراء طلبوا إليه أن يتكرم بتقديم مجموعاتهم الشعرية فرفض ذلك، عدا مقدمة واحدة كتبها لصديقه الشاعر عبدالله جبر. قلت في نفسي: سأجازف بالطلب، وخاطبته قائلًا: يا أستاذ، إنني واحد من أبنائكم الشعراء الشبان، وأحتاج إلى تشجيعكم عبر كتابة مقدمة لديواني الثالث "الخوف"، أرغب في إضافتها إلى مقدمة أخرى للدكتور محمد مصطفى هدارة، أستاذ الأدب العربي في الجامعات العربية، وهو أيضًا أشهر

من نار على علم. فنظر إليّ رحمه الله بعينيه الواسعتين نظرة الفاحص الفاهم الذي يستقرئ القلوب قبل العيون، وقال لي: والله العظيم إنني رفضت أن أقدم للوزير فلان ووكيل الوزارة فلان، فأنا لا أحب كتابة المقدمات، رغم أني قرأتك في الصحف، وأعرف عن شعرك الكثير، ولكن هات الأوراق لعلّي أجد وقتًا لقراءتها. ثم انتهى الوقت، وكنت كالعادة في كل صباح أذهب إليه للإفادة منه والاكتساب من خبرته وعلمه وأدبه. ومهما قلت عن ذلك الشاعر الفذ الحبيب فلن أفيه حقه. فهو فوق الوصف والمديح والثناء، فقد كان رحمه الله يحبني حبًا جمًا، حتى إنني كنت أذهب إليه في أي وقت فينزل إليّ مهرولًا. وقال لي مرة: "والله إن قلبي يرى فيك إنسانًا صادقًا خلوقًا. وأنا لا أقابل أبناء عمومتي إلا فيما ندر، ولكنك أخذتني بأخلاقك وعلمك وأدبك، فاستهواني فيك ما أردته وأريده من صديق مثلك". وكنت أقدم له الشكر غاضًا بصري عنه، إجلالًا واحترامًا لقامة يتمنى الكثيرون الجلوس إليها ولو لبضع دقائق، فكيف وقد أحبني وارتاح إليّ. ولقد كانت له عندي، كما للأستاذ حسين عرب، منزلة رفيعة لا تدانى. انتهت تلك الجلسة وغادرت كالعادة، وأتيته بعد ثلاثة أيام. وكان معاتبًا لغيابي عنه هذه المدة. وبعد شرب القهوة والشاي أعطاني أوراقي التي سبق وأن طلبت منه كتابة مقدمة لها. وحين لم ألحظ ورقة التقديم سألته همسًا: أستاذي، ألم يرقك شعري؟ فقال: على العكس، أنت شاعر مبدع متفوق، وإني أتوقع لك مستقبلًا مشرقًا في الأدب والشعر. ثم بدأ جبيني يتفصد عرقًا من القلق، وسألت نفسي: "ولكنه لم يكتب لي المقدمة، لا بد من أنه وجد ما لا يسره في شعري". ثم تجرأت وسألته: "أستاذي طلبت منك مقدمة لديواني الجديد "الخوف"". فضحك وقال: "لقد كتبتها لك بخط يدي". فارتبكت وقلت له: "أين؟". قال: "هي مع بقية الأوراق، هلا نظرت؟". وخجلت من نفسي حينما عقدت الحيرة والخوف والحياء مخارج صوتي بالشكر والامتنان. ومن هنا بدأ تحديَّ لعصابة

الصحافيين المبغضين والحاقدين والحاسدين. ولعلمي بنواياهم وأفكارهم وخبثهم فقد وضعت مقدمة الأستاذ الشاعر حسين سرحان بخطه الجميل على أول صفحة من ديواني الثالث "الخوف". وقد باءت تلك الزمرة بالخزي والعار والشنار. فمن هو الذي شهد لعبدالله باشراحيل بالإبداع والشاعرية المطبوعة؟ إنه الشاعر العلم حسين سرحان، وما أدراك من هو في شاعريته وأدبه وعلو قامته. إنه أحد روّاد الفكر والأدب والشعر في الوطن العربي.

* * *

# محاكاة لمي زيادة

ربما كانت تود أن تحاكي الأديبة اللبنانية مي زيادة التي عاشت في مصر ردحًا من الزمن، والتي أحبها العقاد والرافعي وغيرهما من الأدباء الذين كانوا يختلفون إلى مجلسها، مبدعين وشعراء وعشاقًا لمي وأدبها وحضورها الآسر.

كانت مي زيادة امرأة ذات حسن وبهاء، وواحدة من الأديبات المميزات. وقد أحجمت عن الزواج كي تعتني بالكتابة الأدبية وفن أدب الرسائل. ثم غادرت إلى لبنان في أواخر عمرها تعانقها الوحدة والاكتئاب. ثم أدخلت إحدى المصحات النفسية، إلى أن رحلت عن هذا العالم القاسي.

لعلّ مي زيادة عفت عن الزواج لسبب غامض أفضى بها إلى الرحيل عن فطرتها الأنثوية، أو لعلّ عارضًا خلقيًا منعها من الارتباط بزوج، أو لعلّها رأت أن الطموح والأدب أجمل وأحب إلى نفسها من الأسرة والأبناء. لعلّ أمرًا ما نجهله عن حياة أديبة أحبت أن تفرق بين خصوصية الحياة وعموميتها، إسرارًا وإعلانًا. وما يهمنا في هذا المقام هو خلقها الفاضل، وأدبها الذي بات حديث الماضي والحاضر والمستقبل.

وكان أصدقائي الأدباء من أمثال الأستاذ عامر العقاد، شقيق الأستاذ عباس العقاد، والأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وهو عالم كبير من علماء البيان والفقه الإسلامي ومن مجايلي عباس العقاد، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز شرف، أستاذ الأدب والمشرف على صفحة الثقافة بجريدة "الأهرام" بعد الأستاذ الأديب ثروت أباظة، يروون عن مي زيادة أنها كانت كريمة النفس والصفات،

ومترفعة عن الصغائر. وقد اجتمعت فيها مواهب الجمال والعفة والفن.

وبالنسبة إلى المرأة التي لن اسميها، أتساءل حائرًا: هل هي تتقمص شخصية مي زيادة؟ أم هي شبيهتها خالصًا لوجه الأدب، ولتذوب في الفن إلى الحد الذي يصبح فيه شريك حياتها وأهلها وعالمها، وكأنه يجري في أوردتها وشرايينها دمًا سيالًا تتغذى منه روحها الطيبة.

لعلّها تكون كما أرادت هي لنفسها، أو ما يريده القدر منها ولها.

وسيكون الزمان حفيًا بها وشاهدًا لها أو عليها، وهو الذي تعهد موهبتها بالرعاية والتجدد.

* * *

# هزاع القرشي (رحمه الله)

كان الصديق الوفي والأخ النبيل "هزاع القرشي" يعيش معي ومع والدي، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، ومع إخوتي وكأنه أحد أشقائي. كان هزاع يعمل في التدريس، وقد تزوج من إحدى النساء الفاضلات من بنات قبيلته. وكان يعيش في هناءة ورغد وسعادة، حيث أنجبت له زوجته ثلاثة أبناء، كانوا قرة عينيه، وكان يحب زوجته حبًا جمًا، لكن للقدر أمره وفعله الذي لا يخطئ صاحبه. إذ أُصيبت زوجته بالمرض الخبيث، مما أثر فيه وقلب حياته رأسًا على عقب. ولم يترك أملًا ولا سببًا ولا مالًا إلا افتداها به، إلى أن تماثلت للشفاء من مرضها الخبيث الذي ترك لها عاهة مستديمة في الساق، أقعدتها عن القيام بمسؤولياتها المنزلية والزوجية، إلا أنها شعرت بما يعاني زوجها، ورجته أن يقترن بامرأة أخرى، شرط أن تظل هي برفقته ورفقة أبنائها، وحين رفض الأمر ظلت تلح عليه لمدة عشر سنوات، إلى أن نزل عند رغبتها وتزوج بفتاة من قبيلة أخرى، وكان يعطي كلتيهما حقها الشرعي من العاطفة والإنفاق، رغم أن زوجته الأولى كانت تلح عليه لإلغاء ليلتها ومنحها لضرتها. ولكنه كان يأبى ذلك، وفاءً وحبًا لها. وهو الذي كان في الوقت ذاته محبًا ووفيًا لأصدقائه، ومساعدًا للمحتاجين بما يستطيع بذله.

كان صديقي هزاع صادقًا مع نفسه وربه. ومن عيوبه الثقة المفرطة في الناس، حيث كان يمتلك مزرعة كبيرة في إحدى ضواحي مكة المكرمة لا تقل مساحتها عن مليون متر مربع، وهي إرثه من آبائه وأجداده. وكما هو معروف فإن لأهل البوادي والقبائل حمىً متعارفًا عليه بين القبائل. وكانوا لا

يهتمون بالصكوك الشرعية، فلديهم وثائق موقعة من أمراء القبائل أو من مشايخهم منذ القدم، تتعاقب عليها الأزمنة والورثة، حتى تباع أو تعمر أو تخطط أو تدخل ضمن مشاريع الدولة، التي تقوم بنزعها مقابل سعر يحدد في حينه، وهو ما لم يحدث بالطبع، لأن هزاع استبقى مزرعته ليزرعها ويرعى فيها إبله وغنمه. وقد صرف عليها الكثير الكثير ليسترزق منها راضيًا مستورًا وشاكرًا ربه.

وقد أشار عليه صاحب له باستخراج صك شرعي من المحكمة يؤكد ملكيته لها، كي لا يقع في مظلمة الجشعين والذين لا يخشون الله ولا يتقونه. وحين حدثني بهذا الشأن قلت له، لماذا لا تبادر إذًا بالتقدم إلى المحكمة لطلب حجة استحكام. وبالفعل فقد تقدم إلى المحكمة، عبر قاضٍ أسرف في مماطلته له، ووقف له بالمرصاد، إلى أن قال له أخيرًا: عليك بإحضار أمر من ولي الأمر بإجازة الاستحكام لك. وهو ما أيأسه وأحبطه، وسبب له ديونًا باهظة أنفقها على التخطيط الهندسي والمحاماة، فضلًا عن الإرهاق البدني والنفسي الذي ترك بسببه المعاملة التي تم حفظها في المحكمة. ثم عاد إليه صاحبه الذي علم بالأمر، وأشار إليه بأن يبحث عن حوت كبير يذلل به العقبات الإدارية والشرعية، مقابل نسبة من مساحة الأرض، وسمى له أحد النافذين، ووعده بأن يكون وسيط خير بينه وبين الحوت الكبير، مقابل جُعْلٍ أو دلالة له عندما تصل القصة إلى خواتيمها الحسنة. وحين حدثني عن الموضوع قلت له: لا تغامر مع ذلك الشخص، بل عليك الانتظار، أو مقابلة ولي الأمر لتشرح مظلمتك له، معززًا كلامك بالمستندات الثبوتية. فهزّ رأسه قائلًا: لعلّ هذا أفضل. وتبين لي مؤخرًا أنه امتثل إلى نصح صديقه، فيما أشار إليه به. ثم جاءني حاملًا معه عقدًا هزيلًا ببيع المزرعة للحوت الكبير، وفيه إشارة إلى إجراء القسمة بعد استخراج الصك بواقع ٣٠% للكبير و٥% للوسيط و ٦٥% له، وبالفعل لم تمض إلا شهور معدودة حتى تم استخراج

صك استحكام للأرض باسم الحوت الكبير. كاد صديقي هزاع أن يطير فرحًا وبهجة وأملًا في تحسن أحواله والخروج بنفسه وأهله من ضيق العيش إلى رحابته. وحين ذهب إلى صاحبه الحوت الكبير طلب منه الأخير الصبر والتريث إلى أن يفرغ له حصته من الأرض لدى كاتب العدل. ومضت السنوات تلو السنوات، وهو على أبواب الحوت الكبير، لا طالبًا إحسانًا ولا صدقة، بل هو يطالب بحقه الذي اتفق معه عليه. وظل صاحبنا فريسة لمماطلات الحوت الكبير وتسويفه، إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة، وقابل الحوت الكبير بعد عنت ولأي. لكن الحوت همس في أذنه بأنه تبرع له بمائتي ألف ريال مقابل الجهود التي بذلها بشأن الأرض، وأن الأرض بيضاء الآن ولا تساوي أية قيمة. فقال له صديقي هزاع، يوجد الآن من يدفع مائة مليون مقابل هذه الأرض، فاستشاط الحوت الكبير غضبًا، وقال له: "الحين حنا بننفعك وأنت تتمرد على النعمة، والله أنك..... يالله إذلف عن وجهي". قال له هزاع: سأشكوك إلى الملك. وخرج من عنده ولم يمض وقت طويل حتى تم نزع الأرض بمبلغ ثلاثمائة مليون ريال لصاحبها الجديد. وقد رأيت صديقي هزاع على غير حالته وصحته السابقة التي تشرئب حمرة ونضارة وقوة. فقد رأيت فيه هزالًا أوجع قلبي حين عرفني إلى نفسه، فلم أتعرف إليه للوهلة الأولى. انتحيت وإياه جانبًا عن الضيوف فانطلقت من عينيّ بعض دمعات سخينات، حزنًا على صديقي الذي جلس صامتًا تغلب على وجهه مسحة حزن عميق. لم أشأ أن أسأله ماذا حصل له، بل داريت حزني ووجعي عليه ببعض النكات والملاحظات، كعادتي مع ضيوفي. ثم لم أدرِ كيف انقضى الوقت قبل أن أعود حزينًا مكتئبًا إلى غرفتي، ثم سألت عن وضعه أحد المقربين منه، فقال إنه مصاب بالمرض الخبيث. ودعا على الحوت الكبير دعوة المظلوم على الظالم، بعد أن أبلغني أن أيام صديقي معدودة، كما لو أنه زارني زيارة الوداع. وبعد ايام نقل إليّ أن صديقي هزاع رحل إلى

جوار ربه. رحل صديقي هزاع، ورحلت معه الأمانة والوفاء والحق، رحل تاركًا أبناء عديدين وزوجتين في أمان الله. وقد تبين لي كيف يكون الظلم قاتلًا للمظلوم. ومنذ عشر سنوات وأنا أبكي صديقي الوفي هزاع، رحمه الله رحمة الأبرار الأخيار. وخلال المدة المنصرمة وقعت على بيت من قصيدة لسيد الشعر المتنبي ينطبق على حال صديقي الراحل هزاع، رحمه الله والمسلمين، يقول فيه الشاعر:

**"واحتمال الأذى ورؤية جانيه غـــذاء تضـــوي به الأجسام"**

وإلى اليوم لا أدري هل حقًا مات صديقي هزاع أم مات العدل الذي كان يبحث عنه، وأتساءل في الوقت ذاته عن نسيان البعض أو تناسيهم للحديث النبوي الشريف: "من أحيا أرضًا ميتة فهي له". فإذا كان الحديث صحيحًا كيف يجيز البعض لأنفسهم استباحة حقوق الآخرين واستضعاف من لا يمتلك القوة والنفوذ؟

* * *

# كذب على النفس

تعيش المرأة الخليجية في بلادها محجبة ومنقبة، وتكاد تضع فوق العباءة خيمة على جسمها. وأنا بالمناسبة ضد النقاب على الوجه، ومع العباءة والطرحة الملفوفة حول الوجه. لكن ما أن تخرج النساء السعوديات والخليجيات بوجه عام، إلى دول العالمين الأوروبي والأمريكي حتى نرى الكثيرات منهن أكثر سفورًا وعريًا من النساء في البلدان الأخرى. وهن يتباهين بأغلى أنواع العطور والمكياج والهندمة غير المألوفة، بما لا يليق بهن وبمقامهن.

هكذا تلف المرأة عندنا العباءة على كامل جسمها، ولا تتحدث مع رجل إلا في أضيق الحدود، وكأن تيارًا كهربائيًا يوشك أن يحرق العالم من رؤية سيدة الحسن والبهاء التي لم يخلق مثلها في العباد!

أوليس في ذلك الكثير من الرياء والتناقض الفاضح بين مظاهر العفة والطهر في الوطن وبين العري الباذخ في بلاد الغرب حيث تكون بعض النساء بعيدات عن عيون القيم والأخلاق وحماة الشرف المزعومين. إنه حقًا لأمر مخجل ومؤسف يدعو إلى الاحتقار. لذا أقول إن هذه المآسي التي نراها أو نسمع بها هي من مكوّنات الكبت والرعب والرهبة التي تغرسها الشعوب العربية في نفوس فتيانها، وفتياتها بوجه خاص، اللواتي يلجأن إلى هتك ستار الممنوع خضوعًا للنزوة المقيمة أو الرغبة المكبوتة. إن علينا في التربية المنزلية والمدرسية أن ننظر إلى أعماق الأمور لا إلى السطحيات والهوامش غير المؤثرة، وعلينا إعادة زرع الثقة في الفتاة قبل الفتى، لمساعدتها على حماية

نفسها بالتقوى والعفاف وعدم الانصراف إلى صغائر المغريات التي تؤدي إلى الكبائر. وليس هناك من داع للكذب والنفاق والتدليس على النفس والغير. أقول هذا وأتذكر قول الشاعر:

**"أحـــرام علـى بلابلـة الـــدوح حلال على الطير من كل جنس"**

❊ ❊ ❊

# جهد أورث المجد

أعكف الآن على مراجعة وتنقيح ديواني الجديد الذي جعلته بمساعدة "الفيس" كشكولًا لتدوين أفكاري وقصائدي. وإذ أعرف أن هناك أخطاء طباعية ستحصل نتيجة اقتناص الفكرة الوليدة وصوغها شعرًا، أقوم بالمراجعة والتنقيح، خصوصًا أنني من المكثرين في قرض الشعر، وبشكل أشار إليه النقاد الكبار في العالم العربي ممن ذهبوا إلى القول بأن باشراحيل يستطيع نظم قصيدة مكتملة الأدوات ومن أربعين بيت خلال ساعات معدودة. وهي موهبة من الله يخص بها بعض الشعراء من دون سواهم. وقد بلغت إصداراتي الشعرية حتى الآن ما يناهز الثلاثين ديوانًا شعريًا وعدة كتب نثرية أدبية متعددة الموضوعات. وقد بات من الصعوبة بمكان دراسة شعري بمعزل عن نثري. كما أن الباحث والدارس لشعر باشراحيل لن يكون سهلًا عليه الإلمام بشعري وأدبي إلا إذا استطاع الرجوع إلى كامل المطبوع والمنشور في الصحف والدوريات والقنوات العربية، إضافة إلى ما ينشر على "النت" و"الفيس بوك"، وإلى الكتب النقدية والدراسات التي تناولت تجربتي بالبحث في الجامعات العربية والأوروبية والأمريكية. كما أن قسمًا من شعري ترجم من قبل دور النشر وبعض الجامعات الأوروبية والأمريكية إلى لغات أجنبية عدة. وهو ما يحدو بي إلى توجيه الشكر الخالص للأشخاص وللهيئات التي اعتنت بشعري وتولت تسويقه على الصعيدين العربي والعالمي. أما الكتب التي تناولتني بالبحث فهي أكثر من ثلاثين كتابًا نقديًا تولى كتابتها عدد من أساتذة النقد العربي، وتنوعت مقارباتها وأغراضها، فهناك من تناول الجانب الرثائي

والوجداني والمرأة والمديح والغزل، وغير ذلك من أغراض الشعر. ولو اجتمعت تلك الدراسات والكتابات والبحوث الأدبية والنقدية لوفرت للباحث المختص دراسة شاملة لشعري وأعفته من الجهد المضني، إلا إذا شاء أن يغوص أكثر فيكشف عن الاتجاهات الأخرى في شعري، مثل الحكمة والفلسفة. بل يستطيع الغوص أكثر ليجد أغراضًا أخرى لا تقل أهمية عن سواها، كالبحث في الاتجاهات القومية العربية والإسلامية والأغراض العالمية التي تتعلق بالأحداث المتقلبة والمتسارعة في العالم، ومشاركة الشعر في صنع القرار العالمي، وهو ما أشاد به الساسة والمنظمات الإنسانية الدولية. وربما نلحظ سطحية في التناول لدى بعض الباحثين والدارسين المعاصرين، إلا من انشغل واشتغل على الأدب والشعر العربي في الجامعات العربية. ولم أكن على الصعيد الشخصي أسعى إلى تقديم شعري وأدبي للدارسين مستجديًا عطاءاتهم النقدية، ولست في حاجة إلى هذا بعد أن قدمت ما قدمت من أدب مترجم على الصعد العربية والغربية والآسيوية. وأعلم علم اليقين أن الدارس والباحث العربي لا يبحث عن المضني من الجهد في استنطاق لغة النقد ورسم الأبعاد العميقة للتجربة الشعرية، إذ إن هم الباحث والدارس العربي هو الحصول على الشهادات العلمية بأقل كلفة فكرية. ومن رابعة الأثافي أن الجامعات تفتح أبواب الدراسات العليا في الشعر والأدب العربي، ولا تشترط موت الشاعر أو "قتله" كي يتسنى لشعره أن يدرَّس بشكل موضوعي، إلا جامعة أم القرى، فهي ترفض الموافقة على دراسة أعمال الشعراء إلا بعد وفاتهم. ولذا فقد كنت حريصًا على أن لا أموت إلا وقد أخذت حقي من دهري. وبالفعل أعتبر أنني أخذت حقي من التقدير العالمي والعربي قبل موتي، من دون أن أعبأ بالجامعات المتخلفة ونظامها القديم المتهالك. فيكفي أن يتناول شعري وأدبي جهابذة أرباب النقد في مختلف الجامعات، منهم وصلتني نسخ من كتبهم، ومنهم لم تصل، كي أشعر

بالرضى عما حصلت عليه من تقدير، على أنني لم أسع يومًا إلى فرض نفسي على أحد من النقاد، فمن أوتي قدرًا كبيرًا من موهبة النقد المبدع لن يغيب عنه شعر الشعراء الملهمين والنابغين.

أسأل الله الرفعة والعلا للجميع كي يتركوا وراءهم أنصع الآثار الفكرية والأدبية والعلمية لنستعيد عصر العلماء الجهابذة الذين أثروا الفكر العالمي بعطاءاتهم، أمثال ابن سينا وابن خلدون والفارابي وغيرهم من العلماء العرب الأجلاء، فضلًا عن فحول الشعر العربي الذين لامسوا بشعرهم الفذ أكثر القضايا اتصالًا بهموم البشر ومكابداتهم وأسئلتهم الوجودية المزمنة.

*** 

# يا أمة ضحكت...

يقول المتنبي العظيم:

**"أريـــد من زمني ذا أن يبلغنـي ما ليس يبلغه من نفسه الزمن"**

ثم يقول في بيت آخر:

**"ولست أبالي بعد إدراكيَ العلا أكان تراثًا ما تناولت أم كسبا"**

ثم يأتي الشاعر العربي الكبير الهمشري ليقول:

**"ومن مخبري من جانب القبر أنني أمجَّـد فـي أسفـارهم وأكـرَّمُ"**

والمقارنة بين الأبيات لا من حيث الصياغة الفنية بل من ناحية المعنى، تشير إلى معاناة الشاعر العربي وغربته عن محيطه الاجتماعي وأمته برمتها. وأية نظرة متفحصة إلى واقعنا الحالي تقودنا إلى الاستنتاج بأن الشعر الحقيقي والفصيح لم يعد يحظى باهتمام الجمهور الواسع، حيث باتت الحظوة للشعر النبطي وشعر الأغاني الهابطة. وكم يصح فينا قول المتنبي العظيم: "يا أمة ضحكت من جهلها الأمم".

* * *

# آتني بنفس نبي

لعلّ العار المسكوت عنه والمستطاب للنفوس داخل جهاز "النت" وحروف "الفيس بوك" هو موضوع الجنس بكل أنواعه وصوره. تشاهد الممنوع المرغوب فيه، وترى الشذوذ الجنسي. سترى وترى وترى ما لن نستطيع مواراته إلا أن تحطم هذا "النت" وتستغني عنه. ولكن هيهات وغيرك يستمرئ النظر ويتلذذ بتلك الغرائز الفطرية في النفس. إنها الأفلام الخلابة السيئة المستطابة لنفوس ألفت الحرمان، فوجدت ضالتها في زنى "الفيس" المحرم أخلاقيًا. فأين هي منظمات حقوق الأخلاق لتحجب كل مسيء تأباه النفس، إلا أن يكون حلالًا طيبًا وخالص الطهر. إنني كرجل واعٍ مجرب لا أخشى على نفسي، إنما أخشى على هؤلاء الشباب من الجنسين من المآل السيئ الذي يتجهون نحوه. وجميعنا يعلم أن النفس أمارة بالسوء وعرضة للإغراء، فآتني بنفس نبي.

* * *

# المولد النبوي

يا سيدي يا رسول الله، صلى الله عليك وعلى آلك وصحبك وسلم. يا سيدي ونبيي وحبيبي، أحبك أكثر من نفسي وأمي وأبي. ولكنني يا سيدي أرفض ما يسمى "الاحتفال بالمولد النبوي" وما فيه من خزعبلات أنت لا ترضاها. يا سيدي أنا أحتفل وأحفل بك في كل آن. وأعتز باقتدائي بسنتك وأتباع نهجك القرآني العظيم. يا سيدي عليك صلاة الله، لقد رأيت بأم عيني وسمعت بأذني مجموعات في أندونيسيا غرر بهم أصحاب البدع، ينشدون في مسجد من المساجد، فيما يحملون الشمعدانات المضيئة وشيئًا آخر مستورًا عن الأعين "شيل الله يا عيدروس شيل الله يا محيي النفوس". قاتلهم الله وقاتل عيدروسهم إذا كان قد ضللهم إلى حد الشرك والكفر. أنا يا سيدي أحتفل خمس مرات في اليوم بذكرك والصلاة عليك. أما المبتدعون فيحتفلون بالمولد النبوي، ميلادك يا سيدي، وينسون أن الميلاد هو يوم الولادة الذي يختلف تمام الاختلاف عن يوم النبوة ونزول الوحي.

* * *

# ادعاء الأنساب

**جاء في الأمثال المكية :** (إذا ضاع منك النسب حرِّب). وهو ما نشهده اليوم حيث الكثير من الذين يحملون جنسيات وطنية يستطيعون أن يدَّعوا النسب الذي يريدون زورًا وبهتانًا، متناسين الحديث الشريف "الناس مؤتمنون على أنسابهم". ومع الأسف الشديد فإن الانتهازيين أصبحوا، بحكم نظام الجنسية وبحكم ما أشرنا إليه آنفًا، ينتسبون إلى الأشراف، وإلى قبيلة حرب وقبيلة هذيل وإلى قبيلة عتبة أو عتيبة، وغيرها من القبائل المعروفة تاريخيًا في الجزيرة العربية. وهنا تكمن المشكلة في اختلاط الأنساب وادعائها من دون وجه حق، الأمر الذي سيجعل الانتماء قائمًا على الكذب، إضافة إلى ضياع الأنساب، حيث قال الحبيب المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام "انتقوا لنطفكم فإن العرق دساس". وكلامي هذا ليس عنصرية ضد أحد، لكنه تنبيه وتحذير من الكذب أو التدليس الذي تأباه الأخلاق والدين. وهو كذلك تنبيه لمشايخ القبائل ليتوخوا الحيطة في إعطاء شهادات التعريف، حفاظًا على مصداقية الأنساب، وما سيترتب على ذلك من انتهاك للحقوق والمواريث. أتمنى من أهل الشرف والكرامة فضح أمثال هؤلاء المزيفين الدخلاء، وإعادتهم إلى أنسابهم الحقيقية تحقيقًا لمبادئ الأخلاق. فالمسلم يجب أن لا يكذب، وهذا من أبشع أنواع الكذب.

❊ ❊ ❊

# تمرد

هي المرحلة الفارقة بين ربيع مضى وآخر يأتي مضمخًا بأسارير البهجة، حين تأتلق مساءات القلوب بالبشريات في أعياد الأمل اليومي، فتتساءل: أهي نفسها البدور والأقمار والكواكب التي كانت تلمع في ذلك الأمس الطفولي أم تغيرت؟ ثم تجد أن الجواب يحتمل أكثر من معنى. فهو ليس كلامًا مرتلًا على أوراق الشفق بل هو إحساس تعيشه معطرًا بالنسائم التي تتمازج فيها الابتسامات والانكسارات. وقد تستطيع أن تجعل من نفسك حكيمًا يصطنع من الأحزان أفراحًا تخفي سواد الألم لتنتصر بها على المواجع. ولا تقل إنك لا تستطيع أن تغير شيئًا، بل أنت تستطيع عندما تعلم أن لا جدوى من الزمان وأهله، أن تخلق عالمك في مصاحبة النفس وتعويدها على النسيان والسلوان. عندها تكون أنت عالمٌ بذاتك، ولا تحتاج إلى ذلك الهيولى القائم من السواد الإنساني. يكفي أن تتمرد على الأشياء لتعيش ما هو أبهج من البهجة نفسها. فاختلق واخترع ما يزيح عنك غلالة الهموم. وسترى أنك كون مصغر، حيث ينطوي فيك العالم الأكبر.

* * *

# الصور المحرمة

يقوم البعض بنقل صور الموتى في أكفانهم ووجوههم مكشوفة. وهناك نهي وتحريم لتصوير الأموات وعرض الصور في "النت" أو "الفيس". فثمة من يعتقد أنه يستدر عبر الصور عاطفة الناس، أو أنه يكسب أجرًا بذلك، لظنه أن الناس يقومون بالدعاء للموتى. وهو أمر لا يجوز، لما في ذلك من هتكٍ لحرمة الميت، إضافة إلى إثارة مشاعر أهل الميت على فقيدهم. وعلى الجاهل الرجوع إلى ما قاله أهل العلم والدراية حول تحريم تصوير الميت، باعتبار أن ذلك الأمر قد يؤدي ولو عن غير قصد إلى التوسل بالميت، أو التبرك به، كما يفعل بعض السذج والسوقة في غير ديانة ومذهب. وهذا أمر يجب أن يحذر منه المسلم، لأن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، وصار أمرهم إلى الله. وأرى أن تعمل الجهات الشرعية المختصة على تنوير هؤلاء الجهلة ونهيهم عن هذه الفعلة، فإن أصروا استحقوا العقاب الذي يراه الشرع الحنيف (حتى الأموات لم يسلموا من الإيذاء).

❋ ❋ ❋

# أحمد الله لم أهزم

على الجاهل أن يقرأ معاركي الأدبية مع من لهم باع طويل في الصحافة أو "النت". أحمد الله أنني في كل جولاتي كنت المنتصر ولم أهزم، ولن أهزم بأمر الله، لأني لم أكن معتديًا قط. وقد قال الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي:

**"ألا لا يجهلــن أحـد علينـا    فنجهل فوق جهل الجاهلينا"**

❋ ❋ ❋

# عظمة المتنبي

أإلى هذه الدرجة من الثقة بلغت أيها الشاعر الحكيم المتنبي لتقول:

**"وما الدهر إلا من رواة قصائدي    إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا"**

ومع ذلك فقد صدقت نبوءتك أيها الجعفي الكندي. فها هو الدهر يروي قلائدك أو قصائدك، وينشدها على كل لسان، لكم كنت عظيمًا أيها المتنبي.

❋ ❋ ❋

# وطن النجوم

حكى لي صديقي الشاعر الكبير جورج جرداق أنه قبل أن ترسو السفينة التي كانت تحمل الشاعر الفحل إيليا أبي ماضي في ميناء بيروت، وعلى بعد بضع كيلوات من الشاطئ، أخذت العاطفة من الشاعر العائد من منفاه الأمريكي الاختياري الذي رحل إليه في سن الصبا كل مأخذ. وحين لاح لناظريه شاطئ المتوسط الذي حرم من رؤيته لعقود طوال، لمع في رأسه فجأة مطلع قصيدته الشهيرة:

**"وطن النجوم أنا هنا حدق أتذكر من أنا؟"**

ثم ما لبث فيما بعد أن أكمل أبيات هذه القصيدة المؤثرة التي تعكس آلام الغربة وفرحة اللقاء بالوطن.

* * *

# الجنة أو النار

نحن جميعنا على مواعيد سفر. نقف في طوابير موانئ الرحيل إلى وجهتين لا ثالثة لهما، هما الجنة والنار، ولكل إنسان الخيار في حجز مكان سفره إلى إحدى الوجهتين.

* * *

# من يطفئ الشموس

يقول الشاعر:

**"تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد"**

أعرف أن النفوس البسيطة والعقول المتسطحة تحاول أن تتعاظم أمام العظماء من أهل المواهب القادحة زناد الدهر. فما أن يجد البعض مجرد خطأ أو هفوة أو سبق قلم عند أحدهم حتى ينقضوا عليه بشراسة، خصوصًا إذا كان يملك فوق نعمة الموهبة نعمة الثراء. إنها طبائع النفوس الصغيرة التي يقتلها الحسد والغيرة. فاقعد مكانك أيها الباحث عن عثرات العظماء، فإنك لن تستطيع أن تطفئ أنوارهم فهم الشموس.

* * *

# ترويض الملل

كيف تستطيع أن تجعل من الملل أملًا، وأن تستبدل الحزن بالفرح، فقط حاول تصغير صور الإحساس بالأشياء المتعبة الجالبة للكآبة، وزرع ابتسامة على ثغر كل ألم وهم وحزن ينتابك، وتكبير صور الأشياء المبهجة بالمقابل. صحيح أننا لا نستطيع في كل مرة أن نفعل ذلك، ولكن علينا المحاولة لنعتاد.

* * *

# الجهل عمى الفكر والقلب

**للجهل مراتب هي :**

١ ـ جهل.

٢ ـ جهل مركب.

٣ ـ جهل متعالم.

٤ ـ متجاهل عالم.

**فالأول والثاني** يجب الإعراض عنهما لقوله تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف، ١٩٩].

**والثالث والرابع** من أوجب الواجبات أن لا تصمت عن اعوجاجهما، كي يعودا إلى الرشد أو يمعنا في الجهل، فيستوجبا عقوبة تعديهما على العلم والعلماء والأدب والأدباء وأهل القيمة والقدر.

* * *

# أسئلة مربكة

ليس بالضرورة أن تكون الذاكرة حافظة لدقائق النصوص العلمية والأدبية التي يقرأها المرء. إذ تكفي العودة إلى المتون والمظان والكتب التي تهم الباحث والدارس المعني بتحقيق موضوع ما، فيما تكتفي الذاكرة بحفظ المعلومات والقراءات الأهم التي تعلق في الذهن، سواء في المجالات العلمية أو الأدبية أو غيرها. إذ من المستحيل على المرء أن يحتفظ داخل ذاكرته بكل الكتب والمراجع التي سبقت له قراءتها. ومع أن الذاكرة محدودة القدرة على استعادة التفاصيل والجزئيات والوقائع التي نعيشها، يستطيع العقل أن يتكفل بالتعويض عما ننساه، عبر التحليل والربط والاستنتاج ووصل المعارف المتناثرة.

❋ ❋ ❋

# موسوعات مستحدثة

موسوعة الصمت، موسوعة الموت، وموسوعة الوقت هي عناوين لموسوعات غير موجودة. فكيف تستطيع إنجازها بشكل فلسفي أو علمي؟ تلك بعض الأفكار التي خطرت لي ذات إطراقة، حيث رأيت في العدم نفسه شكلًا من أشكال الوجود. وما أتوخاه من قارئي العزيز أن يسهم في الإجابة عن مثل هذه الأسئلة المربكة، بعيدًا من القراءة السطحية للأمور.

❋ ❋ ❋

# الخطيئة الفطرة

قال لي: هل تهيأت للسفر إلى بلاد ذات القرار، وماذا أعددت لها؟

قلت له: نعم تهيأت، وأعددت لها أوزارًا وأخطاءً وذنوبًا كلما أحصيتها وجدتها تزداد كالمطر المدرار.

قال: هل تسخر أم تكابر أم تجاهر؟

قلت له: بل أعترف ولكن ليس لك، بل للذي قدر الليل والنهار، والذي خلق الإنسان من صلصال كالفخار والجان من مارج من نار.

قال: أنت تعلم أن هناك جنة ونارًا فأيهما تختار؟

قلت له: أختار أن أكون مع المصطفين الأطهار، مع النبي المختار عليه الصلاة والسلام، بمشيئة من قدَّر في اللوح الأقدار، وخلقنا أطوارًا، عالم الغيب والشهادة القوي العزيز الكبير الكريم الجبار.

قال: ولماذا تذنب وتعصي الواحد القهار؟

قلت له: تأدب مع من خلق فسوَّى وقدَّر فهدى. أتريدني عاصيًا لإرادة الله الفعّال لما يريد؟ هو سبحانه خلقنا خطائين أذلاء له مستغفرين. ولو شاء الله لنا العصمة من الذنوب والخطايا، لكنا من الملائكة في السماء.

قال: ألم يكن فينا رسول لم يعصَ الله طرفة عين؟

قلت له: ذلك تقدير العزيز الحكيم، فالعصمة للأنبياء والرسل وليست لحملة الأوزار.

قال: كانت الخطيئة واحدة في أبي البشر آدم، وتعددت واختلفت بين سائر البشر.

قلت له: خطيئة آدم موصولة بخطايانا، فاقرأ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [سورة يوسف ٥٣]. ذلك شرع الخطيئة المعجز، حين تكون نفسك من تحملك على الخير والشر "فالمستطاع مفعول والمعجز مأمول". وهذه عداوة النفس، فما بالك بعداوة الخلق لبعضهم البعض.

قال: فما العداوات إلا صنيعة التحاسد والتباغض وعدم القناعة وعدم الرضا بما قسم الله.

قلت له: نعم وهذه وتلك شريعة الله في الأرض لا السماء. يقول سبحانه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ [سورة الأعراف ٢٤]. العداوة إذًا أمر تكليف لآدم وحواء عليهما السلام، ولذريتهما من بعدهما. و"نحن مجبولون على العداوة وليس على المحبة".

قال: تلك إرادة إبليس.

قلت له: لا تكفر، بل هي إرادة الذي خلقك وخلق إبليس.

قال: إذن مصير الناس إلى النار بارتكابهم هذه الخطايا.

قلت له: وها أنت تتألّى على الله وتنسى أن رحمته وسعت كل شيء، حتى أن إبليس يتهيأ لها فيأخذ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأعراف ١٥٦]. وهو يحاجج ويقول: "رحمة الله وسعت كل شيء وأنا شيء".

قال: أستغفر الله أن أكون من الجاهلين.

قلت له: "ولولا الرحمة لحقت النقمة". فلا تمارِ في ما ليس لك به علم، وقل اللَّهم غافر الذنب، قابل التوب وشديد العقاب، انثر علينا من شآبيب رحمتك ما نستظل به من غضبك ونقمتك وعذابك. فما تفعل بعذابنا، وأنت يا الله لا تضرك المعصية، ولا تزيدك الطاعة. وأنت تعلم بضعف وقلة حيلة من خلقت. نفرُّ إليك ونلوذ بك ونستغفرك، فلا تكلنا إلى نفوس أضعف ما فيها الرجاء، وأنت أهل الرجاء والمرحمة.

❊ ❊ ❊

# للظالم عقابان

لا أحب الظلم ولا أسعى إليه، بل إنني أجبن من أكون ظالماً، لأن (الظلم ظلمات يوم القيامة). ولطالما نهى الله تعالى عن الظلم وتوعد الظالمين بسوء العقاب. وقد جاء عن النبي، ﷺ، في ما يرويه عن ربه عز وجل، أنه قال: "**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**". وكما قال الهادي البشير النذير: "اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"، وكم من مظلوم في هذه الدنيا رافع كفيه للباري، فيقول كما قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [سورة القمر، ١٠]. وكم يستبد الظالم ويظن الله غافلاً عنه، لكنه لا يعرف بأن السميع البصير العليم لا تخفى عليه خافية، فإذا أَخَذَ أَخَذَ أَخْذَ عزيز مقتدر. وربما يغفل الإنسان أو تأخذه عوامل الكبر والطغيان فيبتليه الله بشاغل يشغله. فالحياة لا تدوم لمن ملك فجار وقسا وأساء وقدر على الظلم على من لا يستحق إلا الكرم والكرامة. ومن العدل أن يقتص الإنسان لنفسه بقدر الإساءة التي واجهها، وعليه أن يأخذ بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، ١٩٤]. لكن العفو مشروط بالتوبة والعودة عن الظلم، وإلا فإن الله ينتصر للمظلوم ويعاقب الظالم في الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء، ٢٢٧].

❋ ❋ ❋

# الذاكرة المثقلة

لا تجهد نفسك في نسيان الأحداث المؤلمة. فهي تكون بذلك أكثر ثباتًا في الذاكرة، وكأنك توقظها من غفلتها، ولكن دعها تمتزج مع الأحداث السعيدة لتقل حدتها تدريجًا، إلى أن تصبح في مستوى التفكير العادي للأشياء. ستنضم عند ذاك إلى هوامش الذاكرة ولن تظل في متنها. لأن الأحداث لا تنسى، بل تختفي حتى توقظها أحداث وثيقة الصلة بها أو شبيهة لها، لأن حقائق الأحداث لا يمكن مسحها، ما دامت جرت ومرت على خلايا الشعور، إلا بالموت أو النوم أو الإغماء أو الجنون.

* * *

# الإبداع فيك

الإنسان عقل معجز لو أتيح له أن يجلو الصدأ عن نفسه لاستخرج كنوزاً دفينة من الإبداعات المتجاوزة للمنتج الفكري الحالي. ربما يكون إبداعك في كلمة أو معنى حاملًا لبذرة العبقرية، وإضافة حقيقية إلى عالم الثقافة والفن والفكر. فحاول أيها الإنسان أن تكتشف الإبداع الذي فيك، ولا تفقد ثقتك بما يلمع في داخلك من بروق. حاول ولا تقل "لا أستطيع"، لأنك تستطيع لو شئت، ولأن الذين استنطقوا الفكر العلمي والأدبي بشر مثلك.

* * *

# ملاحظة تفرض نفسها

هاتفني الأستاذ العالم الخِنذيذ الشيخ علي العبادي، مشيرًا إلى ما تعرض له شعر الشعراء الكبار المعاصرين لحقبة الملك عبدالعزيز رحمه الله، كالغزاوي والخطيب وغيرهما، من أخطاء مطبعية ما زالت تحتفظ بها دارة الملك عبد العزيز رحمه الله، بما نقل من صحيفة "أم القرى". وكان يود مني أن أفاتح بالأمر مسئولي الدارة في الرياض، لعلّهم يقومون بتشكيل هيئة لتصويب ما وقع على شعر الفحول الذين امتدحوا الملك عبدالعزيز رحمه الله، بما تم نقله غير منقَّح من الأخطاء، لئلا يتناقله الخلف عن السلف من دون تصحيح. لذا أتمنى على مسؤولي دارة الملك عبدالعزيز أن يأخذوا بملاحظة أديبنا الكبير العالم العلّامة الشيخ علي العبادي.

❊ ❊ ❊

# سرقة الأفكار

تقول لهم اكتبوا أفكاركم ولا تنقلوا عن الآخرين. وإذا نقلتم فأشيروا إلى المصادر. ولكنهم لا يريدون أن يفهموا، بل يريدون أن يثبتوا لك أنهم فلاسفة وأدباء وعلماء. تقول لهم إن ما تنقلونه وتنسبونه لكم هو سرقة لأفكار الغير، مثل سرقة الأشياء الخاصة بالآخرين. ولكنهم يصرون على غَيِّهم ويغضبون منك.

❊ ❊ ❊

# شواطئ الشمس

أحن إلى تلك الغرانق التي كانت تحط على شواطئها الملبدة بثلوج الشتاء. ما زلت أبحث عن الأيائل التي كانت تأتي قبل الغروب لتستحم بألوان الشفق تاركة انعكاساتها على بياض الأديم الثلجي. أحن إلى أهداب عيونها الواجفة التي لولاها لما استطعت التفريق بينها وبين بياض الثلج الناصع، يوم غادرتها وهي تتشبث بي كأنها تقول: لا ترحل، أريدك عنوانًا لعذرية الشمس. وهي في خدرها تنظر إلى قوافل الربيع الضاحك على ثغر الأمل. كان آخر عهدي بها دمعة انسكبت على خدود الثلج، ويدان تلوحان بالوداع، وعيون تلاحق البعيد الناظر إلى دمعة سكنت بين أحداقي. ثم انطفأ القريب والبعيد بيني وبينها. وأنا ما زلت أحن إلى تلك التي خفت عليها من حبي لتبقى خالدة على الدوام ذكرى الحب الأبدي. آه أيتها الساكنة في مصيري القديم.

* * *

# الثابت المعجز

تبدأ معرفة الأشياء بالفرضيات والاحتمالات والتجارب للوصول إلى النتائج والحقائق غير الكاملة. إذ إنه لا توجد حقائق كاملة في الكون، لأن من طبيعة الشيء التغير والتبدل والاضمحلال والوصول إلى النهاية. أحيانًا أنت تنظر إلى عمارة شامخة البنيان زاهية الألوان، وتقول: لو أضاف إليها المصمم لمحة جمالية في هذا الجانب أو ذاك لكانت أكثر كمالًا. وأحيانًا تقول: صحيح أنني أبدعت في لوحة أو قصيدة، ولكن لو وضعت كلمة أخرى مكان الكلمة الموضوعة لكانت أجمل. أو: لو أضفت إلى تلك اللوحة ذلك اللون الأخضر أو الأحمر أو الأبيض لكانت أكثر جمالًا. وأحيانًا ترى الأنثى وهي متأنقة بجمالها، وتقول: لو أنها لبست ذاك الثوب وخففت من تلك المساحيق لكانت أجمل، إلى آخر الأمثلة. والبعض يرى أن مسألة الجمال والذوق والرسم والشعر والنحت والكتابة مسألة تتراوح بين القدرة والتقدير الشخصي لذائقة العين والحس واللمس. وهناك من يربطها بالحرية الانتقائية لما تترجمه النفس. إذن حتى في الاختيار والذوق هناك شخصية للميول والرغبات تؤكد نقصان كمال الحقائق. أما أنا فأقول بانعدام الحقائق الكونية وتأكيد الحقائق الغيبية غير المرئية والمحسوسة. والثابت لدي أن المتغير والمتبدل والمضمحل والمنتهي ليس كالثابت. فخذ على سبيل المثال الحياة الدنيا، إنها شكل متغير ومتناقض ومنتهٍ في كل أحواله وأشكاله وتكويناته. أما الثابت فهو الله الذي هو المثل الأعلى والحقيقة الكاملة غير المرئية وغير المحسوسة. فما من أحد

استطاع أو يستطيع رؤية الله في ملكوته ولا صفاته، إلا ما جاء في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، إذ إنها تمثل الثابت المحقق لوجود الكامل. إذن، بنقصان الدنيا كمال الآخرة، وبالكمال تتجسد الحقائق، والحقائق لا تتغير وتحتفظ بالديمومة كالجنة والنار. لذا فالحياة الدنيا ليست أكثر من خيال كالحلم في عين النائم. فمن أنت ومن أنا؟ وما هذا الهيولي الذي يطوف من حولنا إلا لنعرف أن الحياة أضغاث خيالات قابلة التحقيق للثابت الغيبي المعجز.

* * *

# مكتي المعظمة

أيتها المقدسة المطهرة المكرمة مكة، موطني وموطن الآباء والأجداد، عذرًا إذا تغيرت ملامحُكِ علي، بعد أن كنت أجوبكِ طولًا وعرضًا سائرًا على قدمي من المسفلة إلى قصر الشيبي الذي هو حاليًا قصر الملك فيصل رحمه الله. وما خرج عن هذه الحدود لا يعتبر من حاضرة مكة المكرمة. فحواضر مكة كانت حواريها البدائية وأهلها البسطاء، مثل حواري الغزة وسوق الليل وشعب علي وشعب عامر والنقا والقشاشية وسوق الصغير والحلقة والشامية وجرول والزاهر والفلق وسوق المعلا والسليمانية والحجون وشارع المنصور والهجلة والزاهر وريع الرسام والدحلة، إلى الجميزة والمعابدة، إلى ما يعتبر في ذلك الحين من أقضية مكة، إلى عرفات ومنى والمزدلفة وغيرها. فقد كان ذلك التاريخ المنصرم مثارًا لأحلام الطفولة والبراءة والحب الذي يستجمع الحنين، مع قليل من الذكريات التي يجود بها الذهن، بعد هذا العمر الجميل الذي مر بي على ثرى النهار والليل المكي، حين رسمت لوحاته قصائد من ألق الكعبة المشرفة، وعلى خطى مشاها النبي العظيم محمد بن عبدالله صل الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. ولم أكتب ما كتبت إلا عشقًا لأهلها بحكمتهم وذكائهم وخبرتهم وتجاربهم وشقاوتهم وعداوتهم وسذاجتهم وعلمهم وجهلهم، عندما التحقوا بمدرسة الحياة يتعلمون منها ما يضرهم وما ينفعهم. هكذا كنت أيتها الحبيبة مكة المكرمة عاشقة لكل مسلم ومعشوقة من كل مسلم.

كان الحلم في مكة أجمل والبسمة أصدق والوفاء أثمن، قبل أن تصبح في سَمْتِها الجديد، وهي ترتدي من الفسيفساء والرخام الإيطالي والثريات والكشافات والمصابيح البلجيكية والتشيكية والفرنسية والإيطالية وغير ذلك.

اليوم أيتها الحبيبة مكة نعيش على أطلال ذكرياتك معنا عبر عمر قصير، ونراك وأنت في ثوبك البهي عروسًا مزينة بالبياض. ولكن تفصل بيننا فواصل الغربة والغريب. فاعذريني أيتها الحبيبة مكة، حين تغيرت ملامحك علينا، وصرنا نتوسل الماضي ليدلنا عليك ونحن فيك، لعلّنا يومًا نفيك بحسن العمل فيك بتوفيق الله أيتها الحبيبة مكتي المعظمة.

* * *

# الموجود لا المعدوم

من غباء وجهل الملاحدة أنهم يطلبون دليلًا على وجود الله، ولو أنهم نظروا وتفكروا وتدبروا لوجدوا الدليل في أنفسهم، حيث خلق الله لهم السمع والبصر والقلب والعقل وسائر الأعضاء التي تعمل بقدرته من دون توقف، وبتنظيم دقيق معجز، فكيف بجهلهم يعترفون بوجودهم وهم خَلْقٌ في الحياة، ولا يعترفون بمن خلقهم، فالمعدوم غير موجود والموجود غير معدوم. ثم هل تفكروا في خلق السموات والأرض والنجوم والكواكب والشمس والقمر وراء الأجرام التي كان يمكن أن يصطدم بعضها بالبعض الآخر، لو لم يكن هناك خالق ومدبر ومسير لها ومنظم لحركاتها في المجرة الكونية. فليس من المعقول أن يوجد من اللاشيء شيء، وإلا كان لا شيئًا، وكيف يؤمنون بحقيقة الموجود ولا يؤمنون بحقيقة الموجد للموجود؟

* * *

# حذار من الاستبداد

لا أعرف كيف استطاع الأوروبيون تطبيق النظام حتى غدا العدل والمساواة واحترام الذات الإنسانية شريعة وقيمًا وعملًا وبناء للعقول. لا أدري إذا ما كان سيأتي على البلدان العربية ذلك اليوم الذي نرى فيه القيم الأخلاقية وقد سادت بين الناس من دون تفريق أو تمييز. وهل سيعي الشعب العربي قيمة النظام والتنظيم، ليرفع عن كواهله أثقال الظلم والاستبداد والفوضى وعوامل الهدم النفسي للإنسان، وذلك قبل أن تلتهم إنساننا أشداق الأرقام ومخالب الوحوش الآدمية التي تنتظر الفرصة السانحة للانقضاض علينا. آه وألف آه أطلقتها وأطلقها الآن. فمتى يفهم الغافلون ويدركون سوء المصير الذي ينذر بهول عظيم؟

❋ ❋ ❋

# حين القيامة

هل بدأت أسطورة الإمبراطورية الأمريكية تتهاوى؟ نعم، لأن أهداف سياستها تقوم على الترهيب والقتل للإنسان.

هل يظهر في الأفق ظهور إمبراطورية قادمة تتزعمها الصين وروسيا؟ نعم، وبالذات التنين الأحمر الصامت والذي اكتسح العالم تقنيًا وصناعيًا وأصبح سيد الاقتصاد العالمي.

هل يعتبر عهدا الرئيس الأمريكي بوش الابن والرئيس الحالي أوباما سببًا في إضعاف أمريكا؟ نعم، لأن كلًّا منهما انتهج نهجًا خاطئًا. الأول يحمل رسالة الخراب، والثاني يحاول النظر إلى أمريكا ويخاف على تاريخه فقط، لا على تاريخ البلاد والشعوب.

هل سيلعب الرئيس بوتين لعبة الموت لتدمير روسيا بتلك العنجهية والغطرسة غير المدروسة وغير الحكيمة؟ نعم لأن الرجل يعيش جنون العظمة على حساب وطنه وشعبه، وسيصحو يومًا على ثورة الشعوب ضده، سواء شعبه الروسي أو الشعوب المجاورة.

هل سيكون مصير الشعوب العربية مصيرًا مفتوحًا على الخراب والتدمير؟ نعم لأن الفساد بلغ ذروته في البلدان العربية، ولأن النظرة الكيانية تطغى على ما عداها، ولأن القيادات السياسية تهتم بالمناصب والكراسي وتكديس الثروات، لا بمصالح الأوطان والشعوب.

هل يوجد حلٌّ ما لإنهاء الصراعات الدموية التي يشهدها العالم؟ نعم، ولكن بقيام القيامة.

# لا يعقلون

ألم أقل لكم إن هناك من يقرأ ولا يفهم. لقد كتبت ضمن خواطري خاطرة تقول: "خلق الله الشيء من اللاشيء"، فتوجس البعض خيفة وجهلًا بما أعنيه. ولو أنهم قرأوا الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان، ١]. أقول لو قرأوا القرآن جيدًا لعرفوا ما تعنيه الخاطرة. فواأسفي على من لا يتدبر ولا يتفكر، ولا يقرأ القرآن الكريم القراءة الحقة والصحيحة، ففيه الكنوز التي تغني حياة وعقل المسلم، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

❋ ❋ ❋

# استنزاف الثروات

تضع الأمم المتقدمة في رأس أولوياتها مشاريع البناء والتنمية وتوفير المرافق والخدمات. أما نحن فننجز المشاريع بشكل ارتجالي، ثم ما نلبث أن نهدمها بهدف إنشاء البنى التحتية. هكذا ترتفع التكاليف أكثر بكثير مما لو تم تنفيذ البنى التحتية قبل القيام بالمشاريع. وهذا يمثل استنزافًا للثروات وتبديدًا للمال العام، ويؤدي إلى فقر الدول مهما طال الزمان.

❋ ❋ ❋

# أطلال الذكريات

واقف على انكسارات نفسه، يبلل أطلال الذكريات بدموع القنوط الذي ارتسم على محياه الحزين. كأنه يتنفس هواء اللاجدوى، ويرخي جفونه الذابلة على خيوط الوقت. أرسل للريح رسالة كتبها بنبضات قلبه، رسالة لا يفك أسرار كلماتها إلا هو نفسه، وهو يعلم أن الرياح عجماء لا تملك فهمًا إلا لما سُخِّرت له، لذا استودعها بوح نبضاته وأنين عمره الواهي، وهو يحفر في جديب الغموض، ويواري جراحه خلف أضغاث أحلام ظنها ستحمله يومًا إلى جنات الدنيا. كان يداري حزنه بالضحك قبل أن تقتلعه أيادي القسوة من تربة أمنياته الوارفة. نظر إلى الزهور التي غرسها، وقد استقام عودُها، واستوت على سيقانها، وأورق طلعُها نباتًا مختلف الألوان. كان يتوجس من صقيع البدايات الباردة، ويرتجف من برد النهايات القارصة، وكأن حقيقة نفسه تتجسد في مرآة الذبول، وهو لا يكاد يلوي على أمل أضاعه في شرخ الصبا. أما المستقبل فلا يرى فيه غير السفه والخديعة والظلم والبؤس بكل أشكاله، حين يترافق الكذب مع النفاق للاستقواء على براءة الضعاف الساكنين في كهوف الألم، ممن ترهقهم ذلة أنوات الكبرياء وتجتث بقايا النبت الذي تقتات به أجسامهم، فبدوا وكأنهم أعجاز نخل خاوية. كان يهذي وتتلعثم الكلمات في لسانه. وهو يرسم على الأديم صورًا كالحة لبؤس البشر وعجزهم عن الاستقامة.

***

# الأبدية والخلود

أزيد على ما في القواميس من ترجمة وشرح لكلمة الأبد والخلود.. فالأبد موقوت بالزمان والخلود موصول بالذات والمكان، فالله أبدي خالد الذات، والمكان أزلي يبدي ويعيد ولا بداية له ولا نهاية له، والخلق أبدي التكوين يبتدي وينتهي، فالأبد ما أبد الدهر، والخلود ليس له نهاية. يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن، ٩ و١٠]، فلو لم يتصل الخلود بالأبدية لما تحققت الديمومة، لأن الأبدية محددة بالزمان، والخلود انضواء الزمان والمكان في ما لا نهاية له. تقول: "ارزقنا العفو والعافية أبدًا ما أحييتنا"، أي إلى حين موقوت بالحياة والزمان. وتقول: "ربِّ اجعلنا في الجنة خالدين فيها أبدًا". فالخلود طوى الأبدية في ما لا نهاية له لانعدام الزمان والوقت، فلا نقول إن الله أبدي بل هو الخالد الدائم المستمر الذي يتسم بالأزلية المعجزة، فالأبدية تطلق على المخلوق من الخالق، ولا أرى إطلاقها على الخالق لأنه خلق الأبد وجعل الخلود للأبد بأمره. فالمخلوق زائل، والخالد باقٍ مستحيل الزوال والعدمية والنهاية، والمتحقق بالخلود الأسمى بالدوام والاستمرار ليس له بداية ولا نهاية والله أعلم.

* * *

# من نحن؟

من نحن؟ لا أعرف. أنظر إليك من خلال ما يسمى بالعيون، وتنظر إليّ أنت أيضًا، من خلالهما تسمينا ومن هم مثلنا بالإنسان، لنا أجسام تتراوح بين الطول والقصر وبين النحافة والسمنة والامتلاء، تشكلنا بأشكال وفوارق وألوان من يرى فينا الجمال ومن يرى فينا القبح، من يرى فينا الصحيح، ومن يرى فينا العليل، ومن يرى فينا البياض، ومن يرى فينا السمرة، ومن يرى فينا السواد. لنا قلوب شتى وميول وأهواء ونحل ومذاهب وأفكار وآراء، لا تجتمع ولا تتحد. كلٌّ يرى ما لا يراه الآخرون في نفسه، وفي معاشه، وفي اختياراته. آمالنا أكبر من أحجامنا، بل وأكبر من حياتنا. نريد ما نعجز عن نواله، ونرفض ما نرغم على قبوله. نولد ونكبر ونهرم ونشيخ ونموت. نفرح ونغضب ونتألم ونحزن ونبكي ونضحك. عقلاء في لحظة، مجانين في لحظة أخرى. تتملكنا القسوة والطيبة واللين، في أقل من لحظات نثأر نسامح نعفو نصالح. نتكابر نتعاظم نختال. نضعف نتوسل نرجو. نكون فقراء ثم أغنياء. يوجد بيننا كرماء وبخلاء ومقترون ومؤثرون الغير على أنفسهم. ندعي ملك الأشياء ونحن مملوكون مفارقون كما ولدنا عراة نعود إلى الرموس عراة. نتزاوج نتوالد نتكاثر. نحب ونبغض. نتذكر وننسى. نشجع ونجبن ونخاف. نتعلم ونتفوق ونفطن ونجهل. نبدع ونصنع ونعمل. نكسل ونحبط ونيأس. نَقتل ونُقتل. هكذا نحن بلا عنوان، بلا قدرة، بلا معنى، أتينا لنذهب ونكون أشياءً منسية. لا أعرف من نحن؟ وكيف نحن؟ ولماذا نحن؟ وهل نحن؟

ومتى نحن؟ وأين نحن؟ وإلى أين نحن؟ وسنغادر ونرتحل ونمضي. فإذا كنت تعلم علم اليقين من نحن، من خلال تلك الاختلافات، فأجب غير متخرصٍ ولا مفترضٍ، بل إذا استطعت أن تتحدث مع روحك إن هي أجابتك، قبل أن تكون في علم الغيب، فتعلم ما لا تعلمه في الدنيا، فتكتشف سر الأسرار وعلم المحجوب والمغلق. وستعلم بإرادة الله، بعد الرحلة الدنيوية، من نحن! إذا تدبرت في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق، ٢٢].

* * *

# نهنئ مصر بعودة مصر

نزف التهنئة إلى مصر بعودتها إلى عروبتها وإسلاميتها برئاسة المشير ع. السيسي، بعد أن كادت أيدي المتطرفين تلقي بها إلى التهلكة. وهو ما توقعناه وأشرنا إليه في كتابات سابقة. فالخيار كان اختياراً بين الرئيسين ومفاضلة بين الضدين وأخذاً بأفضل الاثنين. وقد رأينا وسمعنا وعشنا مخاضاً عسيراً مع الحكم "الإخواني" الذي يقوم على التفريق بين أبناء الأمة الواحدة، وعلى تفضيل حزب معين على شعب بأسره، كي تسقط مصر في أتون حرب طائفية لا ينطفئ أُوارها. وهذا الوضع هو من بين أهداف نظرية "الفوضى الخلاقة" الأمريكية الصنع. فهي خلاقة لأمريكا ومدمرة لأمتنا العربية والإسلامية. وكم نبهنا إليها الحكّام والشعوب، وبيَّنّا مدى خطورتها على الأمة العربية، منذ الأخذ بفكرة "الشرق الأوسط الكبير" الأمريكية، وصولًا إلى تحجيم روسيا وإضعافها عبر الحرب الباردة. فلأمريكا من القدرة ما تحوك به خطط إسقاط الدول، وتسليمها للأشخاص الذين تريد. ثم لا تلبث الدول المستهدفة أن يأكل بعضها بعضًا، بينما الأمريكيون يقفون كالحكّام في المدرجات، وصافرة الحكم في أيديهم. فهم ينهون المباريات متى أرادوا، وحين تتحقق أهدافهم. لذا أهنئ الرئيس السيسي على فوز مصر لا فوزه وحده، بأصوات حرة ونزيهة، ولو تدنت نسبة المشاركة في الانتخابات؛ ومن قبل شعب يكاد يتجاوز التسعين مليونًا. وهو أمرٌ مأخوذٌ في حسبان النابهين وعلماء النفس القادرين على تحليل الأفعال وردودها المقابلة، لشعب فقد الثقة في مصيره، بعد أن تظاهر بكل قوة، وتوحد على إزالة الفساد الذي انتهجته بعض

القيادات السابقة. وحسنًا فعل المشير السيسي حينما قطع الطريق على أمريكا وحلفائها في تنفيذ بقية نظريتها "الفوضى الخلاقة"، واستمرار مسلسل إسقاط الدول العربية وتدميرها بيد شعوبها، من خلال إجهاض ثورات الربيع العربي ومصادرتها. إن التركيبة النفسية المزاجية للكثير من العقول العربية ترى في الديمقراطية وجهًا من وجوه الأنا المفرطة، على اختلاف رؤاها وقراراتها. تلك هي الأنا العربية التي كانت أمجادها فردية لا جماعية، حتى قيض الله لأمة العرب رسولًا من أنفسهم، وهو النبي المجتبى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وهو من جاء بالدين وحيًا سماويًا لا بالنظرية البشرية الوضعية. حيث كانت دعوته خالصة لله، لم يبتغِ منها عرض الدنيا، وإنما كان يرى الجنة وقد أزلفت للمتقين. إنه محمد بن عبدالله، النبي الذي جاء بالهدى ونور الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وهو لم يأتِ لمجد خاص، بل إنه مبعوث الحق بالحق، وهو وحي عظيم شرع للناس بهذا الدين الحنيف ما رضيه الباري سبحانه لعباده، فكان المجد للمسلمين، وليس لثلة من الناس. وقد حقق ما لم يتحقق للعرب على مر العصور، حينما دخل الإسلام إلى قلوب الناس كافة، وساد المعمورة إلا قليلًا. ثم ها نحن اليوم ورثاء الهزائم العربية. فكيف لا يقبل الشعب المصري بالمشير السيسي مُخَلِّصًا ومنقذًا من أدران الفساد السياسي والإداري والمالي الذي أنهك كاهل المواطن المصري؟ لذا فإن وجود الرئيس السيسي في هذا الوقت العصيب الذي تعيشه مصر، هو الأمل الذي سيعيد من جديد كفة ميزان الوسطية الإسلامية، ويعود بمصر إلى موقعها الريادي المألوف، كي تعيد أمريكا النظر من جديد في سياستها تجاه الدول المستضعفة، وتتجنب المساس بسيادتها والتدخل في شؤونها وثرواتها، إلا في ما تقتضيه المصالح الأممية وفق أعرافها وقوانينها السائدة. وعلى أمريكا أن توقف تكتلاتها السياسية والعسكرية ضد الدول الضعيفة، بهدف ابتزازها ونهب ثرواتها من

خلال التخويف والتهديد تارة، والقوة العسكرية والتجويع تارة أخرى. وهذه هي لغة القوة التي ينتهجها القوي ضد الضعيف. ربما يأتي السيسي بما لم تستطعه الأوائل كما قال المعري رحمه الله.

إن مصر اليوم هي في عهدة الرئيس السيسي، وهو من وافق على حمل الأمانة التي حمَّله إياها شعب أرض الكنانة. وقد قبل بها عهداً وميثاقاً على الإخلاص لله والوطن. لعلّنا نراه في كل الأحوال منقذاً لمكتسبات مصر الاقتصادية، ليعيد إليها الروح التي فقدتها. وهو ما يستلزم وضع خطط مستقبلية تعزز السياحة والأمن والزراعة والصناعة في مصر، لتعود القلوب إلى اطمئنانها، وليسود العدل والحق. والسلام على مصر حين بزوغ الشمس وحين الغروب. إننا نقدم التهنئة، وندعو مصر وشعبها العريق الأبي إلى تجاوز ما تعرض له طيلة الفترة السابقة. ولهذا الشعب الحبيب نقول: لعلّها سحابة صيف وانقشعت، ليأتي بعدها الغيم الذي يسمح بمطر الآمال، كيما تخصب الأرض من جديد، ونرى مصر على ذرى المجد محققة لأهداف أبناء شعبها، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه اللهم آمين.

* * *

# أطفالنا مشاعل المستقبل

الملاحظ أن انتماء الطفل العربي بوجه عام، هو انتماء أممي بحيث لم تعد تمثل العروبة عنده إلا الانتماء المتصل بمسقط الرأس. وتلك نتيجة حتمية لسيادة الحضارة (الأورو أمريكية) وغزوها الداهم الذي يبدأ من خيالات الطفولة التي كانت ويستمر عبر العقول والأفكار، وعبر تقنيات العصر المعجز، بما أفسره بـ"الانفصام الصحي" بين المنظور المحسوس للعالم وبين حقيقة الوجود البعيد. فالخيال الطفولي لا يمر بخيال آخر مفاجئ ليتحول إلى ثقافات العالم المتحضر، إلا بوجود استعداد نفسي وأرضية مهيأة تجعله منفصمًا في أفكاره وسلوكياته. إن الطفل العربي يولد طفلًا، ولكن بمدارك الكبار (مجازًا) في الاستقلالية والتأثر والتأثير والفرح والتذمر والضيق والهم. وهو يريد أن يصارع الحياة لينتصر عليها، لا لهدفٍ معين بل لإثبات الذات وإثارة الانتباه. الخطورة تكمن في طلب غير الممكن، الذي حين يكون متعسر التحقيق يصبح صادمًا للنفس (الطفلة)، التي تسعى إلى تلبية الغرائز الحيوية الفطرية من جهة، وتتوق إلى تجاوز نفسها والتماهي مع الكبار من جهة أخرى.

ونحن نجزم بأن "الانفصام الصحي" للطفل العربي ليس مجرد ادعاء مزعوم، بل هو رؤية لا تخفى على كل ذي لب وبصيرة، حينما ننظر إلى ماضٍ غير بعيد، وحاضر أقرب إليه من حبل الوريد. ماضٍ كان الطفل فيه يتفاعل مع الموروث والعرف والتقاليد والقيم المتواترة عبر العصور. وهو

على سابق عهده يعيش مع خيالات ذاتية وأحلام وردية، ثم يغلب عليه النعاس وينام ليصحو على روتين يشوبه الملل، فيقطعه مرة باللعب وأخرى بالشغب مع أترابه. ثم ها هو اليوم يتعامل مع التقنية والحضارة الأمريكية والغربية وفق معطياتها العلمية بكل جدة ومهارة، فنرى بأننا إزاء طفل يسافر إلى عوالم الحياة بضغطة زر. فكيف سيتم التعامل مع الطفل العربي في تقبل "الانفصام الصحي" وترشيد أعماله في استقبال الواقع بقناعة ورضى. إن أطفال اليوم من الجنسين يريدون فرض رجولة مبكرة أو أنوثة مبكرة ليشعروا بأنهم لا يقلون عن أهلية الكبار في السن. لذا حين ينزل كبار السن من أمثالنا إلى مستوى تفكير الأطفال ليرتفع بهم ومعهم إلى حالة تناغم فكري، فإن ذلك لا يقلل من قدر الكبار، بل يسهم في إزالة الجفوة بين جيلين متعاصرين، ويبعد نزعة الارتماء في أحضان الثقافة (الأُورو أمريكية) المنبتّة عن واقعنا التراثي والعقائدي. وتلك بالطبع أم الكوارث، لأنها تقطع جذور التواصل بين أبناء الأمة الواحدة، وتدفع إلى الارتماء في حضن الرذيلة أو التطرف الإرهابي. لأن الانقلاب الثقافي العالمي وتطور التكنولوجيا المذهل، لم يتركا صغيرة ولا كبيرة إلا وحولاها إلى حقيقة ملموسة ومسموعة ومنظورة ومحسوسة. وقد سرت علوم العصر وتقنياته في الدماء، بشكل يصعب فصله عن كريات الدم العربي بحال من الأحوال. لذا نحن نتمنى أن يكون أسلوب التخاطب مع الطفولة خاليًا من الحدة ولغة الأمر والزجر، وباعثًا على غرس الثقة في نفس الطفل، حين نتعامل معه باحترام وتفهم، بعيدًا عن السخرية والتهكم عليه، أو التقليل من شأنه. وعلينا أن نحرص على متابعة ومراقبة السلوكيات الطفولية، على نحو تربوي يتسم بالقبول والرفض والإقناع، ومحاولة غرس الابتسامة في الوجوه، وتقديم رسائل الفهم والإفهام من خلال فكر يبني ولا يهدم، ويسعى إلى تنمية القدرات والمواهب والإبداعات الخلاقة، فالطفل هو

الغرسة التي يجب أن تُسقى بماء طهور ذي صلة وثيقة بتراثنا وقيمنا الأصيلة، وبثوابت العقيدة التي لا تقبل المساس بها. فنحن الآباء والأمهات من يتعهد براءة الطفل وصفاءه الأول، ثم يأتي دور المدرس والمدرسة في استكمال بناء الشخصية العلمية والأدبية له، وعلينا أن لا نستهين بالدور الخطير للمربين والمدرسين، الذين قد يتجاوزون كل المحاذير بتصرفات غير مسؤولة تترك آثاراً وخيمة على نفسيات الناشئة، فضلاً عن المناهج الدراسية التي انسدلت فوقها خيوط القدم من دون أي تحديث. وبالرغم مما طرأ على التعليم، في كافة مراحله، من نظريات حديثة أثرت المناهج التربوية، إلا أننا لا نزال نحتاج إلى نقلة تصحيحية ومراجعة للمناهج، لمواكبة وسائل وطرق التعليم المتطورة في العالم المتقدم. وذلك بما لا يتعارض مع الثوابت الدينية والأخلاقية. لقد آن الأوان للخروج بالطفل العربي من وهدة الخوف والتردد واللؤم في اتجاه الثقة بالنفس والاعتماد عليها، لأن أطفالنا هم مشاعل المستقبل ومنارات الفكر العربي والعالمي.

❊ ❊ ❊

# حزين الزمان والمكان

أقف على شرفات الوقت وأتنفس هواء حزني العميق، وحول جدار صمتي أسمع تمتمات أصداء تهمس إلى بعضها: لماذا هو موغل في حزنه وكأنه ما عرف الفرحة قط؟ لكم نراه يعتزل الناس في كهف وحدته ولا يريد أن يفارق الظروف المؤلمة؟ والبعض يهمسون ويتمتمون وينظرون إلى ترفي بأطراف عيون ناقدة، ساخرة، وناقمة ويسألون ألِمِثلي تخلق الأحزان ويرتسم على محيّاي الضيق والضجر؟ هم كذلك يتصورون ويتخيلون ويفلسفون وجدي وألمي بالوهم والادعاء والزيف، لأنهم في تخرصاتهم يهيمون غير ناظرين إلى حقائق الضغوط التي لا يستشعرها إلا ذوو الأحاسيس الإنسانية المرهفة. نعم أنا حزين إلى حد الوجع الدامي، وسأكون صادقًا مع أحزاني حين أرى هذه الدماء وقد تناثرت هنا وهناك، مخلفة بركًا ومستنقعات من نزف القتلى على أديم الأرض. إن الدول الكبرى تتفنن في صنع آلة الحرب والقتل والدمار، ثم يسألون عن الحزن في نفسي وسبب اعتزالي الناس والزمان. فبأي فرحة ألتقيهم، وأي بسمة وأي بهجة؟ أيها السادرون العاكفون على اختلاق معاذير الصبر، أنتم لا تدركون ما في الغد القريب، لذا فإنكم تحلمون بجميل الآتي. والآتي يلوح بنذور شؤم عظيم، وقد تعبت حتى تملكني الهم والشفقة على مصير الإنسان القاتم المحلولك السواد. وأنا أدعو إلى سلام النفس وسلامتها، وهيهات أن يكون ما أتمنى. وعندما أيقنت أن لا فائدة من تعاليم الرسل ومحاذير الحكماء والعباقرة والشعراء والأدباء أدركت أن التشريع السماوي

أكبر وأقوى من آمال البسطاء والطيبين ومحبي الخير، حين قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة، ٣٦]. وهنا تفيد الآية التعميم وليس التخصيص، وإلا لكان الأمر الإلهي يخاطب المثنى وحده عبر أبينا آدمٍ وأمنا حواء. لذا لا تسألوا عن حزني، إذا كانت العداوة شريعة للبشر، لأني لا أحب أن أكون عدواً لأحد ولا قاتلًا لأحد. بل أريد أن أُلملم نفسي وأعتزل الزمان والمكان، وأنسى من أنا ومن أنتم. فلا تلوموني ولا تعذلوني. دعوني في عزلتي الكاملة وعيشوا عداوات بعضكم لبعض، حتى يحين الزوال الكلي للأرض. مع تحيات إنسان بلا اسم ولا هوية ولا زمان ولا مكان، ولا يدري من هو.

* * *

# اليمن الحرب والتوقعات

الحرب التي تجري في اليمن هي حرب قاصمة للظهور. وهي ترمي بشررها وتتأججْ منها نيران لا تبقي ولا تذر. هي التي سوف تأكل الأخضر واليابس، ليس في محيط اليمن فقط وإنما سيطالُ أُوارها دول المنطقة، بدءًا من دول الجوار.

وكنا قد أسلفنا القول مرارًا بأن دول منطقة الخليج يجب أن تحتوي ذلك المارد الذي يتضور جوعًا، وأن يسكنوا جوعه ويلموا شعثه، ويداووا ألمه كي لا يصبح داءً عضالًا معديًا يفتك بالمنطقة وبمن حولها. إن الفاقة والعوز يزرعان في الإنسان شعورًا بالقهر والغضب والرغبة في الانتقام من الآخرين وبخاصة المنعمين منهم. إذ ليس لديه ما يخسره وهو يرمي من يُحيطُ به من الدول. يفجرُ طاقات الحقد قنابلَ لن يسلمَ من نارِها أحد. واليومَ بات الحوثيونَ رقمًا صعبًا في القضية السياسية، خصوصًا أنهم وجدوا المعين والسند الذي يغدقُ عليهم السلاح والغذاء والمكافآت والإغراءات المالية، والعرب في غفلةٍ من أمرهم. لقد خسر العربُ اليمنَ. وهم غافلون عما يُحاك لهم من خُططٍ تدميرية لبلادِهم وشعوبِهم. بل إن الأسوأ قادمٌ ليُهلكَ الحرثَ والنسلَ. فإيران لم تقدم ما قدمت لأجلِ سوادِ عيونِ اليمن، بل إن دوافعها أكبر مما يعتقد البعض، أن تحقق أكبر أهدافها البغيضة، أي تحقيق نظريتها التي تُعرف بـ"المثلث الشيعي". وهنا تكون قد طوقت كامل المنطقة العربية، ابتداء من العراق وسوريا إلى اليمن. ومعروف عن رجالِ اليمنِ أنهم رجالُ

حربٍ منذ سالف التاريخ، فالموت لديهم والحياة سيان. لذا فإن المشكلة اليمنية ستكون هي أم المشاكل التي لم تدخل في حسابات الساسة العرب الذين أغفلوها عن دوائر اهتماماتهم الإقليمية، وهي لم تنشأ في غيبة المشيئة الأمريكية والأوروبية، وإنما هي واحدةٌ من ضمن تكتيكات النظرية الأمريكية "الفوضى الخلاقة". ومصيبتنا في عالمنا العربي أن الفكر السياسي غائب ومعطل والقرارات المصيرية بعيدة عن متناول الشعوب ورجال الفكر والثقافة والوعي. وكأن الأوطان تتمثل بمجموعة قليلة ومتحكمة. وغالبًا ما يتم في العالم العربي تهميش المخلصين من أبناء الوطن الذين هم أكثر حاجة إلى الحفاظ عليه واستقراره وأمنه. والطامة الكبرى تتمثل في استيراد الأفكار والخطط من الخارج الذي لا يسره إلا الإيقاع بأمتنا الإسلامية، وبث الفرقة ودواعي العداوة بين شعوبها. إن الفرقة هي ما يعمل ويسعى إليها العدو، وقد نجح في ذلك. وهو يبتز ويساوم بحجة الحفاظ على أمنِنا الموهوم، إلى أن تضعف موارد الدول العربية الغنية فيشيح العدو النظر عنها، وقد أشعلوا نيران الفتن والحروب الكارثية. ولو نظرَ العاقلُ إلى نبضِ الأحداثِ الجاريةِ منذ حرب الخليج إلى اليوم، لعرفَ أن اللاعب الأساسي فيها هو أمريكا وأوروبا. لأن أمتنا العربية عاشت في التيه لأكثر من قرونٍ، وهي تقتاتُ أوهامها وتُغري بمواردها وتكنز الأموال، ولا تعرف أنها تكنزها لغيرها من الذين يُساومون على (إما وإما)، وهم في ضعفهم هذا محقون في الالتجاء إلى عدوهم وتمليكه أمرهم. لأنهم لا يريدون سوى أن يستمروا في مراكِزِهِم، ولكن هل علموا إلى متى؟ إن المشكلة اليمنية، وهي تطلُ برؤوس شياطِينِها الفارسية وفروعها من الحوثيين، آخذة في الاستعار لا محالة. وإن امتدادها في محيطها الإقليمي سوف يؤثرُ تأثيرًا بالغًا في مستقبل المنطقة برمته، فهل من مخرجٍ مشرف لهذه الأزمة؟ نعم. اسألوا أهل الذكر إن كنتم تريدونَ الخلاصَ، ولكن

بعقولٍ مفتوحةٍ ونفوسٍ تثقُ في المخلصينَ من أبناء الأمةِ العاقلة، بعيدًا عن لأنا وترفع القلة عن النظر إلى المجموع. فمن ينصُرَ الأوطانَ ويحميها ويفتديها غير أبنائها، فهل من مذكرٍ؟

* * *

# حتى لا تعمى البصائر

إنني أحترم الذي يكتب سطرًا مفيدًا من بنات أفكاره، لا من ينقل وينسب إلى نفسه أفكار الآخرين. فذلك السطو الفكري هو المجرَّم قانونًا وأدبًا وعلمًا. وإنني أعلم علم اليقين أن الكثيرين يرتكبون هذا العمل المشين، ويبررونه لأنفسهم بحجة أن الغير يفعل الشيء نفسه، فلا ضير من أن يسرقوا ويظهروا أمام حذاق الأدب والعلم والفلسفة والشعر، وأمام النساء المعجبات، بمظهر المبدعين والمفكرين. وهو ما يشكل مدخلًا للتعارف والصداقات، وإنها والله لمذمة وعار، لو كانوا يعلمون. إن من يقرأ هذه السطور الآن سيخجل من نفسه، ولكنه بجهله سيستمر ويكابر فهو إما كالطفل فاقدٌ للأهلية، أو كالمجنون حتى يعقل، أو كالمخمور حتى يفيق. وأعلم أن هناك من أصحاب العقول العاقلة من يؤيدني ويشد على يدي، لأنه يرى أن دافعي أكبر وأكرم من الاستهانة بعقل أي إنسان، ولكن لتحفيزه وتشجيعه على أن يكتب فكره هو لا فكر سواه. فهو لا يعلم أن هناك خصوصية وهبها الله لكل إنسان، يختلف بها عن الآخرين. فقط ثق بفكرك واكتب ما يروق لك بالمنطق والمعقول، وستجد أن لك ما يوجب الاهتمام والتقدير. وإذا أحببت أن تنقل للفائدة فعليك الإشارة إلى المصدر، لتكون صادقًا وشريفًا ونزيهًا، والله ينور البصائر حتى لا تعمى القلوب التي في الصدور.

* * *

# لا نامت أعين الجبناء

الأجيال العربية المعاصرة تبدل القيم الأخلاقية الموروثة بالقيم الأمريكية والأوروبية، حتى في الشكل والكلام والزي والأسلوب، لتكتمل فصول التبعية والعبودية تحت مظلة الإغراءات المتعددة. والنظرية الأخيرة هي قتلنا بأيدي بعضنا البعض. والمضحك المبكي أن الدول الكبرى تقدم لنا السلاح الفتّاك كهدايا مدفوعة الثمن، وتنشئ المنظمات الإرهابية، وتدربها، وتعود لتقتل أفرادها بذريعة الإرهاب، وبطلب من العرب المستضعفين. إن الصراع الذي يتم بكلفة باهظة سينهك الدول العربية الغنية، ليعود العرب كسابق عهدهم إلى الخيام. فانتظروا فصول المخططات القادمة، وإني معكم من المنتظرين، "فلا نامت أعين الجبناء".

*** 

# شقاوة الشيخ الطفل

امتشاقكِ لسيوف عينيك وضربك لضعاف القلوب ظلم.. ابتسامك لوجوه البدور يحمل الغيرة عليك. هبات النسائم الباردة على جدائل شعرك الملون بألوان شمس الأصيل وتطاير تلك الخصلات على مفارق الزمان، هو السفر إلى سماء الأمل إليك. يا من تسامقت كتسامق النخيل، وتضرجتِ من حُمرة الورود، واكتسيت بلون الشفق، وتأَرجتِ بزهر الياسمين، وتخلَقتِ من طينة السنا. أنت من أَنت؟ كل الذي أعرفه أنني همت فيكِ وأنت تقولين: هيا تعال لنمارس الحب الطفولي. وأنا أخاف عليك من طفولة شيخ يصبو إلى العشق من جديد. فإما أن تعذريني وإما أن تتحملي تصابي العاشق الذي سيثير فيك شقاوة الشيخ الطفل.

* * *

# علم اليقين

علم اليقين هو العلم الخالص من الشك والتوقع والافتراض والظن والتخرص والتخيل. وهو علم الله في كماله، لا يحيط به الخلق في نقصانهم، إلا من اختصه الله بنواله في ما يحتاج إليه جوابًا لسؤاله عما ينم عن معرفته بحاله ومعاشه. وما يتحقق بعد مماته قدراً مقدراً لذاته وذوات الخلق للقادر الخالق في غيبه، مكتوبًا في صحائف الكون الأزلية.

# لا تقلد

يظن البعض أن الإبداع وقْفٌ على شخص بعينه، ولو علم هؤلاء أن في داخل كل إنسان بذرة إبداع كافية لا تحتاج إلا إلى من يستخرجها من أعماقه، لكفُّوا بالطبع عن هذا الاعتقاد أو الظن. فاكتشف موهبتك، ولا تقتلها بالخوف والخجل والتقليل من شأن نفسك. إذ ربما تكون أحد النوابغ أو أحد العباقرة الذين يمكن لهم أن يغيروا مسار التاريخ الإنساني، ويترك فتحًا مبينًا في أفق العلم والفكر العالمي. لا تقل "لا أعرف". لا تقل "مستحيل". فكر، انظر، تدبَّر، حلل، افترض، قدّر، جرّب، أخطئ، عدِّل، اكتب، امحُ، أثبت، اقرأ، قارن، لا تمل، اعمل، ولكن لا تقلد.

❊ ❊ ❊

# ما يدهش الخلق

منذ فترة وأنا أستعيد قراءة القرآن الكريم بشكل مختلف عن القراءات العبادية والتعبدية والحكمية والتشريعية. فقد صرت أدخل إلى أعماق المعاني، وكلما قرأت وتمعنت في دواخل السور والآيات أخذتني الدهشة من عظمة هذا الكتاب، الذي يجمع بشكل لا مثيل له بين جدة الكلمات وجمالية الأسلوب والصياغة وبلاغة اللغة. فأنت تشعر بأنك لم تقرأ ما يماثله في كل فنون القول، منذ القدم وإلى يومنا هذا، ثم إذا تجاوزنا الكلمات والمعاني وولجنا إلى المضمون، نرى العظمة في السرد التاريخي والماهيات الإنسانية والأخلاقية والسلوكية.

فأنت كلما تقرأه ترى العوالم الكونية، صغرت أم كبرت، مجسدة في صور وأمثال نابضة بالحياة، حتى لتشعر بأنك رأيت الدنيا كلها في سورة أو آية. وحين تعرج على لغة الحساب والرياضيات تجد أفقًا من التعداد والأعداد اللامحدودة، فتستهدي إلى علم الحساب والرياضيات وتعداد السنين والأمم منذ بدء الخليقة. وإذا أردت أن تتفهم علم الهندسة، وكيف تم تشكيل الأرض والأجرام الأخرى، تجد المدهش والمعجز لمن ألقى السمع وهو شهيد. وحين تغوص أكثر فأكثر ترى الغيب في أسمى تجلياته، حين يخبرك العليم بعضًا من غيبه في الحياة والموت وما بعد الموت، وغيوب القبور وغيوب الجنة وغيوب النار، كما ترى العفو وترى ضده، من عقاب أشد على النفس من الموت. وإذا أردت التعمق أكثر في الهيولى العظيم بأجرامه، تشاهد

النجوم والكواكب والبدور والأقمار والسحب والغيوم ودور الماء في خلق الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء، ٣٠]. فبهذه السورة أنت تدخل إلى عوالم العوالم، ولن تنتهي لتجد الكون الفسيح بأمطاره وبحاره وأنهاره ينشأ من الماء ويتجمد ويتصلب ويذوب ويتقطر ويتبخر ويعود ثانية إلى الفضاء، في متوالية قدرية معجزة. ناهيك عن تنظيم الخلق في الحياة وتنظيم الحياة في الخلق، وتعاقب الليل والنهار. وإذا أردت أن تدخل إلى علم الفلك وانتظام الكون فأنت تجد ما يتعلق بنظام المجرات والأجرام، حيث الكواكب والنجوم في مواقعها، والإنسان في مواقعه، والأسماك في بحرها ونهرها، والحيوان في غابته. ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس، ٤٠]. وهنا ندخل إلى علم الفلك والطبيعة.. ومع ذلك فقد عجزت عن تفسير كل ما تحويه الآيات والسور، والتضمين وأبعاد التضمين، والمترادفات الكلامية، والعلوم التي عرفناها، والعلوم المقدرة للعلم بها لاحقًا. هذا هو القرآن الذي لا يزال علم العلوم الكونية لمن تفكر وتدبر وتعمق ودرس ونظر في أعماقه ودواخله، والذي لن يستطيع أي مخلوق أن يلمّ بكل إعجازه المنظور والغيبي إلا لمامًا، وبما ييسره له الله. وسيبقى الكثير والكثير مما سيفضُّ الزمان بكارة أحداثه، ليلد للعيون والأفكار من غيوب الكون ما سوف يدهش الخلق، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، ٧٦].

* * *

# عصارة الوجود

كلام على قارعة الفضول تنبعث منه روائح الشهوات المتغلغلة في أعماق الطين الإنساني. كلام يعبر عن فطرة الشبق إلى أنوثة الذكورة وذكورة الأنوثة، حين تخرج عن إطار العقول إلى جنون الرغبة التي تجري مجرى الدم في الخلائق بكل أجناسها وأشكالها، لتتماهى فيها الأحاسيس مع اللذة المنشودة لإرواء العطش. كلام يفصح عن نزوع كائنين بشريين إلى الإشباع الجنسي، أو إلى الاستجابة للفطرة المنتجة للتوالد والتناسل. على أن العلاقة الجنسية تتكوّن من طرفين أنثوي وذكوري، يطمحان إلى تفريغ شحنات النفس من نيرانها المتوقدة. على أن هذه الرغبة سرعان ما تخمد إذا لم تقترن بالعاطفة والسمو وحاجة الروحين إلى الاندماج. ولو نظرت إلى الفعل والفعل المضاد في تزاوج الكائنات والتقائها في خلوة الاستمتاع اللحظوي، بعد انتهاء عملية الامتزاج المؤقت، لضحكت كثيرًا وسخرت من رعشات بهيمية تجاهد لبلوغ الذروة في إطارها الحيواني المحض. ومهما حاول العقل التعفف والتنصل من الغريزة، لكنْ في عدم ممارستها احتقار للمخلوق ونعته بالنقصان، ورمي صورته الفطرية بالضعف أو العقم أو الموات الحسي. فالموضوع أكبر من القدرة على الامتناع أو إعلان الرفض لتلك الممارسات الحيوانية، لأن الرغبة جزء من الطبيعة البشرية ونوازعها المتصلة بالتناسل والبقاء على الأرض. فلو لم يحدث ذلك الامتلاء والتفريغ لتلك الشحنات من مقذوفات ماء الحياة، لحلّت العدمية، أو لكان لله تشريع آخر لكينونة الخلق.

ذلك أن ما ينتج عن لقاء الأجساد هو عصارة الوجود ورحيقه. والسبب في تشكل الحياة وجماليتها يتجسد في التقاء كائنين، يجمعهما الحب بتعبيراته الشهوانية والعاطفية، وتتحقق بهما إرادة الله كلي القدرة.

* * *

# نفوس مهزومة

أعطِ للآخر بعداً ومساحةً كي تكتشف دواخله، وتقف على حقائق عنه غائبة في اللاوعي، يكشفها للآخرين من دون دراية وحذر من كشف المخبوء الذي يعتمل في نفسه. فحين تنفلت أسرار كامنة في صدور تشتعل بالمواجد، وهواجس لا يجدر إطلاقها من عقالها، يغيب عن بال المرء أن هناك من يقلّب (بتشديد اللام) المعاني، ويدخل إلى أعماق الدوافع الحسية في الأشخاص، ليخرج بتحليل الشخصية الناقمة على واقع كينونتها. ساعتئذ يفتضح عُوار السخط ومثالب الاحتقان ضد الآخر، حيث يقوده عدم الرضا إلى أن يصب جام ضيقه وكرهه على أناس تحب له الخير وتتمنى له السعادة، فلا يستطيع الخروج من نفس المهزوم المأزوم إلى شعور القانع الراضي، حيث يغريه وهم التفوق الكلامي والتوهم بأنه فوق علم النابهين. وهو يظن أن علمه مهما تواضع يفوق علم الأغنياء، ظنًا منه بأن كل غني يجب أن يكون مفطورًا على الكبر والجهل وحب النفوذ، ويرضى بالكذب والزيف وتغيير الحقائق، وهو هنا ومن دون إدراك، يعبر عن جهل مركب حين يسمي الأشياء بغير معانيها، ويكون أول مزورٍ لحقائق الاختلافات الكونية في خلق الله. فهو ينسب إلى الغني فقر الأخلاق والقيم، وإلى الفقير الفضائل، وهو يستعيذ من حياة المنعمين. برغم أن الأخلاق والغنى والفقر إنما يكون تقديرها نسبيًا بين الناس. وهو في داخله يتمنى لو أنه أصاب الغنى والثروة. وعندما يرى الأمر خلاف ذلك يكيل ضد الأغنياء صفاتٍ ونُعوتًا كما اشتهت له نفسه، وبما يرضي غروره وعقد نقصه. فبدلًا من أن يحمد الله على ما قدره له من نعم،

تجده يعلن النقمة الكامنة في صدره ضد أغنياء المال ممن يفوقونه علمًا ونبالة ومروءة. تلك خلائق النفوس المريضة التي تصاب بوهم الأنا لتعوّض بذلك عن نقصان القدرة على امتلاك الثروة، فتنفجر مثل قنبلة موقوتة في نفس صاحبها. وليس بدعًا أن ترى من هذه النفوس الكثير الكثير، وهم حُطَّاب ليلٍ يهرفون بما لا يعرفون، مثلهم مثل الذين يحرفون الكلم عن مواضعه حين ترهقهم ذلة اقتفاء حياة المنعمين من الناس، فيحاولون النيل من سموقهم وعلو قاماتهم، عبر رميهم بسهامٍ مثلومةٍ لا تُؤثر فيهم بقدر ما تُؤثر في مطلقها وتُؤدي إلى هزيمة الرامي. أيها المسكين، كيف رضيت أن تعلن عن ضعف نفسك أمام الرقباء وحذاق الكلام والبيان، من دون أن تتلمس النجاة لا عبر التعريض بالآخرين، بل بمداواة فقر حالك وفقر أخلاقك. لم أكن أتمنى أن أراك في هذا الموقف الذي لا تُحسد عليه. زادك الله غيظًا في نفسك أو هداك إلى حسن العاقبة. وما أعظم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [سورة النساء، ٥٤]. فما أهلك الأمم إلا القعود عن تحقيق الأمل وترصّد الهمم العالية، ظنًا منهم أنهم قد شفوا أوار نقمتهم من قوم مؤمنين، وويل لمن تشغله أمور الناس عن أموره، فهو إنما يموت في اليوم أربعًا وعشرين مرة، لأنه انشغل بما لا يعنيه، فصادف همومًا تشقيه وتدنيه إلى مراتب الخسة والعار المخزي، فسحقًا لأناس يترصدون غيرهم، غير مهتمين بما يرفعهم، وتلك خساسة الطباع اللئيمة. فلا هي عملت لنفسها ولا هي تركت من يعمل في حاله، وسبحان القائل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء، ٣٦].

* * *

# داء عضال

أيتها النفس يا نفسي، إذا دُهيتِ بالظلمِ فعليك رده بالحق. فإن أبى الظالم فعليكِ بالصبر. فإن لم تقدري فاستعيني بالأناةِ والحِلم، حتى تري عاقبة الظالم، فإن انتصار الظالم بظلمه هزيمة يستشعرها ويسرها في صدره، وتكون أكثر إيلامًا في نفسه من وقع السهام. واعلمي أنك بذلك تنتصرين، وأن عجزك مقدرة. وأن مقدرة الظالم عجز وضعف وخسة وعار لا يستطيع التخلص منه. فإن أقسى عقاب على النفس استدامة الندم فيها، ليكون همًا كالداء العضال الذي يقتل صاحبه.

* * *

# الإقناع

الإقناع بالطرح الفكري يعتمد على طريقة الطرح وتنظيم مواد العرض في أسلوب تشويقي غير ملغز، إلى حد إشغال العقول بجدية المشاركة في النقد والتحليل والاستنباط. كما يتطلب التعمق في تهيئة العقل لفهم الفكرة أو المادة العلمية أو الأدبية. كما ينبغي ربط الأسباب بالنتائج في سياق مقنع ومدعم بالبراهين الحسية والتطبيقية.

* * *

# ممالك الشعراء لا تزول

تندثر الممالك والأمم ويبقى الشعر والشعراء الأفذاذ والمفكرون والمبدعون ملوكًا لا يزول ملكهم بوفاتهم، بل يبقون على مر الزمان، ولهم في كل فكرٍ بصمة لا تزول وفي كل وطن ملك لا يحول ولا يدول. ولا يعلو على قدر المبدعين سوى الأنبياء الذين اختصهم الله بكلمات السماء، وحيًا من الله، لإعلاء دينه وتوحيده. والشعراء الذين لهم فراسة العقل ورجاحة المنطق وحكمة القول وسحر البيان، هم رسل السلام والفضيلة والأخلاق على الأرض، لا يماري في قدرهم إلا جاهل أو منكر أو حاقد أو حاسد. وذلك لما آتاهم الله من سعة البصر والبصيرة ورجاحة العقل وبكارة المعنى وجدة الخلق البياني، ليصلوا إلى القلوب قبل العقول. ولولا الشعراء لانسحبت خيوط النسيان على آثار الشعوب وحضاراتها. وكم مر في التاريخ الإنساني من سلالات ملوك وأمراء حكمت لقرون عدة، بدءاً من ممالك حمير الأكبر والأصغر وسبأ الصغرى والكبرى وكندة والفرس والروم والفينيقيين والفراعنة والبيزنطيين والإغريق، وممالك الفرنجة في أوروبا، ولكن الجميع مروا مر السحاب ولفتهم خيوط النسيان، إلا ما جاء في الكتب السماوية، من اليهودية والمسيحية والإسلام، فعرفنا من وحي السماء أُممًا سادت ثم بادت، وعرفنا أسماء لملوكٍ وأشخاصٍ خلدتهم تلك الكتب كملوك اليهود والمسيحيين والعرب. وقد ذكر القرآن العظيم فرعون مصر وملكة سبأ بلقيس، والنبي الملك سليمان، ويعقوب، عليهم السلام وآخرين

ممن عددهم القصص القرآني، الذي لولاه لما عرفهم الناس. ثم يأتي الشعر الذي أشاد به الرسول الكريم في قوله "إن من الشعر لحكمة"، وقوله ﷺ لحسان "اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ". وهذا دليل على ما للشعر من قيمة ورسالة أخلاقية وتاريخية في حياة الأمم. وأنا هنا لا أعني إلا الشعر الفصيح الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [سورة الشعراء، ٢٢٤]. وكثيرون يصمتون عن إكمال الآيات اللاحقة، حقدًا من لدنهم على الشعراء. إذ إن الآية الكريمة تقول: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[سورة الشعراء، ٢٢٤-٢٢٩]. وقد تعددت التفسيرات في هذه الآية، ولو تدبرها عاقل لعرف أن الله لا يعني بالشعراء إلا الشعراء المشركين أو الشياطين الذين غلب عليهم الكفر، لا الشعراء الذين ينتصرون لله ودينه ويقارعون الظلم. فهؤلاء تكون درجاتهم كدرجة حسان بن ثابت رضي الله عنه، عندما هجا المشركين وانتصر لله ورسوله وللإسلام.

والشعر الذي ترك صداه في أمداء التاريخ هو ما جاء على لسان امرئ القيس والأعشى وحسان بن ثابت والنابغة وجرير وكعب بن زهير وزهير وطرفة بن العبد ومجنون بني عامر وعنترة بن شداد وغيرهم من فحول الشعراء العرب. وبعدهم يأتي المفكرون من أمثال ابن سينا وابن خلدون وجابر بن حيان والفارابي وغيرهم كثر. وعلماء اللغة من أمثال ابن طباطبا والجرجاني وابن منظور والباقلاني، ويتلاقى معهم في ضروب الشعر وفنونه شعراء وأدباء ومفكرو الفرنجة من هوميروس وشكسبير وجوته وكورناي وشوبنهاور ونتشه وسان جون بيرس وغيرهم من نوابغ شعراء النهضة الفرنسية والعالمية. وهؤلاء حولوا مسار الفكر الإنساني إلى إعمال الفكر بالتدبر والتبصر

في الكون، بعد أن أغلقت الكنيسة على موارد الفكر الخلاق وحجبت الرؤى تحت تسلط الكهنة وقمعهم لكل جديد. إن للمبدعين دوراً رائداً في إذكاء روح الخلق والاكتشاف، بحيث نرى اليوم المنجزات المذهلة للفن والعلم، وما لم يخطر من قبل على بال بشر. لقد نذر الشعراء والعلماء والمفكرون حياتهم وعقولهم للسفر إلى عوالم الكون، لاستجلاء المعرفة وكشف المخبوء وابتكار المعجز من العلوم التي نقتبس أنوارها ونستمتع برفاهية مبتكراتها، ابتداءً من العصور التي خلت ووصولًا إلى عصرنا الحاضر.

ثم ها نحن اليوم نعيش على فتات ما يجود به العقل الغربي والأمريكي، بعدما تراجع الفكر العربي منذ العصر العباسي الثاني وسقوط الأندلس وعصور الانحطاط، ومع وصول العرب والمسلمين إلى الدرك الأسفل من الانهيار والعجز عن صد العدوان من جهة، وعن استثمار العقول في تفجير الطاقات العلمية والفكرية والتقنية من جهة أخرى.

فماذا عمل العرب غير شراء التقنية، والاستسلام للرفاهية والدعة والتفاخر بالأموال التي سخروها للمتعة الشخصية ولإطفاء شهوة النفس والجسد. لقد قضوا في عبادة المال كما قال رسولنا العظيم صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس"، إلى نهاية الحديث النبوي.

فما الذي حققه أغنياء العرب من مجد لهم ولأوطانهم في عصرنا الحاضر؟ هل ابتكروا لأمتهم ضربًا جديدًا من العلم، ومجالات الطب أو الفلك أو الطبيعة أو التقنيات الحديثة وعلوم الفضاء والآلات والمحركات؟ وهل أتوا بفتحٍ جديدٍ يترك لهم خلود الذكر وعلو القدر؟ فليسوا هم من سن قانون الجاذبية، أو من صنع الدواء لتخفيف آلام الناس. ولكن الأثرياء العرب

ذوو نفوس وعقول مستهلكة للثروات، وغير جالبة لمعطيات النهوض بالأوطان، لأن فكرهم لا يتعدى الطمع الدنيوي. ومن سخف البعض منهم أنهم يرون في بناء عمارة أو إقامة مشروع وطني مصروف عليه من الدولة مجداً لهم. حتى أنني كم وكم استسخفت بعض الجهلة من بينهم، وبخاصة ذاك الذي سألني مرة عن أول من بنى الكعبة. فأجبته: "هو بالتأكيد أبو الأنبياء النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام". ثم أردف السؤال بآخر، ولكن بإمعان في الجهل، حين قال: "ومن آخر من بناها". فضحكت قائلاً له: "أتريد أن تقول: أنك آخر من بنى الكعبة المشرفة؟". قال: "وهل هناك شك، وأنت ترى شركتي وهي تعمل ليل نهار؟" فقلت "لا يذهب بك الوهم أكثر، فأنت تعمل أجيراً عند من استأجرك للكسب المالي. وأي مقاول آخر كان ليعمل عملك، لو أُسند له ذلك. ثم إن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل بنيا الكعبة بنفسيهما وأيديهما، أمراً من الله. وأنت لست الذي يبني. إنما هو العامل المصري والسوري واللبناني والباكستاني والفلبيني. وكل ما تفعله أنت هو الأخذ بأفكار الغير من أهل الخبرة والهندسة وتنفيذها. وسيجير كل هذا لسيدك وآمرك، ومن سيدفع لك. فأي مجدٍ تريد أن تلحقه بك وتوهم نفسك به؟ ثم يأتي آخر من أثرياء الأوهام العرب ليقول: "أنا أول من أنشأ مصرفاً". والمسكين يعلم في قرارة نفسه أن المصرف الذي أنشأه هو من أموال الناس البسطاء. وقد استعمله في المضاربات الربوية وبنى حياته وحياة أبنائه من المال السحت والعياذ بالله. ثم يأتي آخر ليقول: "أنا وكيل لشركة كذا وكذا". وتتوالى الأمثلة المشابهة، ليبقى السؤال: ماذا فعلتم، أيها الأثرياء العرب، لرقي أوطانكم؟ هل استثمرتم أموالكم في بناء مستشفيات، أو إنشاء مراكز للبحوث العلمية، وهل أنتجتم عقولاً تنافس العقول الغربية والأمريكية والروسية والصينية والهندية على أقل تقدير، أم أنكم كنزتم ما كسبتم،

بالباطل أو الحق، في البنوك العالمية التي يستخدم ريعها لتدمير أُمتنا المسلمة؟ أعرف أن هذا الكلام سيوجعكم، وسيعيش في تلافيف عقولكم ليؤرقكم ويعيدكم إلى أحجامكم الحقيقية، ولكن من واجبي قول الحقيقة مهما كانت جارحة.

أذكر أنني تحدثت في منزل أحد كبرائنا وفي حضرة أكثر من مائة ونيف من رجال الأعمال عن (بيل غيتس)، الملياردير المُبتكِر، وأضفت أنني سميته المبتكر لأنه حقق فتحًا علميًا جديدًا، ولم يعش على فتات العقول المخترعة والخلاقة. ثم قلت إن الملياردير بيل غيتس تبرع بنصف ثروته للفقراء والمساكين في مختلف بلاد العالم، من دون تمييز في العرق واللون والهوية. وإنني لا أطالبكم أيها الأثرياء العرب بأن تفعلوا فعله، لأنكم لن تستطيعوا ذلك، ولكن أخرجوا زكواتكم بحق الله، ولا تتحايلوا على غمط حقوق الله وأكلِها بالباطل، وسوف ترون كيف تنهض البلاد العربية والإسلامية في كل أرجاء المعمورة، وكيف تشدون العزائم نحو العمل والخلق والابتكار وتقليص مستوى البطالة. فأصاب القوم وقر وصمت مريع "كأن على رؤوسهم الطير". وخرج كل منهم يريد النجاة بأمواله من هذا القول القاتل بالنسبة إليهم. وهنا تذكرت الآية الكريمة في محكم التنزيل القرآني ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، [سورة الجمعة، ٥]، لأن الحمار يحمل الكتب السماوية والكتب العلمية، وقد يحمل الذهب والفضة ويقطع المسافات الطوال، من دون أن يدرك كنه ما يحمله، لأن مهمته تتلخص في حمل الأشياء على ظهره. وهذا حال الكثير من أثرياء العرب والمسلمين.

وبرغم ذلك الثراء تجدهم يتسللون إلى موائد الشعراء والأدباء، يسترقون ويقتبسون بعضًا من شعرهم أو من فكرهم لأنهم عرفوا أن المجد والبقاء والخلود للفكر الخلّاق، وللشعر الذي يحكي قصص الأزمنة والعوالم.

وقد ابتلاني أحدهم بأن أقوِّم بعضًا من كلامٍ اسماه شعرًا. وعندما قرأته قلت له يا أخي هذا ليس شعرًا. ولكني سأكتب لك شعرًا على منوال فكرتك، يمكن أن تنطلق لو وُجدت فيك الموهبة. وقد فرح لذلك وظن أنه وقع على ضالته، ولكنه مع الأسف لم يمتلك أي موهبة، فما استطاع أن يكتب شعرًا عموديًا كان أو أفقيًا. فراح يدفع الملايين لفنانات الصف الرابع اللواتي صرن يغنين شعره. واشترى أمسيات طوالًا لغناء شعره على مسرح الأوبرا. وهو إلى الآن يصدق أن ما يكتبه هو الشعر، فمرة يكتب باللهجة المحكية، ومرة يلصق كلمات فصحى بعضها ببعض ويظنها شعرًا، وهي كالكلمات المتقاطعة. فهو لم يكتف بالثراء المالي، ولكنه يُريد أن يُري الناس عجائب قدرةٍ زائفةٍ فيه. هذه بعض سخافات الأثرياء العرب، فضلًا عما يقترفونه من أفعالٍ دنيئة وسافلة في كثير من بلدان العالم. ولو جاءهم محتاج أو فقير يتضور جوعًا، لأشاحوا بوجوههم عنه وما أعاروه انتباهًا، ولم يصرفوا إليه نظرًا وبالًا. لكن بالمقابل تولد من أعماق عقول وقلوب الشعراء والعلماء والفلاسفة والمفكرين رسائل الفضيلة والعلوم النافعة. ويكون هؤلاء الجهابذة ملوكًا لا يزول ملكهم، ولا يدول في حياتهم ولا بعد موتهم. ولن أكرر أن هناك من مات من أهل الشعر والفنون والعلوم والآداب ولا يزال اسمه يرن في سمع الزمان والمكان، وتستشهد بأقواله الأمم إلى أبد الآبدين. ولكنني أيضًا أرى أن الشعراء الحقيقيين قلة، وليس كل من يدعي الشعر شاعرًا حتى ولو عرف العروض وبحور الشعر. لا. فالشعر هو رأس الفنون. ولا يستطيعه إلا من كانت موهبته أكبر من حجم جسمه، كالمتنبي وأضرابه. أما أن يركب مراكب الشعر من لا يعرف أن الشعر قضية ورؤيا تخترق العوالم، فذلك ما لا يقر به سوى السذج البسطاء. تمامًا كما هي حال الشعر النبطي الذي تسمعه وتشاهد الحضور الغفير الذي يختلف إلى حلقاته، وكأنه القول المعجز. وهذا أيضًا سبب آخر من أسباب اهتراء وضياع العقول العربية في دروب السذاجة والضحالة

والجهل، الذي يحاول أصحابه الإساءة ولو من دون علم إلى لغة القرآن الكريم بإحلال اللهجات القبلية محل اللغة العربية الأم، فتدخل العجمة إلى هذه اللغة. وهو أيضًا ما يسعد أعداء أمتنا العربية المسلمة، كي يحولونا إلى لغتهم ونذوب في قيمهم وعاداتهم وموروثاتهم العقائدية الأخلاقية، وهذه هي الطامة الكبرى التي يسعى لها الكثير بجهل لا يدرك أبعاده المستقبلية، وانجرارًا وراء حضارة القوى وإغراءاتها، ليسهل انقياد الأمة.

إننا نحن العرب نعيش على أنقاض الأوهام من دون أن نُعمل عقولنا التي خلقها الله لنا وفينا.

أقول أخيرًا إن أُمة بلا تراث هي أمة ميتة لا حياة فيها، وهي أشبه بالسوائم التي تنتظر الذبح بعد تسمينها. فهل رأيتم سوائم شاعرة أو خالقة لأي نوع من الإبداع؟ ربما تنطق إحدى السوائم وتقول: أنا كذلك! فما أكثر المدعين في العالم العربي!

* * *

# ابتسم

أجمل ما تفعله هو أن تبتسم في الحزن. وحتى عندما يقرع ضجيج الوقت جدران صمتك فافتح له الأبواب، واتركها مشرعة من دون أن تلقي بالًا لجلجلة أصواته. فما أنت القادر على منع الغوائل الدنيوية، ولا حبس أنفاس الرزايا حين تخترم الأعمار، ولست القادر على إيقاف أحداث الزمان، لذا عليك أن تبتسم في مدائن الصبر وكأنك ما عرفت الحزن ولا الألم قط. واصطنع ردة فعل أقوى لتوهم الحياة أنك جبلٌ أشمّ، لا تطاولك عوامل التعرية، ولا تنال منك الأهواء ولا الرياح ولا الأعاصير، برغم أنك لا تستطيع أن توقف دورة الانكسار داخل قلبك. ولكنك إذ تعتاد الألم فإنه يصبح عادة مستساغة قابلة للاحتمال، وكأنك تبتلع مسكنات علاجية للتخفيف من وطأته.

ابتسم كابتسام الصباحات لليل، وأسكن اللوعة والهموم والجراح أجداث النسيان، وأسدل حجبًا على قوارع الدهر. وكلما عاودك التفكير والتذكر لواقعٍ أليمٍ عشته اسحب عليه غطاء يحجب عنك رؤية وجه الكدر، وصمّ أذنك بقدر ما تستطيع عن صوت الجلبة المحدثة للقلق والحيرة، لأنك كلما أسرفت في التفكير فتحت لك الوساوس والظنون أبوابًا للكدر أوسع من احتمالك في نفسك، وأظلمت عليك صباحاتك، فلا تعود قادرًا على رسم البهجة ولا مغالبة فجائع الزمان ولا الاستئناس بالسلوى.

إن العاقل هو من احتال على الحياة بالصبر وانتصر بالأمل، وتواصى بغض البصر وتغليف القلب وتجهيل العقل، حتى تصغر في النفس مكارهها،

فتستصغر وقائع الأحداث وعظائم الأمور، فما يهولك اليوم يهون بتقادمه. وليس أكبر ولا أعظم على النفوس من الموت، ولكنه القدر المحتوم. فماذا أنت صانعٌ لتدرأ الموت؟ فعش بالسلوان عازفًا عن كل ما يشين ويقلق راحتك، وما عليك أيها الإنسان في مختلف الأحوال سوى أن تبتسم للحياة.

* * *

# الفساد مؤذن بالخراب

الأصل في فطرة الخلق الصلاح والإصلاح، والخروج عن الفطرة خروج عن طبيعة التكوين الرباني. فالله طيب لا يقبل إلا الطيب. وهو الذي شرع لنا من الدين ما أوصى به نوحًا والنبيين من بعده. إلا أن البشر تمردوا على الناموس ودأبوا على الشر، حين وجدوا الخير وعلموه. فأرادوا أن يجربوا بجهلهم ما يُغرى به الشر، فكانت أولى التجارب بعد هبوط أبينا آدم عليه السلام إلى الأرض، هي تجربة القتل التي جرت بين قابيل وهابيل. ثم تعددت التجارب في فتح أبواب الشرور، ووجد البشر ما يُغريهم في انتهاج سبيلها وركوب مراكبها، حتى وصل الناس بالشرور إلى أقصاها، فاستباح الإنسان دمَ أخيه الإنسان وعرضَه ومالَه من دون رحمة ولا وازع. كأنما كل واحد يريد من الحياة أن تكون له وحده من دون سواه. ولو هلك الخلق أجمعين ما اهتم إلا بمصيره الشخصي.

لقد كانت الشرور في الإنسان تأخذ أشكالًا تقليدية، تطورت من القتل بالسيوف إلى أبشع أنواع القتل، بعد صناعة الأسلحة الفتاكة التي أصبحت بضغطة زر أو بلمسة جهاز تسحق أممًا وتدمر بلدانًا. وأصبح القوي هو المتحكم في مصائر الخلق وأقدارهم، والعقول تبتكر وسائل الاحتيال والنصب والسلب بأشكال منظمة، لتسوغ الفعل، بحيث لا يجرم الفاعل ولا يطاله القانون، وهو ما نعيشه اليوم وما تمليه شرائع الأقوياء. فكانت ردود فعل الضعفاء والبسطاء أقرب إلى المجازفة بالنفس دفاعًا عن الكرامة والحق.

فما دام موتهم وهلاكهم نوعًا من تحصيل الحاصل، فما عليهم إلا أن يتحولوا إلى قنابل موقوتة يفجرونها في وجوه قاتليهم، فيقتلون ويُقتلون. وقد تطورت أساليب الجريمة وطرقها من سرية إلى معلنة، كما ارتفع منسوب الجرائم الفردية والجماعية بفعل ازدياد المنظمات الإرهابية، وتطور فنون الإرهاب. ففي كثير من البلدان شن الإرهاب هجمات ضد الجميع، ومن دون تفريق بين إنسان مسالم وآخر مدجج بالسلاح. كما أصابت البشر سورة من الجنون لم يكن لها مثيل على الأرض. فأصبح الكل يقتل الكل، بلا مسوغ عقلي أو سبب يجيز هذا العنف غير المبرر في مختلف الشرائع السماوية، لقد رأينا الأرض وهي تمور مورًا، وتلتهب بنيران الطغيان والبغي. فلم يعد الرشد قائدًا للإنسان، بل الاحتكام إلى الجهل. وأصبحت اللغة السائدة هي لغة القنبلة والرشاش والصواريخ والطائرات، وما خفي من أسلحة الدمار الشامل. نسأل الله أن يقينا والمسلمين شرورها.

إن العالم يصطخب والنفوس تحترب، والأمان يكاد ينعدم، فأين أصحاب العقول أهل الحكمة من هذه الصراعات غير الأخلاقية؟ ولماذا لا تنشأ هيئات أو منظمات إصلاحية توظف عقولًا من أهل الحكمة في إطفاء جذوة العداء والتناحر والبغضاء بين البشر. وحتى عندما يستشهد الناس بالآية الكريمة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة طه، ١٢٣]. فالآية لا تحض على العنف، لكنها تجيء في موضع استنكاري لما يعلمه الله من دوافع الشر في الإنسان، وفيها استثناء للنفوس الخيرة والطيبة، التي تعرف أن حياة الناس إنما هي منظومة لا يكتمل عقدها إلا بمحافظة الكل على حياة الكل، بدلًا من إفناء الكل للكل.

من هنا نستطيع أن نعيد ترتيب أفكارنا من جديد، وأن نتدارس، بهدوء نفسي ومنطق عقلي ووازع ديني وأخلاقي، الأسباب التي نقلتنا من الجرائم

التقليدية المفردة إلى الجرائم المنظمة والجماعية التي تنفذها منظمات الإرهاب العالمي، وتسخر لها أعداداً من الناس لا يستهان بها، لتنفيذ غاياتها تحت ذرائع واهية وغير مقنعة.

الكثير من الدول تختلق النظريات والأفكار المضللة المهيمنة على الشعوب وثرواتها، فتشتعل نيران الفتنة بين أبناء الوطن الواحد. فأمريكا تخلق الإرهاب وتلصقه بأمتنا العربية والإسلامية، وهي أول صانع للإرهاب العالمي منذ إلقاء القنبلة النووية على هيروشيما ونجزاكي في اليابان. ولسنا هنا في مجال تقييم الأحداث القديمة بقدر ما نحن بصدد الحاضر المأسوي الذي نعيش فيه حالات من الإرهاب النفسي والمادي بأنواعها.

تلك الدول هي التي تصنع الإرهاب وتسعى إلى تعزيزه في أوطاننا، ونحن لم نجهد كثيراً في تتبع نشوء هذه الظواهر، وماهية الأسباب التي كونت تلك البؤر الإرهابية وكيفية علاجها والحد من تفاقمها، من دون الأخذ بدراسة الأسباب والدوافع التي أوجدتها، والسبل الناجعة لإعادة النفوس إلى سويتها.

إنني أجد أن أهم الدوافع إلى الإرهاب هو الظلم، الذي يؤسس بداية للفساد في الأخلاق، ثم يتفرع إلى كل أشكال وأنواع الفساد في التعاملات الخاصة والعامة التي تمس حياة المواطن، حيث يستثمر البعض من ذوي الشأن والمسؤولية مشاكل البسطاء ويحولونها إلى مكاسب تصب في مصالحهم الخاصة. ومن هنا يبدأ التسيب وفقدان الرقيب وعدم الإحساس بالمواطنة الصادقة. وينشأ نظام من نوع آخر، هو نظام اغتنام الفرص المتاحة وخلق المشاكل لبيعها وشراء الحلول لها، ويولد الثراء السريع المنهك للضعفاء والمؤدي إلى الفقر الذي تتولد منه الجريمة والإرهاب. فحين تضيع الآمال عند ضعاف الحال، وتقل ذات اليد، وتصبح حياة الإنسان جحيماً حقيقياً،

يمكن له أن يسير في طريق الانحراف بحثًا عما يدر عليه ما يفي بحاجاته وحاجات أبنائه، حتى لو كان في ذلك هلاكه.

ولا بد لنا من أن نسأل عما قدمه أصحاب الثروات والتجار الكبار من أهل المال تجاه أمتهم وشبابها، ماذا قدموا لشعوبهم وهم يكتنزون ثروات طائلة لا تعد ولا تحصى؟ فحتى الزكاة يتم الاحتيال في إخراجها، ولو تم إخراج الزكاة بصورتها الشرعية لما وجد فقيرٌ في أوطاننا العربية. ولكن التقوى غائبة ومخافة الله ليست ساكنة في الضمائر. فسحقًا لهم وتبًّا وساء ما يعملون.

ولو قدر للمسؤول العاقل أن يحتضن أبناء الأمة وشبابها، ويؤمن لهم العمل، ويوفر لهم التأمين الصحي، والنظر في رواتب خريجي الجامعات، بما يوفر الحياة الكريمة من ملبس ومأكل ومسكن وتعليم وكفاية تحفظ القيم والكرامات، فإن ذلك سيهدم كل نظريات الإرهاب ودوافعه، ويجفف مصادره وحواضنه المولدة له، حيث تنشأ أجيال مُحبة ومخلصة لأوطانها، وعاملة على الخلق والإبداع والابتكار. ونكون عندئذ قد حصَّنَّا فكر الأجيال بحصانة لا يستطيع أي فكر هدام أن يخترقها، طالما أن إنسان الوطن يعيش بمنأى عن مذلة السؤال والحاجة والفاقة. فهو سيكون في هذه الحال يد الدولة التي تضرب بها الأعداء، وثروتها التي تنهض باقتصادها، وسيكون عقلها الباحث عن السلم والرخاء والازدهار، فتأمن الدول وشعوبها من غوائل ما يخططه الأعداء والماكرون لأوطاننا وشعوبنا. فهل إلى هذا من سبيل؟

❊ ❊ ❊

# تجاهلوهم

تحاول الصحيفة الفرنسية "شارلي" أن تستثير المسلمين بالتعريض برسولنا العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، والمسلم العاقل يجد أن من الحكمة اتباع قول المولى ﷻ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، ١٩٩]. ويجب علينا أن لا نقرأ هذه الصحف الحاقدة وكتابها الموتورين. فبتجاهلهم إنما يموتون غيظًا وكمدًا ويظل كيدهم داخل نحورهم، وما هم بضارين نبينا ولا ديننا ولا المسلمين. ويكفي أن الله يقول في محكم التنزيل ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [سورة الحجر، ٩٥]. فمن أقوى وأعظم من الله القوي المتين المنتقم الجبار؟ اتركوهم لله ولا تدعوهم يستثيرونكم، وانتظروا انتقام الله ممن يسيء إلى نبينا العظيم في الدنيا والآخرة. فالله ينتصر لدينه ونبيه وحرماته ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء، ٢٢٧].

* * *

# عابد خازندار

وقف على كل موانئ الحياة، وكان يود الولوج من كوة الفكر إلى مشارف النور. لكن الأبواب كانت موصدة أمامه وأمام أقرانه الأحرار. فانتحى به الزمان جانبًا، وأسدل عليه ستائر الغفلة، وهو ينظر من ثقوب الوقت، فيرى ربائب الهوى وهم يجلسون على أرائك الهيبة وسمو الحال وجزيل المال. وعندما أعيته القدرة عن بلوغ ذاته صاحَبَ المنافي، ليرسم جمال الصباحات ويستظل بكتبه، قارئًا لتراثه وضاربًا صفحًا عن بهارج الزمان والمكان. وكان يتأمل في الكون وانتظام حركاته ويسجل بقلم الصمت غائية الدنيا وماهية الأنا وعبثية الأقوال والأفعال، وتضاد الأرواح في أرض بدائية الفطرة، لا تقبل التحول في القول والفعل وردات الفعل. لقد كان رحمه الله فيلسوفًا معتكفًا في محراب الفكر، قديسًا لأمانة الكلمة، حتى لفظ آخر أنفاسه في منفاه الاختياري بباريس، مـجلَّلًا بعبق الذكرى وجميل العطاء.

هكذا عاش عابد، وهكذا مات عابد(*).

❊ ❊ ❊

---

(❊) تأبين للراحل الأديب الكبير الأستاذ عابد خزندار، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته والمسلمين.

# إلا الوطــن

هدوء في أمريكا، وهدوء في بريطانيا، وهدوء في فرنسا، وهدوء في ألمانيا، وهدوء في كل أوروبا، وأظنه الهدوء الذي يسبق العاصفة. وعلى العكس من ذلك يشتعل الشرق الأوسط أو كما أرادته أمريكا، الشرق الأوسط الكبير بالحروب الدامية التي تهدف إلى تفتيت المنطقة وتجزيء وحدة بلدانها، بل وتمزيقها وتقطيع لحمة العرق والدم في أمة كانت على الدوام تدعو إلى الإخاء وحسن الجوار.

انظروا معي إلى خريطة الحروب المعاصرة التي بدأت بالعراق وتونس وليبيا وسوريا ومصر ومن ثم اليمن، لتعاينوا حلقة العنف في العالم العربي والحرب المدمرة التي أسست ونظَّرت لقيامها أمريكا وحلفاؤها الغربيون، وليحل الخريف العربي بدلًا من الربيع الموعود، أقول انظروا إلى خريطة الحروب التي تجتاح بلاد العرب، واسألوا أنفسكم: لماذا الدول العربية وحدها هي التي تستهدفها أمريكا وأوروبا؟ أليست هذه الحروب المفتعلة مدعاة للتساؤل؟ ثم انظروا إلى تجنيد أدوات أمريكا وأوروبا، من العراق وسوريا إلى "داعش" واليمن، وكيف نفخت في إيران روح العداء ضد غيرها من المسلمين لتغريها بالهيمنة على العالم العربي. وانظروا إلى ما يخططه الغرب لبلادنا، حيث يجعل من قبيلة صغيرة الحجم والقوة أداةً لخوض صراعات قائمة على المذهبيات، ولاستهداف دول الخليج وعلى رأسها المملكة بلا ذنب أو جريرة. إنما هو تخطيط مدبر لاستكمال نظرية "الشرق

الأوسط الكبير"، ونظرية "الفوضى الخلاقة". لعنهم الله بكفرهم، حيث يريدون بأوطاننا وأمتنا الشرور بغية تحقيق النفوذ الإمبراطوري لأمريكا، والهيمنة على مقدرات الأمة واستغلال ثرواتها على حساب العرب. لقد زرعت أمريكا في كل بلد غروس العداوة والبغضاء بين أبنائه، وبينه وبين البلدان المجاورة. وبعد أن أجهزت على أفغانستان وباكستان، البلدين المسلمين، ولم يتبق لها إلا دخول الخليج عملت على خلق نزاعات جديدة في غير بلد وناحية، لاستنزاف ما تبقى من ثروات الأمة وقدراتها وخيراتها. من دون أن تتكبد من جهتها خسارة تذكر. ثم تعالوا ننعم الفكر في اليمن لنرى كيف دخلت المنطقة التي تدور في أتون حروب ضارية لن يسلم منها الداني والقاصي. وقد أعطيت عصا القيادة لإيران لتقويض ما ظل معافىً حتى الآن من قوة العرب وثروتهم. وبعد أن تنجز إيران مهمتها لا بد لأمريكا من أن تسحب البساط من تحت قدميها، وتلقي بها إلى هوة سحيقة من التحجيم والتأزيم والفقر المدقع.

ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه عن الفصول الأخيرة من الأزمة التي جرّت اليمن ودول الخليج إلى حروب دامية. وقد تكشفت النوايا وافتضحت المقاصد، حيث اقتضت اللعبة، وتحت المظلة الإيرانية، عقد شراكة دنيئة بين الحوثيين وبين علي صالح، شريطة أن ينصِّب المخلوع ابنه أحمد رئيسًا لليمن، ويكون نائبه عبد الملك الحوثي. وفي مقابل ذلك يعمل هؤلاء الأذيال على توسيع دائرة الحرب لتشمل عدن وحضرموت، وتجر السعودية ودول الخليج ومصر إلى أتونها. وهكذا تصبح معظم البلاد العربية واقعة تحت القبضة الحديدية لأمريكا وأوروبا وإسرائيل. ولم ينتبه هؤلاء الأذيال المستأجرون إلى أن أمريكا تقدمهم لهلاكهم ليس أكثر. وتناسى هؤلاء الأذناب أن دول الخليج ليست باللقمة السائغة التي يسهل التهامها، بل إن

هناك حلفاء للسعودية ودول الخليج، في المغرب والباكستان ومصر، لن يقفوا مكتوفي الأيدي، بل إنهم على استعداد للوقوف صفًا واحدًا مع دول الخليج. وهنا يبدأ تغير المعادلة كما أن الظهور المتصاعد لروسيا والعيش على المسرح الدولي لن يرضي أمريكا بحال من الأحوال. لذلك فهي قد تغامر مغامرة غير محسوبة بتطويق المنطقة العربية والظهور بمظهر القادر والقائد، وتكون اللعبة حينها مكشوفة للعيان. على أن روسيا والصين والهند وحلفاءها لن تقف مكتوفة الأيدي في هذه الحالة، بل ربما تقابل المغامرة بمغامرة مثلها، وعندها ستشتعل الحرب العالمية الثالثة، وتكون نهاية العالم، إلا أن يتداركنا الله بلطفه. أقول هل يعي المغامرون والمقامرون ما ينزلقون نحوه من المخططات، وما يحولهم إلى بيادق صغيرة في أيدي اللاعبين الكبار، قبل أن يوردهم هؤلاء موارد الهلاك. وقبل ذلك وبعده تظل قوة الجبار مالك الأرض ومن عليها هي حصن المتوكلين والضعفاء. فهو لا يترك عياله وعباده هملًا لتسلط المغترين بقوتهم. يومها يعرف كل مخدوع بأن القوة لله وحده، ويذوق أعداء الله والإنسان وبال أمرهم، حين تتحطم قوى الشر أمام قوة الله الواحد الأحد الجبار. أسأل الله أن يدرأ عنا كيد الكائدين ومكر الماكرين، ويثبت أولياءه على الحق، ويهزم أعداء الإسلام والمسلمين، وهو سبحانه القادر على إفشال مخططات من يريد بعباده السوء، ويرد كيدهم ومكرهم نكبات ومصائب وكوارث لا تبقي ولا تذر منهم أحدًا. والله حسبنا ونعم الوكيل.

❊ ❊ ❊

# العمالة المنزلية بين المشاكل والحلول

يغيب من بال البعض الأثر الأخلاقي السلبي والإيجابي للعمالة المنزلية في المملكة العربية السعودية، وما تولده هذه العمالة من إشكاليات اجتماعية وإنسانية، وحين ننظر إليها من جانبيها الأخلاقي والعملي، أخذًا بالتشريع الإسلامي كمحدد تشريعي للضوابط التي تحكم العلاقة بين العامل ورب العمل، نفصلها في الآتي:

**أولًا**: العمل هو أساس لصيرورة الحياة وسد الاحتياجات المادية للإنسان. وقد قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [سورة التوبة، ١٠٥]. والعمل هو رباطٌ والتزامٌ واتفاقٌ بين طرفي علاقة تحكمها ضوابط تعاقدية، بحسب أنظمة كل دولة ووفق التشريع القانوني الوضعي الذي يحفظ الحقوق لكلا الطرفين. ونحن نشير هنا إلى العمل ونظامه وطريقة التعامل مع جزئياته وعمومياته، وما يتمخض عنها من نتائج، وما يتخللها من مشكلات. وعلينا أن لا نغفل العوامل النفسية التي تتحكم بالعلاقة بين طرفي العمل، وتؤدي إلى خلق النزاعات الاجتماعية والطبقية. فغالبًا ما يعمل كل من الطرفين وفق قناعات غير صحيحة، خصوصًا إذا انتاب أحدهما شعور بالامتهان أو الإهمال، والآخر شعور بالغش والخداع. ستسود ساعتئذ حالة من التنافر بين العامل الذي يستشعر باضطهاد رب عمله، ويرى في عمله شكلًا من أشكال الاستعباد الجائر، وبين رب العمل الذي يريد من العامل تنفيذ كل ما اتفق عليه في بنود العقد. ولو تعاطى كلاهما مع الآخر بنظرة أخلاقية وبروح

إنسانية تُعطي كلًّا منهما حقه المشروع، بعيدًا عن الأنا الفوقية والانتقامية، لما تعدت المشكلات حدودَ التسامحِ والعذرِ والاعتذارِ وتعريف العامل بأنهُ جزءٌ من التكوين العائلي للمؤسسة التي يعمل فيها، وأن ذوي رب العمل هم أهله وذووه وعليه التعامل معهم بالأمانة والصدق والمصارحة ونبذ العنف. وعلى رب العمل مقابل ذلك أن ينصف العامل ويعطيه البدل الذي يتناسب مع جهده وقدراته، وهو ما يوفر له الحوافز الملائمة للبذل والتفاني، لا حوافز العنف والكراهية.

**ثانيًا**: إن وزارة العمل غير مكتملة الأداء في ما يتعلق بفتح أبواب استقدام العمالة، والتضييق على منحِ التأشيرات. وهو ما يخلق تداعيات مرهقة للعامل ورب العمل، ويؤدي إلى عدم استقرار النظام الذي يُشرِّعُ في كلِّ لحظةٍ قوانينَ أكثرَ ما تصبُّ في مصلحةِ العامل، عند الاحتكام إلى الهيئات القضائية. وكثيرًا ما يُهضم حق رب العمل تحت شعار التعاطف غير المحسوب من جانب قضاة محاكم العمل والعمال. إذ إنهم ينطلقون من دوافع عاطفية ونفسية إزاء العامل الذي يرون فيه الطرف الضعيف والمضطهد، ويفترضون مسبقًا سوء التعامل والاستغلال من جانب رب العمل. وهو أمر لا يجوز التعميم بشأنه، من دون أن ننفي وقوع ذلك في بعض الأحيان. والمفترض أن العامل ورب العمل هما في النهاية تكوينٌ إنسانيٌ يخضع لحالات الغضب والرضى. أما أن نضع كل المسئولية على رب العمل، والتعامل معه كمجرم، فذلك يعبر عن عدم الإحساس بالمسؤولية من قبل الموظف أو القاضي العمالي. وهو ما يجعلُ أكثرَ الناسِ تتبرمُ وتضيقُ ذرعًا بالنظام العمالي والقائمين على تنفيذه. فكيف إذا أُضيف إلى ذلك عامل التكسب غير المشروع من قبل موظفي وقضاة إدارات العمل والعمال. من هنا تظهر وتزيد المشاكل بزيادة القضايا الخلافية. إن على وزارة العمل أن تعمل على تجديد القوانين

المنصفة، لطرفي العلاقة، بما يكفل العدل والمساواة، ورفع الضرائب الباهظة التي تجبى كالجزية من أصحاب العمل، أو من العامل الذي يدفع في بلاده ما يثقل كاهله من الضرائب، فيسعى عندنا إلى تعويض ما دفعه عن طريق السرقة أو الاحتيال، أو العمل خارج وقت دوامه، أو الهروب من كفيله لتحقيق ربح أفضل، ضاربًا صفحًا عما يتعرض له الكفيل من كلفة مادية وجسدية لاستقدامه.

**ثالثًا** : أثبتت التجربة عدم فاعلية المكاتب التي شرعتها الدولة لاستقدام العمالة المنزلية. إذ إن هذه المكاتب تقوم على ابتزاز الناس بشكل لافت بما يخلق التذمر منها.

**رابعًا** : ينبغي دراسة احتياجات المواطن السعودي دراسة جادّة ومعقولة وبعيدة عن السطحية في تقدير العمالة المطلوبة لكفاية رب العمل، وفق ما يراه محققًا لحاجته وحاجة أهله أو مزارعه من العمال والسائقين. إذ ينبغي عدم إلحاق الضرر بأرباب العمل، عن طريق دراسة طلبات الاستقدام والوقوف على طبيعة وحجم ممتلكاتهم ومزارعهم وقصورهم وأعداد أسرهم، ومدى احتياجها إلى العمالة الوافدة.

**خامسًا** : تكليفُ السفاراتِ بإنشاءِ مكاتب خاصة لتسهيل إجراءات أرباب العمل، والتنسيق مع وزارات العمل في الدول المصدرة للعمالة، والعمل مع تلك الدول على تسهيل العمالة المتخصصة وتوفير التأشيرات الملائمة وفق التخصصات والحاجات.

**سادسًا** : يجب أن يكون هناك قدر من المعرفة بالمكان الذي يستقدم إليه العامل، وبثقافة المجتمع السعودي، وبالبيئة المحلية وجغرافية المنطقة التي سيعمل فيها، كي يكون على علم تام بظروف حياته الجديدة وطبيعتها.

**سابعًا** : يجب على المستقدم أن يُقدم شهادة سلوكية تثبت خلو سيرته من السوابق الإجرامية، وذلك بالتوازي مع شهادة خلوه من الأمراض المستعصية والمعدية، لتحقيقِ العلاقة الصحيحة بين رب العمل والعامل المستقدم. وبالله التوفيق.

* * *

# حضرة «النت»

الشيء الذي لم يفكر فيه الكثيرون هو أن جميع الناس يعملون وكأنهم موظفون لدى جهاز "النت"، بكل فروعه ومن دون أجر، وفي كل الأوقات. وهم يفعلون ذلك طائعين بل مستعبدين لحضرة "النت". لقد بات الناس ينسون أوقات وجباتهم الغذائية وأبناءهم وأهلهم وأعمالهم إلا ما ندر. وحينما يتواجدون تكون عيونهم على "الجوالات" وأصابعهم على الأزرار. وهم يتلقون الرسائل ويكتبون أخرى. أسأل الله أن لا ينسينا أنفسنا ولا عباداتنا. فلقد صار هذا الجهاز خطيراً على الناس بشكل يخشى منه على الأخلاقيات. فكل شيء أصبح منظوراً وأضحى المحظور متاحًا، بلا رقابة ولا رقيب على الصغير والكبير. وبخاصة عند من لا يوظفونه للإفادة العلمية أو الأدبية أو الفكرية أو الدينية، بل يغريهم بمواده الجنسية الفاضحة ويستدرجهم إلى المعاصي. إن "النت" هو بالفعل إعجاز علمي وابتكار مذهل. ولكنه لمن لا يُحسن استخدامه هادم للدين والقيم والأخلاقيات والمثل.

❊ ❊ ❊

# سر الأسرار

يومًا ما تتكسر تعابير الصمت على وجوه الخطايا، مخلفة مزيجًا من الدموع والدماء التي تسيل من عنفوان الوقت. يومًا ما تلتحف الأفئدة التراب وتتنفس ظلام الفناء في أقبية اللاشعور الأبدي، حيث تمر على أطلالها عيون الزمان ومعاول الرياح. يومًا ما تنشقّ الأرض عن هياكل فانِينَ امتصها أديم الثرى، لتبدو خيوطًا من رماد الأجساد، مبهمة الجمال والقبح في سديم البياض العظمي. ولو انكشف أمرها لِصاحبِها لَلاذَ بالفرار من هول ما آل إليه أمره. فهناك تتحلل الماهيات والصور ويتساوى الخلق في أجداث الوحدة والنسيان التي ينفر منها الأحبة الأحياء، حتى ولو ذرفوا دموع الذكريات على تراجيع الأيام. وحين يرون في تلك الذوات ذواتهم هم، تنفطر قلوبهم حسرةً على مصائرهم المحتومة، وهم يقفون عاجزين عن إيقاف دورة الفناء ودفع مقابض الأرواح إلى الوراء. ودائمًا وأبدًا سيظل مفتاح شفرة المرئي والمحسوس في غياهب الغيوب الملغزة، حيث لا تستطيع قوة في الأرض أن تفتح تلك الشفرة الأزلية إلا برفع حجاب البصيرة من قبَل فاطر السموات والأرض. وسيظل الخلق في حيرتهم الوجودية والعدمية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. أليس هذا هو سر الأسرار الذي يحاول الإنسان أن يفتح مغالقه؟.

* * *

# كفى المرء نبلا

مهما تحسن إلى الناس عليك أن لا تنتظر منهم الرضى والقبول. فرضى الناس قصير أمده، والإساءة تسبقهم إلى الحسنة. واعلم أن النفس الإنسانية تتقلب في الثانية الواحدة مرارًا عدة، فهناك من يكرهك حسدًا من عند نفسه من دون أن تراه أو يراك، ومن دون أن يتعامل معك. فإذا تعامل معك ندم كثيرًا على سوء الظن بك. ولا تنس أنك إذا كنت مُضيئًا من جميع جوانبك، دينًا وخلقًا وكرمًا وحبًا ومعروفًا، فإن ذلك مثير للنقمة عليك من أصحاب النفوس الضعيفة والخبيثة والحاقدة والحاسدة مهما تظاهر البعض أمامك باللامبالاة والنفاق والمِراء. فأنت وأخبارك وصنائعك ونورك تصيبهم في مقتل وتقلق حياتهم وتنغص معيشتهم، حتى وإن كانوا أكثر منك مالًا ونفرًا، فهم يريدون أن يكونوا فرائد عصرهم وشموس وقتهم لا يضاهيهم أحد، فابتسم وقد عرفت أن السبب يتصل بالغل وعدم الرضا بما قسم الله. ولعلّ قصورهم عن بلوغ المجد يدفعهم إلى محاولة تشويه صورتك أو النيل منك حقدًا وحسدًا. فأشكر الله على أنه فضّلك عليهم بنعمة حبِّ الفُضلاء وكرام النفوس لك. واحمده أنه أضاءك بالعلم والأدب والتواضع، فتلك خلائق لا تُوهبُ إلا لأولي النهى. ولا تجزع بل استزد من مكارم الأخلاق، حتى تتقطّع أكبادهم حسرة على ما فعلوه بأنفسهم، وقد عجزوا عن بلوغ مراتبك في الفضل والعلا والمجد. ولو أنهم صرفوا كل ما لهم لما بلغوا مبلغك، لأن كل ذلك هبة من الواحد الوهاب. فكن صادقًا مع ربك ونفسك ومعارفك. ولا تبدل

الحسن بالقبيح، فذلك ما يتمناه لك هؤلاء الجاهلون الضّالّون والمتكبرون على خلق الله. إنهم يعرفون كيف يُسيئون ولا يعرفون كيف يُحسنون. فابتسم لهم كلما التقيت بهم، فإنك تجلدهم بسياط من نار تدمي قلوبهم، وكن بربك الأقوى على كيدهم ومكرهم، إنما الله يُدافع عنك وينصرك عليهم نصراً عزيزاً. فقد افتأت الناس على خالقهم القدير، فقالوا: "يد الله مغلولة غلت أيديهم"، وعلى نبيهم العظيم، فقالوا إنه شاعر وساحر ومجنون، واتهموه بما لم يكن فيه. فكفاه الله عندما وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، ٤]. وخاطبه سبحانه بالقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الانشراح ٤]. فماذا بعد قول الله سبحانه وتعالى؟ ولكن هذه طبائع البشر، إلا من رحم ربي، يقول الشاعر:

**"ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبُهْ"**

* * *

# الحكمة لا الحزم وحدها أساس الملك

تتلذذ النفس الدموية بالقتل وسفك الدماء وإزهاق الأرواح، فتكتسب بالتعود همجية الطبع، وخاصية الاستبداد الآدمي الذي يخلق إنسانًا تتملكه فطرة التوحش. تراه في شكل إنسان، وفي داخله استعداد فطري لاحتراف القتل من دون ندمٍ أو رحمة لأن العاطفة لديه مفقودة. ويتشدق بالإنسانية والدفاع عن حقوق الإنسان، وهو أول منتهكٍ لحقوق الإنسان، بل هو ينتهك حرمة أقرب الأقربين له من الضعفاء الذين لاً حول لهم ولا قوة، كي يحمي عرين الأسد للأنا المتضخمة في نفسه. هذه النفس تنتحر أو تعلن هلاكها من دون شعورها بقرب نهايتها حين تثخن في القتل وتألف الانقضاض على فرائسها الآدمية، ونحن نرى ذلك في أحكام الإعدام التي يسخر لها قضاة أكثر إجرامًا ووحشية من السياسيين والحكّام الذين لا يجدون من يردعهم، ولكن الأيام كفيلة بإزالة بطشهم وطغيانهم، ليسترد الزمن حق من أريقت دماؤهم بجبروت الظالم وجوره، نقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وتبًا ليد تقترف إراقة دماء المغلوب على أمرهم.

* * *

# التقارب السعودي الروسي

لقد سبق لي أن كتبت منذ سنوات عن المكر الأمريكي بالمملكة، بعد أن استنفدت أغراضها، ورأت أن السعودية أصبحت تمثل عبئًا على السياسة الأمريكية، وحائلًا دون تنفيذ نظرياتها ومخططاتها الإمبراطورية التوسعية. فالسعودية بانتهاج مبدأ الاعتدال في العالم، إنما تحد من الانطلاقة الأمريكية للاستحواذ السياسي والاقتصادي على العالم، وإعادة هيكلته وفق مصالحها. وأمريكا تبعًا لذلك تحاول القضاء على الحكومات القديمة التي عفا عليها الزمن، وباتت تشكل عقبة كأداء من دون مجيء البدائل الأكثر مرونة لقيام العصر الأمريكي الجديد. على أن أية نظرة موضوعية إلى واقع المنطقة لا بد من أن تقود إلى الاعتراف بالدور الريادي والمحوري للمملكة العربية السعودية، خصوصًا أن المملكة هي الحاضنة القوية للإسلام والمسلمين، وللكعبة المشرفة والمسجد النبوي الشريف. وأمريكا وإن حاولت خداع العالم الإسلامي وأظهرت مودة كاذبة للإسلام والمسلمين، فهي تخفي الكثير من العداء لدين الإسلام. ولا شك بأنها درست التاريخ الإسلامي دراسة جادة، واطلعت على الفتوحات الإسلامية التي طوعت معظم بلدان العالم. فكيف لا تعمل في هذه الحالة على تدمير الإسلام، تارة بالعدوان وأُخرى بزرع الفتن المذهبية والطائفية والعرقية والعنصرية، كيف وهي قد قرأت القرآن قراءة عميقة، ووقفت من خلالها على دعوة الإسلام إلى مناهضة الشرك والكفر والإلحاد. وفي القرآن ما يشير إلى الحروب الصليبية ويتنبأ بها. ومما يدل على ذلك هو الغزو الأمريكي للعراق، وما أظهره الرئيس بوش من ضغينة وكراهية

للعرب والمسلمين، وبخاصة حين ذكَّر بالحروب الصليبية على المنطقة، وكأنه كان يعلم أن حربًا ضارية ستقع بين المسلمين والنصارى واليهود، وهي مقدرة بوعد إلهي لا يقبل التشكيك ولا التأويل. فأمريكا تظن أن ذلك الوعد هو وعد بشري يمكن استبداله بهذه الحروب والفتن الاستباقية، علّها تدمر مكامن القلوب المؤمنة بالله الذي وعد بنصره دولة الإسلام على دولة الكفر والإلحاد، في كافة أرجاء المعمورة، لينزل نبي الله عيسى (عليه السلام) من جديد ويحكم بشريعة الإسلام. إن ذلك هو ما يقض مضاجعهم ويقلق حياتهم، لأنهم لا يؤمنون إلا بالحياة المادية التي توصلهم إلى ظلم أنفسهم عبر عملهم بقوة السلاح على تطويع العالم واستعباده. وبالتالي فرض قيمهم على الشعوب، ظنًّا منهم أنهم يستطيعون تبديل وعد الله ومشيئته بقوة التكنولوجيا التي أتقنوها. فقد حسبوا أنهم على كل شيءٍ قادرون، وأن المسلم سيؤمن بتخرصاتهم وأكاذيبهم وأضاليلهم حين تكون التقنيات العلمية ظهيرهم الوحيد، ومعجزتهم التي فتح الله لهم بها مغالق العلم، فصنعوا بمشيئته ما نراه من علوم. ولو هم تفكروا قليلًا لعرفوا أن ما حازوه من العلم أقل القليل من علم الله.

وهذه المقدمة هي محاولة للإثبات بأن أمريكا والغرب وأعداء الإسلام يريدون الشر بنا وبأوطاننا وبمكتسباتنا ومقدراتنا، ويحاولون صرفنا عن الدين الإسلامي للأخذ بديانة العولمة وعبودية المادة بدلًا من عبودية الله الواحد القهار. وهو تخطيط يحمل في طياته معاول هدمه. إذ إن العالم الإسلامي يشكل ثلث العالم الذي يزيد سكانه على السبعة مليارات نسمة. فكيف لهم أن يصدقوا أن المسلم يمكن أن يستبدل عقيدته الإسلامية بجنتهم الأرضية الكاذبة، ويترك جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين. إنما هو وهم لا يغني عن اليقين شيئًا، ومحاولة تزيد من إصرار المسلم على إيمانه بالحي

الذي لا يموت، الذي خلق فسوى وقدر فهدى. فالمسلم لا يستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى، وما عند الله خير وأبقى. وهيهات لهم أن يبدلوا دين الله، وهو القوي والقاهر لعباده. فدعهم في غفلتهم يعمهون، حتى يتبين لهم الرشد من الغي، ويروا ما كذبوا به حقيقة ماثلة للعيان لا تقبل التلبيس ولا الجدل ولا التكذيب، وعندها يبوؤون بخسران مبين.

ومن أبسط الأمور أن نصانعهم في ما لا يمس عقيدتنا ولا يضر بقيمنا وتاريخنا الإسلامي، للنجاة بديننا من كيدهم ومكرهم وحقدهم وحسدهم، خصوصًا ونحن نرى ونلمس ما يخططونه ويريدونه بأمة الإسلام في عالمنا الأرضي.

لقد كتبت على صفحات الجرائد مقالات سياسية هي الآن متضمنة في مؤلفاتي. وتؤكد على وجوب الحذر من السياسة الأمريكية والغرب، وأنه يجب علينا أن نشرع أبواب التقارب مع الدول الأخرى مثل روسيا والصين وغيرها. قبل أن نجد أنفسنا في قبضة أمريكا، فلا نستطيع فكاكًا من قبضتها وغدرها. فما تفعله اليوم هو استخفاف بدولنا وشعوبنا، وسعي لتبديدنا وتفريقنا إلى عرقيات ونحل ومذهبيات، تقودنا إلى نسيان تاريخنا وعروقنا وجذورنا وانتماءاتنا الإسلامية، بغية فرض سياسة الغرب وقيمه وتاريخه علينا. وحسنًا فعل الملك سلمان عندما أوفد ابنه الأمير محمد بن سلمان إلى روسيا لبث روح التقارب، الذي وإن تأخر كثيرًا إلا أن تحقيقه هو من ضرورات المرحلة. إذ لربما يعود العقل الأمريكي والأوروبي بذلك عن قراراته وتصوراته الخاطئة. إن لعبتهم السياسية باتت تشكل خطرًا داهمًا ما لم نبادر إلى حماية أنفسنا والدفاع عن أمتنا وأوطاننا. على أن الروس لن يطمئنوا سريعًا إلى تقاربنا المتأخر معهم، لأن تجاربهم مع العرب بعد حكم الرئيس عبدالناصر كانت مخيبة لهم، حيث إن العرب ارتموا في أحضان أمريكا

والغرب. وستكون روسيا أكثر حذرًا ولن تعطي الكثير، خصوصًا أنها في حال لا تحسد عليه على الصعيد الاقتصادي، بالرغم من تفوقها في المجالات العسكرية. إلا أنها تشكل توازنًا نسبيًا مع الغرب وتأثيرها البالغ يُحسب له حتى لدى خصومها، ولكن هل تقبل روسيا والصين بالتقارب مع العرب من دون ضمانات تؤكد جدية هذا التقارب واستمراره، ليرفع من قدراتها الاقتصادية والصناعية في مواجهة أمريكا وأوروبا.

ورغم كل شيء يظل التقارب السعودي الروسي أمرًا إيجابيًا، وضرورة ملحة قبل أن تقع روسيا بالكامل بين شدقي الأسد الأمريكي. فقد نجد في الدب الروسي ما لِتنّين الصين سندًا لنا في المواجهات الضاربة التي تكاد تفتك بنا قادة وشعوبًا، بعد أن أجهزت على العراق وتونس وليبيا وسوريا واليمن، ولم يتبقَّ لها إلا دول الخليج. كفانا الله شر المتآمرين، وأنار بصيرة حكّام دولنا لدرء المخاطر المحدقة بنا، فإن المخاض عسير. إن علينا الخروج من غفلتنا قبل خراب البصرة، كما يقول المثل الشائع، وليس لنا إلا سواعدنا لرد كيد الأعداء إلى نحورهم، والدعاء لله بأن يقينا ويقي بلادنا وشعوبنا شرور قوادم الأيام، وأن يحبط كل عمل يضر بأمة العرب والإسلام، وأن يؤيدنا بروح منه، إنه على كل شيء قدير.

أما السلاح الأمضى في مواجهة الشرور المتربصة بنا فهو الشعب، والتفافه مع قيادته، والوقوف صفًا واحدًا لصناعة المستقبل.

* * *

# قول معروف

أتمنى على الجهات التنفيذية والدعوية أن لا تتشدد كثيراً مع الشباب، وأن لا تجعل العقوبة الوسيلة الأولى للتربية الأخلاقية، حتى يخففوا من أعباء الدولة الثقال، وأن لا يُشغلوا الدولة بمشاكل بسيطة جانبية، بغية كسب مادي أو وظيفي على حساب الشباب الذين يتوقع منهم ارتكاب الأخطاء. ولكن التربية والدعوة إلى الأخلاق تأتي بالحسنى ولا تأتي بالتشدد والترهيب، حتى لا يفقد الشبان الأمن النفسي في دواخلهم، ويتحولوا إلى احتراف الجريمة والارتماء في حضن منظمات إرهابية. خصوصًا حين يستشعرون بإساءة مسؤول ما، ويشعرون بالإذلال والامتهان لأبسط الأخطاء. فقرآننا يقول في محكمه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [سورة النحل، ١٢٥]، ورسولنا العظيم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، هو قدوتنا في الرفق واللين والدعوة بالحسنى، حتى ساد دين الله وغمر المعمورة. إنني أرفع هذا الأمر إلى كل مسؤول يحمل في نفسه قلبًا، أن يدرأ الحدود بالشبهات، وأن يعرف أبعاد الشدة ضد الشباب، حتى لا يضربوا الوطن والدين في مقتل، ويكرهوا الانتماء إلى الوطن، فاتقوا الله في الشباب، فكلنا كنا شبابًا ولنا أخطاء كثيرة. ثم وجدنا من أخذ بأيدينا إلى الخير والحق، بالحب وبالرفق وبالحسنى، حتى نرى أجيالًا تعتنق الحب والبذل لخير الوطن والإنسان، لا تصبوا جام غضبكم وهمومكم على الشباب، فتسيئوا أكثر مما تحسنوا، وتخرجوا أجيالًا حاقدة على المجتمع، بما تخلفونه من آثار تعتقدون أنها تقود للتربية، فيما هي تقود إلى الضلال وإلى الجريمة وإلى تبديد مكتسبات الأمة. ثوبوا إلى رشدكم، فلكل فعل ردة فعل.

* * *

# عزلة المفكر

يميل العالم والشاعر والأديب والمفكر إلى العزلة، ويعشقون الوحدة، ويتحدون مع الخيال، لخلق عوالم أكثر متعة. وهي عوالم لو عرفها العوام لحسدوهم عليها. فهم يستحضرون العالم بأجمعه آن يشاؤون، ويغيِّبونه آن يشاؤون. هم التعساء السعيدون في أنفسهم، وهم يرتفعون بأقدارهم عن الجهلاء والبسطاء. وهم في عزلتهم يضيئون ظلام القلوب والعقول. هم العلماء بحق، لا رجال الدين، فرجال الدين هم الفقهاء في الدين والمفسرون لشريعة الله، لا لأنهم حفظوا القرآن والسنة النبوية، ولكن لأنهم المجتهدون الذين يستنطقون ما عجز عنه السلف، كالبخاري وابن كثير، وأرباب المذاهب كالشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي.

أما الذين أنار الله بصيرتهم ففتحوا مغالق المجهول في شتى العلوم النظرية والتطبيقية، مثل إسحاق نيوتن وابن سينا وابن خلدون وأنشتاين والفارابي وابن رشد وعلماء الطب وعلماء الذرة وعلماء الفلك ومن هم على شاكلتهم... فهؤلاء هم العلماء الذين يعرفون قدر الله حق قدره، ويخطئ من يسمي رجل الدين بالعالم، لأنه لم يكتشف قدرة الله في عوالمه، بل هو المتفقه بالدين كالحواريين والكهنة والرهبان وغيرهم. يقول الله في محكم التنزيل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر، ٢٨]. وهؤلاء هم الذين عناهم الله في هذه الآية، الذين يفتحون المستغلق في الكون ليعرف الخلق قدر الله وقدرته في كونه العظيم. ويدخل في منظومتهم الشعراء والأدباء والمفكرون الذين يكتشفون الفضيلة ويشيحون عن الرذيلة، فينشرون

الخير والحب والنقاء والصفاء في النفوس. وهؤلاء هم العلماء الملهمون من الله، وأعظم منهم الأنبياء والرسل والملائكة، فصححوا معلوماتكم عمَّن هم العلماء الحقيقيون. فالعالم من أبدع لا من فسر وشرح وحفظ ما في المتون والكتب. ولا من أطال شعر عارضيه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، ٧٦]. ألا إنه الله عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم.

❊ ❊ ❊

# هل القنوات الفضائية تشارك في صنع الحروب والإرهاب؟

لخمسين عامًا خلت كان هم الإنسان في هذا الوطن العمل على إيجاد قوت يومه بالكد والتعب والجهد. فهو يعود بعد يوم من العناء إلى بيته البسيط مرتاحًا، لكونه قد أدى واجبه وحصل على ما يسد حاجته وحاجة أهله وأبنائه. وهو لا يطلب أكثر من الستر والكفاية عن سؤال الناس، مرتبطًا أيما ارتباط بالمهنة التي يُجيدها بالخبرة والاكتساب، أو مشتغلًا بالزراعة، أو الصناعات الخفيفة، أو الأعمال الخدمية، أو التجارة المحدودة أو الرعي أو الصيد. وكان وقت الفراغ يُستغل في الترفيه البريء والألعاب المسلية والغناء وغير ذلك.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك مشاكل أو خصومات أو حروب أو فتن، ولكنها كانت ضمن حدود ضيقة، ولا تلبث أن تُعالج بوسائل أقل كلفة وإثارة من عصرنا الحالي. فنحن نعيش في ظل التقنيات المتطورة والفضائيات ووسائل التواصل المتقدمة، التي تنقل الأخبار بسرعة البرق وتترجم أحداثها واقعًا ملموسًا للعيان، وهو ما ترك آثارًا سلبية على النفس الإنسانية، وكان مدعاة إلى القلق واحتراف الجريمة. وإن كان هناك بالمقابل الكثير من الإيجابيات المتعلقة بالخلق والابتكار وتوسيع مدارك العقل، ودخول مضمار السباق العلمي.

ولكن تلك التقنيات تنعكس في غياب النضج والحكمة بشكل سلبي

على البشر، خصوصًا في ظل التسابق على ابتكار وسائل الهدم والتدمير والرعب، بغية الوصول إلى السلطة والهيمنة على مقدرات الأمم. وقد تعددت في السنوات الأخيرة عوامل القتل وانتشرت بشكل مخيف وهمجي.

فهي أباحت للنفس الإنسانية القتل واحتراف الجريمة، وسوغت لمرتكبيها الطرق والوسائل، بحجة الدفاع عن النفس، وهو ما لم يكن مستشريًا ومتجسدًا بهذه الخطورة قبل رواج هذه التقنيات، ومن ضمنها القنوات الفضائية، واتساع دورها في نقل صور الحروب والفظائع بما اعتادت العين مشاهدته، فباتت الأفعال القاتلة والمدمرة للقيم مجرد متعة بصرية مألوفة.

كما استخدمت هذه الوسائل لإثارة النعرات والصراعات القومية والدينية والمذهبية والعرقية، وبث الفتن وغرس الدسائس بين الشعوب والجماعات، ولتقويض التعايش السلمي بين الإنسان وأخيه الإنسان في شتى أنحاء المعمورة. لقد هانت النفوس بهوان الأفعال المعززة للخيال الانتصاري أو الانهزامي، وحلت المواجهات المنتجة لثقافة القتل والتدمير محل الإخاء والتكامل بين الشعوب. وقد باتت القنوات الفضائية محرضة على العداوات، بدل أن تكون عاملة لنشر العلوم التي ترتفع بالعقول والنفوس إلى التسامي والابتكار في المجالات المتعلقة بتطور الإنسان ورفاهيته.

والناظر اليوم إلى هذه التقنيات يجد أنها اتجهت إلى تقنية وسائل التدمير فكريًا وجسديًا أكثر من وسائل السلام الإنساني. فليت القنوات الفضائية تتجه إلى التخفيف والتغليف والتعتيم على الصور الإخبارية البشعة، وعدم ملاحقة المشاهِد بأخبار الحروب والقتل، وكأنها تقدم للناس صيدًا ثمينًا بالإنسان وما حل به، وتبدي سعادة غامرة بنشر الموت والدمار والهلاك.

وهي بذلك تؤسس لبذر الشر والحقد والكراهية والعداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتعتبر أن ما تعرضه مكاسب إعلامية تحققها للبشرية، من

دون دراسة واعية لما تتركه تلك الأخبار وطرائق بثها ونشرها من آثار سلبية ومدمرة.

ذلك أنها تحرض عن عمد أو غير عمد على تأجيج مشاعر الضغينة بين البشر، ليحتدم الشجار والخصام ويبدأ الصراع الذي ينتهي بقتل قابيل وهابيل، عندما تضيع الحكمة ويجهل الرشاد سبيله. إن المفكر بعمق يجد أن القنوات الفضائية، خصوصًا قناتي "الجزيرة" و"العربية"، وهما الأقرب إلى الإنسان العربي، إنما تسعيان إلى دمار أُمة وهدم أوطان، لا إلى الارتقاء بالإنسان والأوطان إلى الصلاح والفلاح والخير. فالإنسان العربي في ظل هذه الإشكاليات الراهنة أحوج ما يكون إلى إعادة هدوئه النفسي ورفع القلق عنه، وتخفيف وقع الأحداث الدموية بالعودة إلى بث ونشر الأخبار الرصينة والموضوعية والأفلام والأناشيد والأغاني التي تروح عن النفس، وتشعر الإنسان بجمال الحياة في روضة أو وردة أو زهرة، بعيدًا عن صور الدبابات والقنابل والصواريخ والطائرات الحربية. فمتى تنتقل تلك القنوات من صورة الموت والفظائع والمجازر إلى صور الألفة والجمال والحض على التآخي، حتى لا تكون مروجة للعنف والإرهاب، وتكون كمن يصب الزيت على النار.

فحرية الإعلام التي تتذرع بها وسائل الإعلام يجب أن لا تكون ذريعة للتحريض وتأجيج مشاعر العداء بين البشر، وإلا وجبت مقاضاة المحطات المروجة لثقافة الكراهية وتسعير الصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية، وصولًا إلى تجريمها.

فهل يعقل القائمون على هذه القنوات ويرشدون قبل أن يحققوا أهداف الأعداء في إذكاء ثقافة الدمار الإنساني الشامل، وينصرفون إلى ما ينفع ويفيد الخلق بكل أشكاله وأنواعه.

إنني أتمنى على المعنيين من ذوي الاختصاص، أن يتناولوا بالدراسة والبحث مسألة تأثير القنوات الفضائية في إشاعة الفرقة والعداوة بين الناس، ودعوتها بدلًا من ذلك إلى الفضيلة والصفاء والحب، بغية استعادة الرومانسية المثالية المفقودة في هذا الزمن القائم.

* * *

# أي إصلاح!

كثرت في هذا العصر المنظمات المسلحة التي تدعي الإصلاح في الأرض، وتتخذ من الدين الإسلامي ذريعة للقتل والتدمير بما يتعارض وقيم الإسلام الحنيف. فالإسلام لم ترد فيه أية آية تجيز قتل المسلم للمسلم بغير حق، حين يكون في بيته ومع أهله ويفاجأ بشخص أو مجموعة تعرضت لعملية غسل الدماغ وهي تفجر قنابلها ورصاصات رشاشاتها ضد الأبرياء من الناس، وذلك بدعوى الإصلاح وتطهير الأرض من المفسدين والانتصار لقيم الإسلام.

فأي إصلاح هذا الذي يقوم على الترهيب والتسلط والجبروت من طوائف ضالة تأتمر بأوامر شياطين الأرض، وتعمل على إهلاك أنفس بريئة، بهدف تحقيق الزعامة أو المكانة أو المكاسب المادية على حساب الضعفاء والمساكين والنساء والشيوخ والأطفال الأبرياء.

ماذا دهى هؤلاء القتلة الذين يُريقون دماء المسلمين باسم الدين والدين منهم براء؟ ولمن يقدمون هذه القرابين الآدمية؟ وكيف استطاعوا إقناع أنفسهم بأن يقتلوا الناس ويقتلوا أنفسهم وهم في ريعان الشباب، حتى يخسروا بذلك دنياهم وآخرتهم؟ وما هو الجرم الذي يدفعهم إلى قتل الأنفس وإزهاق الأرواح وانتهاك الأعراض وسلب الحقوق؟ وأي شريعة تقول بجواز هذه الأفعال المجرمة والمحرمة في الكتاب والسنة، فضلًا عن حرمتها في كل الشرائع والأديان التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، والتي لا يقرها عقلٌ أو ضمير.

إنهم يخدمون بذلك أعداء أُمة الإسلام، بهدف تحقيق مآرب سياسية، وخدمة قوى الشر والفساد التي تضر بالإسلام وتَصِمه بوصمة الهمجية وشريعة الغاب، والإسلام في جوهره هو دين التسامح والعدل والرأفة والحب. ما هذا الذي يحصل في أُمة محمد صلوات الله عليه وسلم؟ وليت هذا العنف، كان موجهًا ضد أعداء الله من اليهود أو الملاحدة أو المشركين، لكنهم يقتلون نفوسًا تقول ربي الله. وهم يظنون بأفعالهم الدنيئة أنهم يُحسنون صنعًا، وأنهم سينالون الجنة. فأي جنة ينالونها وهم يقتلون إخوانهم في الدين؟ لا حول ولا قوة إلا بالله. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والله المستعان على ما يصفون.

❊ ❊ ❊

# هي الحياة

قلت ما لي وللحياة، سأتركها تفعل ما تشاء لأني لن أغير شيئًا يتوافق مع المنطق والحكمة. أنا جرم صغير في عالم التكوين الإلهي. فالحياة أكبر من إرادتنا ومن خيالاتنا وآمالنا وأعمارنا. إن أردت عدالة السماء فلن تجدها في الأرض، فترفَّع عنها ترتفع عن صغائرها، واجتنب كبائرها تقلل من ضرباتها. وفي كل الأحوال لن يخلو أحد من همها، إن مدحها أو ذمها. إن سرها سحر، ومهرها القهر، فلا تفتتن بها. فجمالها خادع يوقعك في أسارها، ويذيقك بعد حلوها مرارها، وإذا غامرت وادعيت الشجاعة اصطليت بنارها. فجانب ولا تقارب، واصحب ولا تصاحب، وتحمل ولا تعاتب، وصانع ولا تحارب. خذ منها ما تعطيك ولا تطلبها فتعنيك وتشقيك. والتمس النجاة منها بأقل ما تأمل، ولا تستكثر منها تملل، فهي غربة وكربة، لا تنتظر الرحيل إليها بل منها، ففي الخروج منها حسن الخاتمة.

❊ ❊ ❊

# القادم أسوأ

تخرّصات ربما تحمل على اليقظة لما يحمله الفكر السياسي العالمي بعد تداول الأرقام ١,٢,٣. في اللعبة السياسية لتغيير منظومات الاستراتيجيات القديمة وإحلال الأرقام التي تلي. أعني أرقام المتوالية الرقمية والبدء بتغيير مناهج النظريات القديمة، وتجديد واجهة الخارطة السياسية العالمية، في ظل المشهد السياسي الذي تريد أمريكا إقامة مناهجه من خلال التقلبات المشهودة على الساحة العالمية. ومن أهم تلك المناهج الجديدة عدم الثبات على سياسة الوجه الواحد، بل تعدد الوجوه واستعمال وإضفاء ألوان الطيف على تلك الوجوه، لخلق الانبهار والإعجاب والتخيل بأن مواكب الخير قادمة، وأن الشعوب سوف تكون أكثر أمنًا وأكثر استقرارًا ورفاهية. وذلك لاستمالة عواطف الأمم من أجل الانتماء إلى القيم الجديدة التي تصدرها أمريكا لتعديل مزاج الشعوب المقهورة والفقيرة والمريضة جسديًّا وفكريًّا. وهي لذلك ترفع شعارات العدل والمساواة وتوزيع الثروات بين شعوب الدول. وتلك أكبر أشراط توزيع الوهم على الشعوب المستضعفة والعقول البسيطة التي تتناوبها أصناف الخيبة، حينما كذب واقعها وتنمّرت عليها القوة لتصبح بين أشداق الوحوش الكاسرة. فأضحى من السهل التشبث بالوهم وتصديقه طلبًا للنجاة من أكاذيب واختلال المعادلات السياسية، لتكون أكثر ضعفًا وأكثر فقرًا ويسهل قيادها دون كلفة تذكر، وهذه بداية النهايات. وقد كتبت سابقًا عبر مقالات مدوّنة في مؤلفاتي عن أهمية تعدد التحالفات المضادة والمربكة للسياسة الأمريكية من خلال القوى الاقتصادية والعسكرية، لتكون

فزاعة مقلقة للتوجهات الأمريكية. وقد دعوت سابقًا إلى أن تعمد السعودية إلى اجتذاب روسيا والصين وعقد اتفاقيات اقتصادية وعسكرية وتقنية، بما يقلل من مكاسب أمريكا، خصوصًا في المنطقة العربية. ومن ثم توسيع مدى العلاقات العالمية في كافة الاتجاهات التي تخدم مصالح الدول المستضعفة وتوسيع مراكز النفوذ في المنطقة العربية بالذات، لتقف تلك الدول القوية حائلًا بين أمريكا والدول المستضعفة، بما يقلل من الدور الأمريكي والاتجاه من القطب الواحد إلى تعدد أقطاب القوة، وعرقلة الهيمنة الأمريكية الداعية إلى تمزيق الدول والشعوب العربية والإسلامية فقد هدفت أمريكا في المقام الأول إلى كبح وإيقاف المد الإسلامي المتزايد والسريع الذي يشكل خطرًا على سياستها. فلقد ازداد خوف الدول العظمى من أن يرتدّ الإرهاب الذي اصطنعته أمريكا وألصقته بالعرب والمسلمين ليكون السلاح نفسه الذي يوجه إليها. فأمريكا عندما غرست بذور الإرهاب لم يدر في خلدها أنها أسست مدارس لتعليم الإرهاب من دون إرادتها، بل هي نقمة لا تستطيع درأها إذا ما أصبحت عالمـًا إرهابيًّا يضرب مكوّناتها السياسية ومكتسباتها المنهوبة من ثروات ومقدرات ومكتسبات الشعوب المغلوب على أمرها. عندها سوف تشعر أمريكا بخطأ ما فعلته، وربما تكون في أسوأ أحوالها اقتصاديًّا، الأمر الذي يعيدها تدريجًا إلى الوراء. وربما تنتهي أُسطورة الإمبراطورية الأمريكية وتنشأ قوى أعظم منها، ليُسحب البساط من تحتها وتصبح قوة نووية كبرى من بين قوى أخرى أكثر تقنية عسكرية وأكثر تفوقًا اقتصاديًّا. وهو أمر لم تولهِ السياسة الأمريكية وحلفاؤها القدر الكبير من الاهتمام نظرًا إلى غرور القوة، وإلى أنها لم تفكر في أن من طبائع الحياة التبديل والتغيير، كما في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران ١٤٠]. فالمقام على حال هي ضرب من الوهم لا يصدّقه إلا جاهل بتاريخ الأُمم والدول.

ذلك ما كتبته قبل أكثر من عشر سنوات، ودعوت فيه إلى عقد تحالفات جديدة، وهو ما عمدت إليه السعودية، وتبعتها دول الخليج. وهو أمر، وإن جاء متأخرًا، إلا أنه يعبر عن الحكمة البالغة في تخفيف معاناة الشعوب وفتح المغلق المستتر ليتبين صدق ما قلناه سابقًا بأن نوايا أمريكا وأوروبا زعزعة أمن المنطقة العربية بالذات، وتجهيز إيران الصفوية لتكون (الغول) المخيف لدول الشرق العربي، وتجييش الإعلام العالمي ليتندر بالقوة الإيرانية المفتعلة والتي تتلبس بالوهم ويتلبسها الوهم. وهي لا تدري بأنها كبش فداء اصطنعته أمريكا كذبًا وزيفًا وبهتانًا. فإيران أعجز وأضعف من أن تستطيع مواجهة العرب والمسلمين، وهي ودولتها وشعبها أوهن من بيت العنكبوت.

من هنا أحمد للمملكة تلك الخطوات التي ستحفظ لنا الكثير من سيادتنا وكرامتنا، بل وتحفظ مكتسباتنا وثرواتنا كي لا تصب إلا في مصلحة دولنا وأمتنا. وإن كان هناك إنهاك للثروة القومية إلا أنه أمر لا بد منه حتى نستنقذ أنفسنا ودولنا وثرواتنا من الاستغلال الكلي. فالسياسة الأمريكية تسعى إلى تبديد أمة العرب والمسلمين بشكل يعيدها إلى سابق عهدها، أُممًا متناحرة تعود إلى الخيمة والجمل والسيف، بعد تبديد كل الحضارة القائمة كما هي الحال في سوريا وليبيا واليمن وغيرها من دول العالم.

ومن الملاحظ أن السياسة السعودية تستبق الزمن ليكون في صالحها وصالح الأُمم المستضعفة وما نراه من تحالفات وصداقات وارتباطات بعلاقات جديدة مع دول العالم. يعطي دلالات على أن العقل السعودي أصبح ناضجًا ومهيأً لأن يكون ضمن الدول الكبرى. فقد أصبح العالم بأسره مرتبطًا بعلاقات شتى تستوجب من تلك الدول الصديقة الدفاع عن مصالحها مع السعودية. وهو ما لم تحسب أمريكا وأُوروبا حسابه، حين وزعت السعودية أدوار الدفاع عنها، ما سيجعل العقل الأمريكي يعيد حساباته بشكل

منطقي وعقلاني، إذ إنه من غير المعقول أن تحارب أمريكا العالم بأسره، إلا إذا أرادتها حربًا عالمية لا تبقي ولا تذر. لأنها أول الخاسرين. وستعلن نهايتها ونهاية القوة العسكرية في العالم أجمع. ربما ليتم الله كلماته بنصر المسلمين وميلاد أُمة الإسلام الصادقة ونزول المسيح بن مريم -عليه السلام- ليحكم بالإسلام. وتكون إرهاصات القيامة قد تأكدت للعيان، لتفنى الأرض ومن عليها، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. فلا يتفاءل أي واحد بالقادم فربما سيكون اسوأ من كل التوقعات والتنبؤات. ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم، ٦] كما قال الله تعالى، (وأقول إن غداً لناظره أليم). وليس لنا إلا الرجوع بصدق اليقين وقوة الإيمان إلى الله والفرار إليه، فإن القادم أصبح مكشوفًا للعيان ولا يبشر بخير.

* * *

# الحرية ليست مطلقة

ليس هناك في الخلق شيء اسمه الحرية أو الديمقراطية، فالأصل في سلوكيات الخلق جميعًا يقوم على التقييد، والدليل العبودية لله، ثم قيود الأنظمة في البلاد والأمصار. كل المخلوقات قائمة على الطاعة والأمر والنهي. لأن كلمة حرية هي مطلقة المعنى للإرادة المتصرفة الآمرة القادرة الفاعلة المقدرة المجسدة للغيبيات في مكنوناتها، متوفرة فقط لمن يمتلك هذه الصفات، أي للمتصرف الفرد الذي هو الله. إذن، أي حرية للمخلوق، وأي ديمقراطية يسوغها الفكر هي ديمقراطية مقيدة. وإذا أخذنا كلمة حرية مجردة من تركيبات المعاني تبرهن على عدمِ وجود الحرية للمخلوقات، إلا في التعبير اللفظي المنحصر في إطار الآمال والشهوات. وتظل العبودية قائمة حتى في الدار الآخرة حيث لا ينسلخ الخلق عن عبودية الله. فكل حرية مقيدة، إلا لمن يستطيع الخلق وإنزال الخير والشر والثواب والعقاب، ومن يملك الجنة والنار. ولذا نشأت العبودية الأرضية كمحاولة لتقليد المعبود في السماء.

* * *

# الهجرة إلى الأشياء

## مجموعة قصصية للأستاذة سهام العبودي

هو كتاب صغير في شكله، عميق في مضامينه القصصية، وصلني من المؤلفة، وليس في مقدور البسطاء الدخول إلى عالمه ومضامينه وسبر أغوار التلغيز والترميز الذي يسكن بواطن معانيه. كنت قد ألقيت به على ظهر طاولتي الكبيرة المليئة بالكتب والمؤلفات والدوريات والمجلات التي تنتظر دورها للقراءة، لكثرة ما يصلني من إهداءات. وحين لمحت اسم المؤلفة وقرأت صفحة من الكتاب ألقيت به ثانية على الطاولة. ولكنني تذكرت أن لي صديقًا يحمل لقب (العبودي) وكان في يوم من الأيام أمينًا لرابطة العالم الإسلامي في مكة. وهو رجل خلوق يحمل من صفات الخير ما يحمل على التقدير. مددت يدي ثانية إلى الكتاب علني أجد ما يضيف إلى مكتسباتي العلمية والأدبية، ويكون إضافة مهمة إلى قراءاتي.

وإذا بي أبحر دون إرادتي في لجته مستمتعًا بأبجدية اللغة التي توغل في فضاءات المعرفة وتمتلئ بثقافات متعددة الصور والأهداف. وقد شعرت بأنني أقرأ شعرًا قصصيًا لا نثرًا، أو أقرأ نثرًا يسمو على الشعر في مواضع كثيرة.

جذبني أسلوب الكاتبة، وأدهشتني براعة الطرح وطريقة العرض لكل قصة من القصص التي تناولتها. وبرغم أعبائي وانشغالاتي العملية والأدبية فقد وجدت أن من أبسط حقوق المؤلفة عليّ أن أعبر لها عن تقديري لموهبة تشي

بفكر مبدع يتجاوز القدرة إلى التقدير، ويبعث على التفاؤل بأن أمتنا العربية لن تعجز بإذن الله عن إنجاب العقول المبدعة في المجالات المليئة بكل شكول المعارف، رغم ضيق المناخات ووعورة المسالك للوصول إلى تحقيق الشخصية في أوطاننا العربية التي لا تعترف إلا بالأنا الواحدة المتفردة. وهو ما أدى إلى العزلة والإحباط والتقزم في نفوس العلماء والأدباء والمبدعين، فطاب لهم الانزواء والتسلي بتفاهات تشغل أوقات فراغهم بالتسلية الوقتية أو الانخراط في تبعيات مجهولة الأهداف، أو الهجرة إلى بيئات أخرى تقدر المواهب. إن الإهمال والتهميش وعدم التشجيع هي من العوامل الهادمة لمكتسبات الأوطان والمحبطة للأجيال. ومن هنا تصبح الثقة بين الوطن وأبنائه المبدعين معدومة تمامًا يشوبها الحقد والضغينة على ضياع الأعمار. والنفوس حين يصيبها الوهن والوهم والمرض تجنح إلى ضلالات الأفعال وانبهام طرق الخير وركوب مطايا الشرور، دون حساب للعواقب. فنحن نعرف أن النفس أمارة بالسوء، ثم نعود لنلقي باللائمة على ردّات الأفعال لا على الأفعال التي أدت إليها. وهل يعقل من أغفل قلبه عن معاني التسامي بالأوطان، أو من اتبع قلبه هواه، ومن لم يفكر أبعد من قدميه، ولا يفسح المجال لفكر قد يهبه ديمومة الوقت ورفعة الأمم؟ وهذا الجانب كنت ألح عليه كثيرًا، حتى صاحبني الملل وملت إلى عزلة قسرية ومنفى اختياري، حفاظًا على نفس كرَّمها الله كي لا ينال منها من ساء طبعه وعمله وهو يلج في خسران مبين.

أعود اليوم بعد سنوات طوال لأكتب مرة أخرى وليكون محفزي هذا الإصدار القصصي الذي يرى من يقرؤه أن في ظاهره كلمات ومعاني بسيطة يمر عليها مرور الكرام وهو لو تعمق في دواخل المجموعة لعرف البعد الملغز الدفين الخابي بين معاني الكلمات التي تتوزع بين الصمت والبوح، كما تستخرج ما يعتمل في النفس من ثورة جامحة يفهم أعماقها سدنة الفكر،

الخبراء بالتنقيب عن مناجم الذهب البلاغي والإبلاغي والمعرفي والثقافي، إنه الفكر النازع إلى لغة الإصلاح لما أفسده الكبر والتعالي وحب الذات وتهميش الآخر.

تلك مجموعة قصصية لسهام العبودي تحمل في طياتها تجارب لم تأت جزافًا أو تكلفًا، بل هي ممزوجة بنزف القلب والفكر تتواثب كالفراشات بألوان شتى، فتسر الناظرين المتعمقين وهي تحط على أزهار الحياة فتأخذ بالألباب في أسلوب جذاب ومضامين هادفة. ولو كان لي مأخذ على هذه المجموعة القصصية فهو لا يتعدى المزاوجة بين الذكورية والذكورية في طريقة السرد الذي يُفترض أن يحمل العكس في تزاوج المضامين التي ينبغي أن تكون ذكورية أنثوية أو أنثوية ذكورية. بغية اكتمال الرؤية القصصية والمأخذ الآخر يتعلق بخط الرقعة الذي يضع العناوين في دائرة الإبهام.

وأشكر المؤلفة المبدعة على طزاجة وبكارة الطرح، وعلى الأسلوب المتفرد الذي يعلن عن شخصية أدبية سيكون لها حضورها وسمتها التي تمثل خصوصية لا تتشابه مع معطيات الأساليب المسطحة والتقريرية لكتاب القصة القصيرة. إضافة إلى تضمين الثورة المكبوتة في النفس الأنثوية حين تحكمها تقاليد القبيلة وقيمها الممجوجة في أحيان كثيرة. فأنت عندما تقرأ المجموعة تلمس في الأسلوب قساوة الطرح المنحوت من صخر الحياة. ولكن إذا أنت أنعمت النظر إلى أعماق المضامين وجدت روحًا شفافة وقلبًا يذوب رقة وألمًا، وتحس بطائر يكاد ينطلق من عقاله ليجوب أنحاء فضاءات الحرية ويغرد على أفنان الحياة ومتعتها. كما جمال الفطرة، لا قتامتها وبؤسها وقسوتها. هذا ما أحسسته بين دفتي المجموعة القصصية المعنونة بـ"الهجرة إلى الأشياء" لمؤلفتها سهام العبودي.

* * *

# سوريـــا

لكم ظلم أهلنا وإخواننا في سوريا، فهذا الشعب المؤمن الأبي دارت عليه عوادي الأيام، وشردته قوى البغي والطغيان، ودمرت أهله وأرضه دون رحمة ولا حفظ لذمة أو عرق، أو دم يفترض أن يكون خليقًا بمن ينتسب إلى أرضه وأهله. لقد دفع الشعب السوري أثمانًا باهظة كي يسترد وطنه وكرامته وعزته بين الأمم وهو منتصر بإذن الله. ولكن سيبقى العار يلاحق زمرة الباطل التي تركت آثار عدوانها على الإنسان والحجر والثرى وسينتقم الله القوي القادر ممن ارتكب تلك المجازر في حق شعب أعزل مسالم، ليس له ذنب إلا أنه رفض الذل والامتهان. فبأي وجه ستقابل تلك الطغمة ربها وعليها لعنات من الإنس أجمعين. إن الواقع السوري مرير أليم بكل المقاييس الأخلاقية. وإن ما تقوم به إيران المجوسية قد تجاوز حدًّا قبيحًا في الإجرام. وكذلك روسيا التي جعلت المصالح السياسية والاقتصادية فوق الأخلاق الإنسانية في استهانة فاضحة لأرواح البشر. روسيا لم تفكر قط في قتل وحرق النساء والأطفال والشيوخ والشباب. وأخيرًا نرى الألم الممض حين ترى جثث الضحايا الفارين من ويلات الحرب الذين لقوا حتفهم في بحار أوروبا طالبين النجاة، فإذا هم كالمستجير من الرمضاء بالنار. آه وآه على قلوب قدت من صخر، بل صخر لا يتفجر منه الماء. قلوب غير آدمية متوحشة. لك الله أيها الشعب السوري. ونحن هنا في المملكة معك قلبًا وقالبًا، حكامًا ومواطنين، ولن نتركك هملًا. سندافع معك عنك إلى أن يتحقق النصر ويعود هذا الشعب الأبي إلى عزته على أرضه بإذن الله. وما ذلك على الله بعزيز فاصبروا وصابروا إن نصر الله قريب.

❊ ❊ ❊

# حضرموت

كنت وما زلت أنادي بانفصال دولة حضرموت عن اليمن الشمالي. لأن الفارق كبير فيما بين الحضرمي واليمني في المسلك، وإن رجعوا في الأصول القديمة جميعهم إلى اليمن. ولكن الذي حصل في الشمال بعد الاستعمار التركي والفارسي لمئات السنين ترك هجنة وعجمة في الأنساب. فالقليل من أهل اليمن من لم تلحقه شبهة الأصل التركي والفارسي. والانفصال ضرورة لسلام أهل حضرموت.

يكفي أن أكبر شاهد على الخيانة هو معدوم الذكر علي طالح عفاش والحوشي الفارسي، فهما من دمرا اليمن بعد أن نهباها. والانفصال هو الذي سيحصل عاجلًا أم آجلًا. فلا يمكن لحضرمي أن يعيش تحت سلطة يمني بحال من الأحوال. فليذهبوا عن أهلنا في حضرموت.

ولو جرى استفتاء لأهل حضرموت لتمنوا أن يكونوا تحت القيادة السعودية بالإجماع. فأهل حضرموت أهل ذمة وتقوى لله. وهم من نشروا الإسلام في أصقاع آسيا وكثير من دول العالم، واتصفوا بحسن الخلق والصدق والأمانة. وهذا ما يشهد به العدو قبل الصديق، ولا يماري به أحد. أسأل الله أن يجنب مواطننا شرور الأشرار وكيد الفجار، وشر ما يلج بالليل والنهار. إنه على كل شيء قدير.

* * *

# نفسٌ بلا ضغينة

ما زلت أبحث في نفسي عن نفس خالية من الضغائن والعداوات، مغسولة بماء الطهر. لا تستبدل فطرة الحب بالكره، ولا تعرف شيئًا اسمه الشر أو الحقد أو الحسد أو الغل.

ما زلت أحاول أن أمحو من عقلي ذاكرة القبح في الكلمة والفعل والحس.

لا أريد أن أرى الجمال الخلقي مشوهًا في رسوم الأشياء، أريد تبديل قواميس اللغات المشوبة بالمعاني الحارقة لنضارة الحياة وثوابت الوجود، إلى معانٍ تحمل الصفاء والبذل والعطاء. أريد تنظيف ملوثات الهواء المحمول بذراتٍ غبار الأسلحة المدمرة والغازات الخانقة. أُريد عالـمًا روحيَّ الصفات والأشكال والنوايا والأهداف. فنزعة الخير في النفوس هي الفطرة الأم، فلماذا لا نستخرج كنوزها الدفينة فينا، ونتقلد حبات نفائسها عقودًا نطوق بها أعناقنا، وتكون تيجانًا مرصعة بكرائم القيم على رؤوسنا؟ ابحثوا معي في نفوسكم عن نفوسكم الحقيقية. لا عن نفوس مغلولة بالأسى والألم إلى الماء والطين، لا إلى قسوة الحديد ووهج النار. تعالوا نعيش أعمارنا كملائكة النور. تعالوا، ولا تقولوا لا نستطيع. بل أنتم تستطيعون، فقط حاولوا، ابدأوا، جربوا لتعرفوا أن قيمة الحياة أغلى بالحب وأجمل.

* * *

# إشكاليات المذهبية الشيعية الصفوية

**إلى عقلاء الشيعة في العالم.**

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله فإنما يحتاج العقل الراشد الفطن الحكيم إلى وقفة تأمل واستبصار. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى، ١٣].

**أولًا**: تعالوا نتفق على أننا مسلمون موحدون بالله، دستورنا القرآن والسنة النبوية.

**ثانيًا**: أنتم تحبون الرسول كما نحبه ونحب آل بيته وعترته من أبناء وأحفاد الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه، والإمامين الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. فلماذا ندخل في جدليات اجتهادية تخرج عن الكتاب والسنة. يقول الله سبحانه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر ٧]. فبالله عليكم كيف نسمح لعقولنا أن تخالف التشريع السماوي بباطل لا يقوم على حجة ولا دليل، ويرفضه القلب السليم والعقل الصحيح، حين يزعم أحد من الشيعة: (أنه خان الأمين) ويقصد رسول الله (جبريل) عليه السلام، وأن الرسالة النبوية كانت للإمام (علي) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكن (جبريل) عليه السلام أعطاها لسيدنا (محمد) عليه الصلاة والسلام. بالله عليكم هل ما زلتم تصدقون هذه الأقاويل الباطلة؟ وهل يقال إن خالق السموات والأرض والكون ومقدر الأقدار يخطئ فيما يريد. وهو الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا

في السماء. وهل تكون عقولنا أصح ممن خلقها؟ فهل نتفق على أن الله له العلم والتقدير والتدبير الذي لا يساويه ولا يقاربه عقل أو علم.

**ثالثًا**: هل نتفق على أن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام عبدٌ من عبيدالله، وكذلك علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، أم أنهم آلهة من دون الله. يقول سبحانه:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٤]. إذا اعترفنا بعبوديتهم وعبوديتنا لله فنحن متفقون ولا خلاف بيننا في هذا. وإذا اختلفنا على أن أهل البيت ليسوا عبيداً لله، فقد الرشد والحق، والمنطق السوي من يعتقد بغير ذلك، وقد أشرك مع الله آلهة. وهذا ما يرفضه العقل السليم ويجافي الحق والمنطق. إذ لا يمكن أن يصدق عقل أن يكون لله شركاء ولا أدل من قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون ٩١]. فكيف يُغالي البعض في عبادة الإمام علي وفاطمة، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (وايْمُ اللهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنتَ مُحمدٍ سَرَقَت لَقطَعتُ يَدَها). وهنا تكمن عدالة التشريع السماوي، فلا فرق بين أبناء رسول الله في العبادات والفرائض والحدود، وإلا كان هناك إطلاق لآل البيت في ارتكاب المعاصي واستثناؤهم دون سائر الناس، وهذا ما لم يأتِ به التشريع السماوي على إطلاقه. فكيف يقبل عاقل بالقول إن منزلة علي أو فاطمة أو الحسن أو الحسين تتساوى بالله أو تقترب من صفاته، إلا أن يكون مختل العقل فاقداً للتمييز كالبهم أو المجانين. ثم ما شأن الإنسان بالتدخل في شؤون الخالق ومحاولة تضليل القلب والعقل وتجهيلهما بأمور الخلق والتكوين والقضاء والقدر، كي يعيدنا إلى آراء الجهمية والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من أصحاب الآراء الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهل المجوس

والصفويون أولى بعلي ﷺ منا نحن العرب الأقحاح المسلمين. فما هذه المزايدات الواهمة؟ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب ٦].

**رابعًا**: لقد فرض الله على المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة، وفسر لنا طريقة أدائها. وقد صلى بها سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فكيف يحق لمسلم أن يتجوز أو يعدل أو يبتدع ما لم يقل به الرسول أو يفعله ثم يدعي أنه على ملة رسول الله والرسول يقول: (مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ). فلينظر المسلم العاقل إلى الصلاة التي يؤديها الشيعة والتي هي مختلفة تمامًا عن الصلاة المفروضة التي صلى بها الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم. فما هي إلا حركات رياضية، كما أن طريقة التسليم ليست كما فعل الرسول. فهم يضربون على أفخاذهم وهذا ليس من الدين وإنما بدعة. فالسلام بعد الصلاة أن يدير المؤمن برأسه يمنة ويسرة ويقول مرتين: السلام عليكم ورحمة الله. فكيف يخترق الشيعة الصلوات بكلام غير مثبت عن الرسول، ويلعنون ويسبون حفصة وعائشة، زوجتي الرسول عليه الصلاة والسلام فضلًا عن أصحاب رسول الله أبي بكر وعمر وعثمان، والرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم يقول: (خذوا نصفَ دينكِم عن هذه الحُمَيراء)، ويقصد عائشة رضوان الله عليها وهي أم المؤمنين. فكيف يُعرِّضون بعرض محمد عليه الصلاة والسلام، ويتهمون أشرف سيدات الأرض عائشة زوج النبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، بإفك مفترى كذبه الله في محكم كتابه العزيز، ومخالفته تعتبر كفرًا بالقرآن.

**خامسًا**: ما هذا العداء لأبي بكر وعمر وعثمان، والرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم يقول:

(لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ

مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) وأعتقد أن النقمة عليهم أتت من انتصار المسلمين العرب على الفرس، فأسرُّوها في أنفسهم وراحوا يعملون على خلخلة الإسلام حقدًا من عند أنفسهم وانتقامًا لملكهم كسرى. ونحن نضع اللوم أكثر على الشيعة من العرب الذين هم منا وفينا، فكيف صدقوا أقاويل المجوس وأخذوا عنهم الباطل ليدحضوا به الحق. وهم يشتمون أبا بكر وما أدراك ما أبو بكر الذي قال فيه الله سبحانه في حكم التنزيل ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠]. وهو عليه رضوان الله، أول من آمن برسول الله عليه الصلاة والسلام. فهل يحذفون هذه الآية عند قراءتهم للقرآن؟ وهم يشتمون عمر، وما أدراك ما عمر، الفاروق الذي أيد الحق كلامه في عدة مواضع من القرآن، والذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ). وفي موضع آخر يوافق القرآن رأي عمر، فيقول الرسول: (لو نزلَ بلاءٌ من السماءِ ما نجا منه إلا عمر). ثم يشتمون عثمان ذا النورين، صهر النبي وزوج ابنتيه ومجهز جيش (العسرة)، والذي وهب ماله لله ورسوله بغية نصرة الإسلام. وقد قال الرسول أقوالًا كثيرة في حق أصحابه وزهدهم لله وورعهم له. ثم تأتي حثالة وشراذم قوم فيشتمون أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الذين تحققت على أيديهم نصرة دين الله. أقول لماذا يعلن هؤلاء الضالون العداء لزوجات النبي وأمهات المؤمنين وأصحاب رسول الله عليهم رضوان الله؟ ما هي الجريرة التي اقترفوها في حقهم، وما هو الذنب الذي أتوه لينالوا من أعراضهم. انظروا إلى هذا الحقد المذهبي الطائفي منذ ألف وأربعمائة سنة، وهو لا يزال حقدًا يتوارثونه دون سبب، ولم يكونوا شهود أحداثه، إنما هم يتبعون من أضلوهم من شياطينهم ومن المجوس عبَّاد النار.

**سادسًا**: يزعمون بأن القرآن الذي بين أيدينا ناقص، وأن هناك آيات

منسوخة من القرآن، وأن لديهم مصحفًا آخر يثبت فيه المنسوخ. والله يقول: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة ١٠٦]. فانظر إليهم وهم يتدخلون في قدرية الله ويريدون أن يبدلوا كلام الله عن مواضعه.

**سابعًا**: قالوا بالمتعة التي أجازها الرسول عليه الصلاة والسلام في حرب من حروب المسلمين لحكمة إلهية، حيث تطول الحروب على المسلمين. ولم يجزها الرسول بعد ذلك في السلم. وهم لا يزالون يشرعون ويجيزون المتعة بالنساء. مما يؤثر على النطف والأنساب إذا ما تُرك الأمر على إطلاقه، كما يؤثر أيضًا على المواريث، وإلحاق النسب إذا لم يكتمل عقد الزواج وعدة الطلاق.

**ثامنًا**: يقولون بالأئمة المعصومين، وبولاية الفقيه الذي يعتبرونه مرجعهم، لا القرآن والسنة، ويأتمرون به وله، وكأنه هو واسطة بينهم وبين الله. بما يخرج عن حقيقة التشريع الإسلامي. وهم يزعمون أن لهذا الولي ما للرسل والأنبياء، ويدَّعون العصمة له، ويكادون أن يدَّعوا النبوة له والرسالة، وهو ما لم يأت به التشريع السماوي.

**تاسعًا**: في الزكاة التي شرع الله، وهي اثنان ونصف في المئة، هم يخالفون شرط الزكاة، ويجعلون الزكاة خمسًا في الأموال وهذا ما ينافي شرط الزكاة ومقدارها في القرآن.

**عاشرًا**: القول باستباحة دماء وأعراض وأموال أهل السنة لأنهم لا يوافقون شياطينهم الذين أضلوهم. ويزعمون أنه بقدر قتلهم من أهل السنة يجزون بجنات إضافية، لا حول ولا قوة إلا بالله. كيف يجوزون هذا على أهل السنة والجماعة، وديننا الإسلامي الحنيف لا يجيز قتل إنسان من أصحاب الأديان والمعتقدات الأخرى إلا بحق، فالنفس الإنسانية مصانة ومحرم قتلها، فضلًا عن حرمة استباحة دم المسلم بغير حق.

**حادي عشر**: يقولون بعدم جواز الصلاة خلف إمام سني، لعدم استعماله للحجر الذي يضعونه أمامهم ويدعون بأنه من دم الحسين. وحتى لو كان من دم الحسين، فما النفع فيه؟

**ثاني عشر**: الحج إلى كربلاء والاعتقاد بالعتبات والحسينيات، والضرب بالسلاسل والسكاكين حتى تسيل دماؤهم، وكأنهم يعلنون للناس بأنهم هم من قتل علي والحسين وآل البيت. فضلًا عن التمسح والتبرك بقبور الحسين والأولياء والدعاء إليهم وبهم من دون الله.

**ثالث عشر**: ليلة الجمعة من عاشوراء يطفئون الأنوار، ويستحل كل منهم مجامعة أي أنثى يجدونها. وإذا حملت سفاحًا والعياذ بالله ينسبون المولود لآل البيت، ويسمونه سيدًا، وهو ابن زنا ويلبس العمامة السوداء على أنه سيد من آل البيت. لا حول ولا قوة إلا بالله.

**رابع عشر**: يستعملون التقية، فيبطنون ما لا يظهرون، ويظهرون ما لا يبطنون. لأنهم يعلمون بسوء المذهب وخطئه وحيدته عن الدين الصحيح.

إن هذا لغيض من فيض مما يعلمون أنه الباطل، ولكن كبرهم وعنادهم واتباع شياطينهم يجعلهم يصرون على الباطل، ويضعون أصابعهم في آذانهم، ويستكبرون استكبارًا. وهذا هو الجهل بعينه الذي يخرجهم من الملة. وهناك أيضًا فِرَقٌ أكثر كفرًا مثل النصيرية. ولا أدري كيف أجاز الدكتور عبدالرحمن بدوي لنفسه، وهو من أعلام الفكر العربي، إدراجهم ضمن المذاهب الإسلامية. وأنا هنا لا أعمم بل أخص البعض من الشيعة. فربما يكون هناك من قال بالتشيع وانتسب إليه قولًا لا عملًا به. وهذا نحسبه من الفرقة الناجية إن شاء الله، والله أعلم.

فما رأي عقلاء الشيعة بما يخالف القرآن والسنة النبوية في جزئياته

وكلياته، والذي هو خروج عن الملة. وأقول للنابهين من أهل العلم الشيعي والأدباء والمفكرين تعالوا إلى كلمة سواء، أن لا نعبد إلا الله وأن نمتثل لأوامره، ونجتنب نواهيه حتى لا نهلك، ونحن على علم وبصيرة. فيكون من يخالف شرع الله كالذي أضلَّه الله على علم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ماذا سيفيد الندم بعد العدم؟

* * *

# الرؤية والتشكيل في نظرية الشرق الأوسط الكبير

اعتمد المخطط الأمريكي منذ (بوش) الابن إلى (أوباما) تنفيذ مشروع (الشرق الأوسط الكبير)، بتسويق مفردات جذابة ومغرية للبسطاء مثل (الإرهاب) (الديمقراطية) (الربيع العربي) (الفوضى الخلاقة). وأمريكا تمضي على استحياء الآن لخلخلة أنظمة دول الخليج بخطط وأساليب في ظاهرها الصداقة والود والحماية، وفي باطنها تذويب هذه الأنظمة بما لا يخدش العلاقات وذر التراب في العيون، بانتظار أن يتم تنفيذ نظرية (الشرق الأوسط الكبير). وأمريكا لا تعترف بصداقات لها، بقدر البحث عن مصالحها الخاصة في تحقيق إمبراطوريتها وسيادتها على كل دول العالم وتحسين اقتصادها لتتفرغ بعدئذ لتذويب الأنظمة الأخرى بدول شرق آسيا ومن ضمنها الصين وكوريا الشمالية. وهي من أوجد الإرهاب في الشرق الأوسط مرة عن طريق الإرهاب (الإيراني)، ومرة أخرى عن طريق استحداث (داعش والنصرة) بعد (القاعدة)، وما خفي كان أعظم. والقادم أسوأ مما يتوقع كل الساسة والمحللين والمتخرصين وكل الفطنين والأذكياء والدعاة في العالم. وما إيران وفروعها من (حزب الله والحوثي وصالح) إلا من تلك المنظومة الفاعلة لاستكمال الأهداف المحققة لتطبيق النظرية (الشرق الأوسط الكبير). المشكلة أنها القطب الأوحد المهيمن بالقوة العظمى على مقدرات ومكتسبات وثروات الشعوب طوعًا أو كرهًا، فالقوة تجيز ما لا يجوز وتسن القوانين على الضعفاء. وللشعوب والقيادات كل العذر في الانصياع لتلك الهيمنة الأمريكية، حيث

ليس لها حول ولا قوة إلا بمحاولة البقاء على قيد الحياة بأقل الخسائر والتضحيات. وقد أضحت أمريكا القوة الأعظم بعد قوة الله، على هذه الأرض. وهي التي حجمت القوة التي كانت تقف في وجهها، أعني (الاتحاد السوفييتي). فماذا يتبقى لدول الشرق الأوسط غير الإذعان والاستسلام لما تفرضه أمريكا؟ أما الآن فقد أصبح أمام دول المنطقة اتجاه واحد هو الاتجاه الأمريكي ولا يوجد خط رجعة إلى الخلف ولا إلى اليمين أو الشمال. وقد أوضحت في ديواني الشعري (الجراح تتجه شرقًا) الصادر في بيروت في ٢٠٠٥م تلك الأهداف الأمريكية ونظَّرت للحلول. ولكن من يقرأ ومن يتعظ ومن يقدِّر العقل العربي المخلص والفطن في عالمنا العربي الذي طالما انشغل في اكتناز الأموال والانشغال بالملذات وحب الذات وتحجيم وتقزيم العقول النيرة التي لا مكان لها في إبداء الرأي وتصحيح الرؤى والمفاهيم، والمشاركة بالنزر اليسير من القرارات؟ فدون ذلك تكميم الأفواه ولجم الحكمة والحكماء واستصغارهم. فالساسة المختلفون في الرؤى والمناهج يعتبرون أنهم وحدهم المحققون لتطلعات الشعوب. كما هي حال الإمبراطور (القذافي) والإمبراطور (الأسد) و(علي طالح) وغيرهم ممن استبدوا بالشعوب المغلوب على أمرها ومزقوا عرى التواصل بين أمشاج العروبة والإسلام، حتى أصبحنا في مهب الريح نستجدي الغوث من أعدائنا والنجدة من قاتلينا. ولم يعد همنا سوى أن نعيش مثل السوائم أو البهائم ونرضى بالمذلة والهوان.

❊ ❊ ❊

# القاعدة والدواعش

أمريكا وأوروبا خائفتان ليل نهار من القاعدة ومن الدواعش ومن الحوثيين ومن الإسلاميين، ومن منظمات إرهابية سعتا سابقًا لقيامها. تصوروا وتأملوا نكتة القرن العشرين. أمريكا وأوروبا وأذنابهما الذين استعمروا معظم بلاد لعالم والذين يملكون السلاح المدمر الذي أباد ودمر دولًا وأُممًا منذ هيروشيما وناجازاكي، والذين أجهزوا على الجيش العراقي في أقل من أسبوع، والذين حطموا أسطورة الاتحاد السوفييتي وركبوا على أعناق المستضعفين في الأرض يزعمون الخوف من العرب والمسلمين ويستجدون الشفقة عليهم والحماية لهم من أقوام عزل بسطاء، أقوام ليست لديهم تلك الترسانة الكبيرة من السلاح النووي والكيماوي وأسلحة الدمار الشامل.

فانظر إليهم اليوم يدّعون الخوف منا، إذ نحن إرهابيون في نظرهم، ونهدد وجودهم. فبالله هل تصدقون هذه الأقاويل والمزاعم والدعايات والأكذيب ممن هم شر البلية، وكما قيل (شر البلية ما يضحك). أمريكا وأوروبا وأذيالهما الذين يملكون قوة الأرض جميعها ولديهم أسلحة تعمل بالهمس وباللمس، يخافون وممن؟ مِنْ شعوب مغلوب على أمرها. إنهم يتحكمون بالماء والغذاء والفضاء والأمراض والدواء، ويدعون بأنهم مساكين يستحقون الشفقة، ولا بد لنا من حمايتهم منا عبر السماح بتدميرنا وقتلنا وسحقنا، بل وإبادتنا عن بكرة أبينا، حتى يأمنوا على أمنهم القومي. إنهم يسترخصون دماءنا بذرائع وحيل وخطط ملعونة ليعيشوا على أنقاضنا. تأملوا

أمريكا وأوروبا اللتين تملكان أكبر تقنية وأكبر حواسيب المعلومات، واللتين تراقبان همساتنا وحركاتنا عبر وسائل التقنيات المعجزة التي تمكنهم من تصويرنا ونحن نجامع زوجاتنا. إنهم يدعون الخوف منا. فيا لها من مهازل يصورونها لنا على أساس كونها حقائق.

لقد درج الغربيون على الزيف والخداع، ونحن ما زلنا نصدق أكاذيبهم وأباطيلهم، ونعترف رغمًا عنا بأننا إرهابيون ومجرمون في حقهم، وأنهم أصحاب القيم ودعاة السلم. فكيف وهم الذين يصدّرون لنا كل أنواع وأشكال الشرور لتدميرنا وتدمير الإنسانية في كل زمان ومكان. إنهم لا يرعون ذمة في الله. تبًّا لهم ساء ما يعملون. وسحقًا لهم على ما يجنون ويرتكبون من جرائم في حق بني الإنسان. فأين يذهب الناس من مكرهم وخداعهم وزيفهم وأباطيلهم وجبروتهم إلا إلى الله. ففرُّوا إلى الله أيها الربانيون، ولا تموتوا جبناء أذلاء يسكنون جحور العار والمهانة والمسكنة. موتوا وأنتم تدافعون عن دينكم وأوطانكم وأعراضكم وأموالكم، فتكونوا شهداء للحق الذي ارتضاه الله لكم وعاهدتم عليه. وإلا فموتوا في كهوف الخوف والذل والهوان، طالما أنكم ميتون في كل الأحوال، والأفضل أن لا نموت ميتة جاهلية تكسبنا غضب الله. وكما قال المتنبي رحمه الله:

**وإذا لم يكـن مـن المـوت بُـدٌّ فمـن العـار أن تمـوت جـبانا**

* * *

# بركان الأسرة

أكاد أقتنع بضرورة التعدد في الزواج نظرًا إلى أعداد النساء التي تفوق أعداد الرجال، ولنسبة الطلاق والعنوسة، فالتعدد يحمي المجتمعات من مخاطر الفساد والرذيلة التي تتهدد الواقع العربي. شرط توافر النوايا المخلصة بين الرجال والنساء، على أساس التحصن وبناء أسر كريمة، والقدرة على الكفاية والكفاءة بين الرجل والمرأة، وتقوى الله. لا الزواج، لإشباع رغبة أو نزوة مؤقتة، أو إذلال المرأة وامتهانها أو العيش على دخلها المالي إلا بموافقة المرأة على المساهمة مع الرجل في المساعدة والعون بدون إكراه. إن المرحلة تنذر ببركان يكاد ينفجر ليهدم أهم كيان عربي وهو الأسرة. علينا أن نهتم بهذا الجانب الإنساني والأخلاقي شريطة توفر العدل والقدرة والكفاءة، ولن يضير المرأة إذا توفرت لها وسائل العيش الكريم أن تمنح أختها المرأة فرصة الاستمتاع بحياتها مثلها. وهو أمر ملح يجمل بنا السعي له وتشجيعه، حتى يسود الأمن والطمأنينة وقيام أسر تشارك في بناء حضارة الأوطان، ودرءًا للمفاسد التي توشك أن تدمر المجتمعات العربية والإسلامية.

* * *

# هو الغرور

هو يتحدى بأن يصل إلى مستوى فكره وجدة إبداعه وتميزه، ويظن أنه احتلب ضروع أبكار المعاني، يرتشف لبنها ويقدمه لرواد قلمه. وهو على ثقة بأنه تجاوز القمر وأضاء، ونسي أن آلاف النجوم والكواكب تفترش الأفق وتتصدر أعنان السماء، وفوقها الشمس وبناتها التسع. ولولاها لتغير نظام الكون المتناثر بخلائقه على أديم المجرات ـ هو يظن (وإن بعض الظن إثم) ـ صحيح أنه امتلك رفات المعاني، ولكنها فاقدة لأرواحها مضرجة بدمائها، حين أشبعها قتلًا مبدعو الزمان في سائر الحقب. إن المواهب الحقيقية كالغيث العميم الذي تتعوده العيون عبر الأزمنة، لا ينضب قطره ولا تنقشع غيومه ولا يجدب خصيب أرضه، ولا تجف حقوله ورياضه، فهي يانعة دائمًا بالزهر والشجر الذي يثمر بطيبات الجنى. هو يظن أن السماء تمطر ذهبًا. ليته يتفكر أكثر في كينونة المواهب وصيرورتها وصقلها بالتجارب الحياتية وأشكال الفرح والترح التي تذوقها عبر البسمات والدموع والأنات والآهات والآلام التي جللت مواكب القدرة والتميز ـ ليته ينبذ الغرور، حتى لا يقول أنا إلا بعد ركوب الخيول العراب، ودخول الحروب وهو مدجج بسلاح التجارب الصادقة.

وقبل أن تتضح شخصيته وموهبته سيظل علامة استفهام منثورة هنا وهناك. إنه بلا شك موهوب، وسيصفق له الزمن يومًا ما إذا تجاوز موقعه إلى المواقع العلية والمكانة السنية. وعندها لن يكون قدره مجرد ظن مزعوم،

وإنما يتجسد واقعًا تحيط به الأضواء من كل جانب. فلينتظر مواسم الربيع، لعلّه يصبح ذا شأن عظيم، فليكن عاليًا كما يجب، ليكمل عدّاد كوكب الأرض، ولن يكون كذلك إلا بإرادة الله.

* * *

# عزلة العاقل

إحدى القنوات التلفزيونية تطلب مني منذ شهور موعدًا للقاء مباشر، وأنا أعتذر. فأنا رجل أؤمن بقيمة الوقت وقيمة الفكرة التي تضيف للمتلقي إضافة نافعة. أما أن أظهر على الشاشة حبًا بالظهور فهذا ما لا أحبه ـ وأخيرًا وبعد إلحاح من مديري القناة طلبت منهم أن يعدوا الـمَحاور التي سنناقشها، وأن يكون هناك موضوع وقضية وجدة في الطرح، حتى لا يضيع وقت الجمهور فيما لا نفع فيه. وأنا قد عزفت من سنوات عن قراءة الصحف السعودية، وتوقفت عن النشر إلا في "الفيس"، حين توفرت لدي القناعة بأن لغة التقدير أصبحت لغةً للمجاملة، بعيدًا عن حقيقة المعرفة التي تضيف جديدًا على ما في الكتب ـ.

أريد شيئًا جديدًا مبتكرًا، ولا أريد أن أكرر فكري، ولو أن لدي الكثير لأقوله. ولكن هل أستطيع أن أناقش موضوعًا أو قضية وأنا أتمتع بكامل الحرية الفكرية والأخلاقية؟ طبعًا لا. إذن، فما هي الفائدة إذا كانت الكلمات والمعاني والأهداف حبيسة الألسنة والأفواه والحناجر والعقول، في عصرٍ كلٌّ من فيه يكتب وينقل في فوضوية لا تبعث على التفاؤل بمستقبل زاهر للفكر والأدب والعلم.

فنحن لسنا في عصر هارون الرشيد، ولا عصر المأمون الذي كان يُنزل الناس منازلهم. ولكننا في زمن ترقيع الشقوق الفكرية المريضة. وقيمة الناس في وطننا تُعطى لغير أهلها من المنافقين والمتزلفين والوصوليين والانتهازيين

وأصحاب الوساطات. فلدينا وطن ليس للكفاءات مكان فيه، وكم كتبت عن الظواهر السلبية في طريقة الاحتفاء بالفكر الوطني وتقديره وإعطائه حقه. ولكن الحكومات تقول إن لديها قضايا أكثر أهمية. ولا أدري ما هو الأهم من الفكر المبدع. ولا أدري لماذا يهمش كل ذي فكر بصير وعقل منتج ورشيد.

كم تمنيت أن يكون في كل وزارة مفكر أو أديب أو عالم من علماء اللغة. وأن تكون هناك هيئة جامعة داخل كل وزارة تناقش المشاكل والقضايا وتبتكر الحلول، من خلال الفهم المتخصص والمدرك لقيمة التجربة والخبرة والكفاءة. ولكن هذا لم ولن يحدث في الوطن العربي.

وكثيراً ما ترى وتسمع ما يخزي ويضحك ويؤلم من كبير أو وزير أو مسؤول. ولكنك لا تستطيع التعبير، وحتى النصح الذي يتطلب المصارحة يبعث على الحذر والخوف من أن يعرِّض الإنسان نفسه للمساءلة والعقوبة. لقد بات كل ذي عقل وفكر وعلم يأنس بالوحدة والعزلة، لأن الشعور بالمواطنة والكرامة لم يخلق له، بل لمجموعة معروفة مقربة، تستر العوار وتخفي الأسرار. مجموعة قليلة تعتبر أنها تمثل الوطن والمواطنة، أما غيرها فلا. إننا والله على شفا الضياع. ولكن البعض يجذِّف ضد التيار فيغرق غيره. لذا فالمنطق والمعقول اليوم أن تعطي على استحياء، وتكتب لا لهذا العصر بل لعصور تقدِّر قيمة العقل الذي وهبه الله، وتقدر قيمة المواهب والخبرات والكفاءات وتنزلها مكانها.

إن هذه الآفات المستشرية تدفع الكثيرين إلى هجرة أوطانهم الأم، بحثًا عن أوطان بديلة تقدر كفاءاتهم وتوفر لهم الحياة الكريمة.

* * *

# الصداقات

تمر الصداقات بتغيرات تخضع لتقديرات مصلحية أو مزاجية، وهناك من لا يراعي دواخل النفوس وما يعترضها من حالات قاهرة تصيبها باليأس أو المرض أو التقلبات الحياتية. فكما تتقلب الطقوس البيئية تتقلب النفوس الإنسانية، لذا تكون الانفعالات النفسية مقدرة على الاستنباط والاستشعار الآني غير المتعمق وغير العاذر لما يطرأ على النفوس من أحداث ومواقف خفية عن الآخرين. فثمة من يأخذ عليك مآخذ بحسب تفكيره وتقديره الخاص، ويريدك في كل لحظة أن تكون هاشًا باشًا في وجهه، غير معني بهمومك ولا بآلامك ولا بأحداث الزمان التي تعترض الإنسان في حياته.

إنه يريدك مؤنسًا له، حتى ولو على حساب صحتك ومشاغلك ومزاجك النفسي. وبهذا تنتهي الصداقات في لمح البصر وبأقل كلفة أخلاقية. وبعض الصداقات تنشأ لمعرفة أسرار حياتك وكيفية معاشك أو تسجيل مواقف عليك لا تخلو من الشماتة أو التعريض بك للتشفي منك بلا سبب ولا وازع من ضمير أخلاقي رادع. وتشعر أحيانًا بحذر مملوء بالتشفي يحسبه البعض قصاصًا لثأر في نفسه لجرم لم ترتكبه، سوى حاجة في النفس تخيلها واقتنع واهمًا أنها تستوجب عقوبة ما.

وسريعًا ما تنسحب تلك الأوهام على كل معطيات وأخلاقيات الآخرين، دون النظر إلى أقل القليل من الود الإنساني. ولو تجرد كل إنسان من تركيبات الدونية والغيرة والحقد والحسد لعرف أن في الحياة من الهموم

ما يتجاوز همومه الشخصية. وليس ضروريًا أن يبدي لك الإنسان في كل وقت ما تحتاج إلى سماعه من الكلمات. فماذا ستقول لنفوس تأخذ بعثراتها ما تقتنع بأنه من حسناتها، غير آبهة بمشاعر الآخرين. ولا تجد في تلك النفسيات الصادمة لتوقعاتك الحسنة إلا الكره والازورار. وبعض عارفيك غير مجبر على صداقتك، ويستطيع أن يرتاح ويريح في غير مثلبة ولا ذنب ولا ضغينة، حيث يرحل بالمعروف ويغادر بالإحسان. فلا هو حامل لأوزار العباد بالقال والقيل ولا هو متكبد لخسائر المواجهات غير المحسوبة والتي تترك آثارًا وخيمة على النفسيات المسالمة.

وقد تكون أسباب الضغائن متعلقة بالفشل في تحقيق النجاح، وبالفقر وتدني الحالات المعاشية وهناك ما يخرج عن إرادة البشر إلى إرادة الخالق لو عرفنا يقينًا بأننا في مركب الحياة سواسية. على أننا لسنا سواسية في الأقدار والثروات والمواهب. كما أن هناك نفوسًا خيرة ونفوسًا أمَّارة بالسوء. وفي كل الأحوال جاهد النفس على أن لا تكون ظالمـاً فتبوء بخسران الدنيا والآخرة. وكما قال تعالى ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٦٣].

❋ ❋ ❋

# الحمد للّه

لنفسي أقول: احمدي الله يا نفس وإياك وكفران النعم ـ واقنعي بالقليل يكن كثيرًا بالحمد ومباركًا بالعطاء ـ أيتها النفس الأمَّارة بالسوء ألا ارعويتِ من رب الوجود الذي خلقكِ فسوّاكِ فعدّلكِ. ألا اتعظتِ بما سلطه الله على الأمم التي كفرت بنعم الله فأذاقها الله وجيعة الخوف والجوع والهم والمرض وباءت بغضب الله ـ أيتها النفس علام تدركين الخير وتأنسين إلى الشر؟! أفلا اتقيت فاهتديت إلى سبل الحق والرشاد؟ إن الرحيل قريب والموت له نيوب، والجنة تزلف لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، والنار مهوى لمن ضلَّ عن الهدى واتبع خطوات الشيطان ـ يا نفس لم يعد لك إلا الرجاء لمن خلقك، والرجوع عمًّا يغري ويردي ويورد موارد الهلاك ـ يا رب أسألك بقدرتك وعزتك وعظمتك وكرمك وقوتك، أن تتوب عليَّ وتصلح فساد نفسي وتحسن عاقبة أمري، وتتوفاني وأنت تمطرني برضاك عني، وتصرفني عن شرِّ نفسي، وتسلك بي إلى خيرها. يا عظيم يا ربي ورب كل شيء، أستغفرك يا سيدي ومولاي وأنيب إليك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

# في ضيافة الأستاذ القدير ناصر الدين الأسد

حين دعاني معالي الأستاذ الجهبذ الصديق الأديب الدكتور ناصر الدين الأسد إلى العشاء كنت أتوق إلى سماع ما حصل بينه وبين الأستاذ العالم طه حسين بعد صدور كتابه "الشعر الجاهلي" ـ ثم وجدته يروي لي بشكل مفصل كيف أنه استطاع بفكره الوقّاد الرد على الرؤى المغلوطة والمتطرفة في فكر طه حسين التي أحدثت دويًا نقديًا في حينها لدى أدباء ومفكري العالم العربي. إذ ذاك لم يجرؤ أحد على مواجهة فكر الأستاذ الدكتور العالم طه حسين الذي عاش عصر النهضة والتنوير العربيين، على المستويات الفكرية والأدبية والعلمية. فالدكتور طه حسين تشبعت أفكاره بما حملته الثورة الفكرية في فرنسا حين كان الفكر العربي يغط في نوم عميق. قال معالي الدكتور ناصر الدين الأسد: كنت أتوجس خيفة وأمتلئ مهابة بعد أن فندتُ فكر طه حسين ونقدته بأسلوب علمي على كتابه "الشعر الجاهلي"، حيث أقام فواصل زمنية اجتزأ منها نصوصًا منسوبة إلى الشعر الجاهلي مشكِّكًا في صحة نسبتها إلى ذلك الشعر. وقال معالي الدكتور ناصر: كان من حسن حظي، أو من سوئه، أن يزور معالي الدكتور طه حسين الأردن في زيارة رسمية، وطلب لقائي، فأتيت إليه كما يأتي التلميذ إلى أستاذه. وأي أستاذ هو؟ إنه القامة العلية. إنه الدكتور طه حسين وما أدراك ما طه حسين. ويستطرد معالي الدكتور ناصر قائلًا: لكم كنت مأخوذًا ومشدوهًا ووجلًا من لقائي بهذا العلَم، ومتحسبًا ومستريبًا مما سيحدث في هذا اللقاء. وبعد التحايا الطيبات جلست إلى جواره محييًا، وإذا بالدكتور طه ينفجر في غضبة مضرية، وينهال عليَّ بالكلمات

الحانقة الغاضبة ضدي، ويحاول الاستهانة بي مفكرًا وناقدًا وأديبًا، والتقليل من شأن ما كتبته. إذ كنت على حداثة سني مناوئًا ومناهضًا لفكره حين جانب الصواب. ولم أنبس ببنت شفة حتى أنهى ثورته العارمة ضدي وانفض المجلس من الجميع، وعدت إلى منزلي ينتابني الحزن الكبير على جهامة ذلك اللقاء. وغادر طه حسين الأردن إلى القاهرة، في حين أن ردي على طه حسين أخذ يحدث دويًا هائلًا في العالم العربي، مؤيِّدًا بمنهجية البحث العلمي الذي أصَّل الامتداد التاريخي للشعر العربي عبر أزمنته وعصوره وصولًا إلى العصر الحديث. وتابع: ولم تمر شهور حتى عاود معالي الدكتور طه حسين زيارته للأردن في زيارة رسمية، وعاود الاتصال بي وطلب مني المقابلة. وبالفعل حضرت إليه في النزل الذي يقيم فيه. وقد كانت المقابلة تلك تتسم بالحميمية. فقد كان هاشًا باشًا في وجهي بخلاف ما حدث في المقابلة الأولى. كأنه أتى معتذرًا عما ألحقه بي من الإساءة في المرة السابقة، ومعترفًا على استحياء بقدرتي على تصحيح مفاهيم مجانبة للصواب، بثها معالي الدكتور طه في كتابه "الشعر الجاهلي"، مؤيدًا ما قلته في ردي عليه. وأنا يومها لم أكن قد شببت عن الطوق، ولم أبلغ شأو الضليع الذي ينازل علمًا مثل طه حسين. حينها عرفت كيف يكون العلماء والأدباء والمفكرون الكبار في عقولهم وأخلاقهم عندما يكون العلم والحقيقة هاجسهم الأبرز. فتراهم ينقادون للحق والحقيقة، ويتنازلون عن كبريائهم ونرجسياتهم، لتكون الحقيقة وحدها ضالة الفكر الإنساني المرتقي بالشعوب في مختلف البيئات.

❋ ❋ ❋

# بركان ينتظر الوقت

أجنة ولدت على قوارع الضياع. ارتحل أهلها من بلاد الفقر والجوع والمرض، وتسللوا طالبين النجاة بأرواحهم، وسكنوا الكهوف والخيام وأطلال بيوت مهدمة، واستأنسوا بالوحشة والظلام مع خفافيش الخوف. ونراهم مع ذلك يتكاثرون.

فما الذي سيؤول إليه حال الذين تمكنت منهم الفاقة، وأتوا من بلاد الفقر والحرب إلى بلاد ظاهرها النعم وباطنها النقم.

إن بواطن الأمور تخفي بركانًا سينفجر يومًا ما ويجعل أعزة ذلك الوطن أذلة. وكذلك يفعل من ألِف الفاقة والعوز واستعبده الجهل وغفل عنه الوقت وامتهنته السنون. (فكيف ستكون النقمة والانتقام من بلد التخمة)؟

* * *

# أعمارنا والأمل

في كل يوم من أيام أعمارنا نلتقط آخر أنفاس الأمل المحملق إلى آفاق الكون وأعماقه. نغدو ونأتي علّ بريقًا يضيء سديم الوقت الضارب بلياله على براءة الأعمار الواقفة على طريق الرجاء. ونحن ننظر إلى القدر الإلهي أو إلى التقدير الإنساني، وكأننا ننظر في متاهة نلج فيها، لا بقدر احتمالاتنا ولكن بقدر انتظام المجرة فينا. فحينًا نتفاءل ببشاشة الصباحات التي تعمر الأيام والسنين ونتراقص على أوهام الظنون والشكوك.. وحينًا لا نملك إلا القبول بما هو مدرك، وبما لا نستطيع إدراكه، فنركن إلى العبث بفكرنا ليأخذنا إلى مشارف الطمأنينة. وأحيانًا نخرج عن دوائر صمتنا ونستعدي الزمان والمكان، ونتصارع مع احتمالات تفكيرنا باصطناع واقع بديل نتجاوز عبره عجز ذواتنا عن تحقيق الهدف من إقامتنا على كوكب سابح في فضاءات المجهول. نتساءل عن الميلاد والفرضيات وعن القلق الذي يعتمر أعمارنا، فتأتي الأجوبة مقتضبة لا تبل جفاف الأسئلة. إلا إننا نخادع نفوسنا بالرضى ونتواصى بالصبر على قيود الرهبة والرعب والضيق والوهن والكرب والمرض. ولو أردنا أن نغير الواقع أو الوقائع لما استطعنا، وكلٌّ يضرب بعصاه البحر الآدمي علّه يجد ضالته. لا شيء مما فعلناه يقينا الحيرة والاضطراب والهلع الذي استفرغ سمومه في شراييننا ليكون التيار الموصل إلى الاستشعار بنبض القلوب ونبض الأشياء من حولنا. هكذا نرى دموعًا في الميلاد، شقاء نكابده حتى تلفظنا الحياة. وكأننا دمى يتلهى بها الزمان والمكان، فيما قوة أخرى خارقة تتلهى بنا وبالزمان والمكان. ثم نرى حقائقنا جثثًا هامدة تتوحد

مع طين الأرض لكونٍ هو نحن، ونحن إياه. وتبقى الأسئلة بلا جواب. تلك أرواح الأشياء الأثيرية تسكننا ردحًا من الزمان، وليس بيننا وبينها أي معرفة ولا صلة ولا قربى، الأسئلة تبحث عن الغيوب المجهولة والأجساد المدفونة والمدى البعيد والقريب. نريد أن تكون حياتنا سرمدية ليأتي الجواب، فترحل بلا جواب ولا اقتدار ولا اضطلاع بالغيب. أنت ما أنت، إلا نثير من تراب. فسرْ إلى التراب الذي تبحث عنه كاللغز. اللَّهم ارحمنا، نحن الغرباء الأشقياء الأعزاء وسيظل العقل يبحث ويسأل ويحاول معرفة لغز الحياة والموت، وننتهي دون جواب.

# العمائم تيجان الملوك

قيل (العمائم تيجان الملوك). وكان رسول الله ﷺ يضع عمامة على رأسه.. فما بالنا اليوم نحن الخليجيين نحتفي بوضع العقال، وهو في الأساس رمز للحزن على ضياع الأندلس، ولا يمكن أن نعتمد المعنى الثاني للعقال وهو مِنْ عقل الشيء إذا ربطه وقيده.. وهو ما يطلق على عقال أرجل الإبل وتقييدها، لأن من يلبسون اليوم العقال ليسوا رعاة إبل. وإلى وقت قريب كان البدو يلبسون الشماغ الأحمر، ويربطون شاشًا أبيض على رؤوسهم، كالعقال اليوم. ويقال إنهم يعتبرون ذلك الشاش كفنهم إذا قضوا في الحروب. لكن السؤال الذي أطرحه هنا: لماذا لا يقتدي علماء الإسلام بالرسول الكريم الذي كان يعتمر العمامة!

* * *

# ما بالنا

ما بال أقوام تريد شعرًا نبطيًّا.. تريد مزايين الإبل.. تفتخر بالبداوة. أي بالجهل والتخلف.. تريد أن تعيش على الترَّهات.. تنام على العلات.. لا تحترم الحضارات.. ما بالنا!

* * *

# ادعـــاء

الإنسان غير النابه إذا وصل إلى قمة النعمة والقوة والسؤدد تعاظمت نفسه في نفسه، فيتخيل لجهلة أنه إله، وأن الدنيا خلقت له وحده، وأنه مفضل على الآخرين ببعض عطاءاته. وحين يبلغ جُلَّ آماله، تتصارع في نفسه الأنا الواهمة ليعلن أنه فوق البشر. عندما تقرأ عن سير الممالك والملوك والأغنياء المترفين، تجد أن آخر آمالهم ادعاء الألوهية واستعباد الخلق. ألم يقل فرعون "أنا ربكم الأعلى". انظروا إلى النفس الإنسانية الواهمة بملكية المملوك للمالك الحق. هي هذه التركيبة الفطرية للإنسان العربي.

* * *

# نهب منهوب

يا أغنياء الشرق الأوسط اكنزوا الذهب والفضة في البنك المركزي الأمريكي. فجميع ما نهبتموه من ثروات أممكم رزق اليهود وأمريكا وأوروبا. انهبوا بقدر ما تستطيعون، وستنهبون حتى تكتمل قصة أمة كانت ثم بادت.

* * *

## عليكم بالنوم

أنصح العرب والمسلمين بكثرة النوم فهو أفضل من الجنون. ما دام لم يعد فيهم ذلك الحس الاستشرافي للحياة.

* * *

## حملان وديعة

العرب والمسلمون يعيشون أحلام اليقظة فكل همهم الترف وجمع الأموال التي ستكون غنائم أوروبا وأمريكا.. فلا تظنوا أن أمريكا ستترك الحملان الوديعة تنعم بهذه الثروات وهي التي تقدم للبشرية العلوم والتقنيات والتكنولوجيا والرفاهية خالصة لوجه العرب! ولكنها أعدت خارطة للشرق الأوسط الجديد بوجه أمريكي– أوروبي.. وسيتحقق ما قرأناه قديمًا عن بروتوكولات صهيون.

* * *

# أصحاب الكهف

اعلموا أن مؤتمر القمة الإسلامية الذي انعقد بمكة المكرمة لم يكن ضمن اهتمامات أمريكا ولا في حساباتها. هي تسخر من أمة ماتت قبل قرون، ولا يوجد فيها باعث على الحياة إلا أن يشاء الله بما يخرج عن الفكر الإنساني ويأتي كمعجزة من السماء. ولكن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد ١١].

***

إذا رأيتم أمريكا وأوروبا صامتتين فاعلموا أن شيئًا كبيرًا سيحدث ويهزُّ العالم. ارتقبوا القادم المؤلم الذي سيكون على حساب الشعوب المستضعفة.

***

# ويحك أيها القلب

ويحك أيها القلب، وقد قضيت أكثر من نصف قرن تقدم التضحية على جذائب الجحود، وتسقي الحب حتى للحقود والحسود. ألم ترَ الناس وهم يتبدلون ويستبدلون بالشر والخير؟ ألم ترَ كيف يبيع الحبيب والقريب والصديق بعضهم بعضًا بثمن بخس؟ ألم ترَ أن صاحب القيم والأخلاقيات مملول منكور مأكول؟ ألم ترَ الشواهد وتعيش الأحداث التي تؤسس للقيم الجديدة المستوحاة من الخدائع والشرور والعيش على أنقاض أعمارٍ من الفضيلة والحب والإخلاص؟ ويحك أيها القلب الطيب، وألف ويحك أيها القلب الصابر النازف مِنْ طعنات مَنْ يدَّعون الحب، والحب في عرفهم هو المصلحة والمنفعة الوقتية التي تزول بعد ثواني العطاء والبذل، فينقلب الحب إلى كره، والبذل إلى نكران، والفداء إلى عداء. جميع من أحببتَ قسَوْا، ومن أعطيت نسُوا.

وما يذكرونه أنك ارتقيت وارتفعت بقيمك وصدقك وإخلاصك لله ولهم هم. وأن أياديك البيضاء تزعجهم وتقض مضاجعهم وتؤلمهم. يحاولون أن يتناسَوْا إيثارك، ودموعك في أحزانهم، وابتهاجك في أفراحهم. وهم يتلذذون بمحاولة إيذائك ويتمنون أن يشفوا صدورهم بأن يروك وقد ألـمَّت بك أحداث إيذائك ويتمنون أن يشفوا صدورهم بأن يروك وقد ألمـَّت بك أحداث الزمان المريعة. أو أن تموت أو تسجن أو تفلس، ليرتاحوا من حيرتهم وتزولَ غيرتهم ويهنؤوا بالشماتة بك.

أيها القلب الطيب، تُرى لو أنك تعلمت الحقد والبغض والبخل والإهمال والبعد والتشفي والنكران والجحود، وترفعت بالكبر عليهم، خصوصًا وأنك في حال يؤهلك لذلك. ترى هل سيكون جزاؤك بما جازاك به القريب قبل البعيد. ويحك أيها القلب، ماذا أسميك؟ هل أنعتك بالغبي، بالضعيف، بالذليل. ويحَكَ إن لم تتبدل قيمتك بقيمهم فستعيش عليلًا. اهجرهم، انسَهُمْ، واعتبرهم من سقط المتاع. فكم أساؤوا لك وكنت الغافر والمسامح لزلاتهم وقسوتهم وجبروتهم. هم لا يستطيعون لقاءك ومواجهتك إلا من خلف حجاب. فكل منهم يحمل العار والشنار مما جازوك به من قبح الفعال على جميل أفعالك. ولكن هي النفوس الخبيثة الخسيسة التي تقابل الإحسان بالإساءة لمن أحسن إليها. مسكين أنت أيها القلب الطيب البريء. لم تكن تعلم أن السبب هو العلو والتسامي والارتقاء الذي رفعك به الله، فكنت تحمده وهم يجحدون، وكنت تقنع وهم يتقافزون على الأرزاق والحظوظ، وما قسم الله لكل إنسان. أيها القلب كن لغيرهم من أصحاب المروءات والأخلاق. بع من يبيع، واكذب واشمت واغدر واهجرهم واحتقرهم وتعالَ عليهم كما فعلوا. وعش لأصحاب الفضيلة والحب الصادق وأصحاب القيم والشيم كريمًا معطاء فالدنيا بخير. وفيها من الأخيار والأحرار وأصحاب المبادئ ممن يحق لك أن يكونوا أهلك الجدد. سلام عليك في الأخيار الطيبين، أيها القلب الأمين.

❋ ❋ ❋

## المذاهب

ما دام بين أيدينا كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فلا حاجة لنا بالمذاهب، فالذين وضعوا المذاهب رجال لا يختلفون عنا.

* * *

## لا ترخصوا

لا ترخصوا أنفسكم فترخصوا في عيون أعدائكم وتصبحوا في وطنكم، أنتم وأبناؤكم، عبيد المستقبل وإماءه. ادفعوا بالحق الباطل وأحبوا بعضكم بعضًا وانبذوا الفرقة والعصبية ودعوى الجاهلية الأولى، وانتموا إلى الإسلام لا للقبيلة والعرق. وحاذروا تصنيف المسلمين إلى نحل ومذاهب وأجناس وألوان وسادة وأشراف. ارتقوا بالإسلام ثم بالعلم والأدب، وارتفعوا بالحب تسودوا وتفلحوا وتكونوا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٠].

* * *

# لا تقولوا.. وقولوا

لا تقولوا مثلما قال عبد المطلب "أنا رب إبلي وإنَّ للبيت ربًا يحميه". ولكن قولوا: نحن أرباب حقوقنا ونحن أهل بيت الله نحميه بقدرة الله وعونه ولا نقبل الدنية فيه.

* * *

# عقول لا تقرأ

مشكلتنا ومصيبتنا هي بعض العقول التي لا تقرأ، وإذا قرأت فإنها تأخذ المعنى السطحي للألفاظ والمعاني. وإذا أرادت أن تناقش رأيًا ما انكشفت هشاشتها. فليت مثل هذه العقول تصمت، حتى تستطيع أن تدخل إلى أعماق الكلمات والمعاني. وليتها تستفيد من طرح الأفكار النيرة التي يصعب عليها فهمها.

* * *

# اصدعوا بالحق

إذا كنتم وطنيين وأحرارًا فاجهروا في كل مكان وبكل لسان بأن الفساد ساد في الوطن العربي. انظروا إلى مستقبل الأجيال المقبلة واصدعوا بالحق، حتى لا يصبح الوطن عرضة للهدم والفساد اللاأخلاقي.

❊ ❊ ❊

# الفساد

علينا إصلاح أخطاء الماضي لبناء الحاضر والمستقبل، وأول الأخطاء الفساد الاجتماعي الذي عمَّ، وأصبح داؤه يستشري في أوصال الأجيال المقبلة، ليكون سوقًا مفتوحة لهيمنة الجرائم المنظمة وارتفاع نسبتها.

صحيح أن الفساد يعم كل بلاد العالم، وأن المشاكل تأتي من الفقر والبطالة والأمراض وقلة الموارد الطبيعية في كثير من دول العالم، لكن المشكلة الأخطر تكمن في تصنيع السلاح والمتاجرة به في الأسواق العالمية. وذلك ما أسسته النظريات الفكرية، وحققته العقول العلمية. وليت تلك الأموال الطائلة كانت مكرسة لخير الشعوب وخير البشرية جمعاء.

❊ ❊ ❊

# ضعف في ضعف

غريب جدًّا أن يجترئ أحد على تقسيم الدين الإسلامي إلى طوائف ونحلٍ ما أتى الله بها من سلطان. فيقول: سني وشيعي ووهابي، وكأن الدين يتبع أشخاصًا أو كلمات أو رموزًا بشرية. إن منتهى الجهل أن نقيس الدين بمقاسات تناسب البعض، فما هذا الهراء الذي بتنا نسمعه بقوة في هذا الزمن. كلٌّ يريد أن ينتصر لأحزاب وطوائف سموها من عند أنفسهم. وإذا عرفنا معنى الإسلام وأركانه وشروطه وعملنا بهدي سيدنا محمد ﷺ، وأدينا الشعائر التعبدية المفروضة، فما لنا وشخصنة الدين فنحن نعبد إلهًا ولا نعبد أشخاصًا.

وقد قال أبو بكر "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". ما هذه الأحدوثات السخيفة التي يزرعها فينا أعداء الإسلام، لتكون إرثًا عقائديًا على مر الأجيال والعصور.

يقول رسولنا العظيم، عليه أفضل الصلاة والتسليم "من رغب عن سنتي فليس مني". فمن الجهل أن نعتنق مذاهب، ونتشدق بالانتماء إلى طوائف، ونتعصب لها دون وعي منا بأن تلك الانتماءات العرقية والمذهبية والطائفية والحزبية بين المسلمين لا تعدو كونها في المفهوم الشرعي اجتهادات خاصة، منها المصيب ومنها المخطئ، ومنها المنحرف والضال. فكيف لا نفهم وبين أيدينا كتاب لا يأتيه الباطل، ولدينا سنة محمد عليه عاطر الصلاة والسلام. إن الذين يقسِّمون دين الإسلام إلى نحَلٍ ومذاهب وطوائف وأحزاب، ويريدون

أن يفسروا الدين حسب أهوائهم وعنادهم وصلفهم، إنما يسيئون إلى أنفسهم قبل أي شيء آخر، ويلبسون أنفسهم لباس الهزيمة والفرقة والشتات. أليس فينا عقل رشيد يرى كيف استعان بنا الأعداء لضرب بعضنا ببعض فأصبحنا نقتل بعضنا بعضًا، ونمتهن كرامات بعضنا، ووصلنا إلى أدنى مستوى الضعف. ولم يظهر في هذا العصر من يزهد في الدنيا الفانية فنزهد معه، ونؤثر عبادة الله ومنفعة عباده، ويكون الإيثار خليقتنا. وتبًّا لأمة لا تتعظ، وتتصارع على التوافه ولا تعتني بقراءة تاريخها الإسلامي المشرق بالحق والعدل. إننا نعيش مذلة الوقت، ونكابر ونجادل بغير الحق، في أمور شخصية عفا عليها الزمن.

ونرويها أحداثًا لن يعيدنا إليها أحد بل إنها تبقى في خزائن التاريخ العلمية والأدبية والدينية، وحاصد ما زرع. إن لدينا من المهمات التي تعترض حياتنا ما يجعلنا نحاول أن نجتهد في لم شتات المسلمين في كافة أقطار المعمورة، عبر الإحساس الصادق والتوجه السليم لمعالجة قضايانا. ولكن (لقد أسمعتَ لو ناديت حيا).

* * *

# وفاة الأمة

نعى إليكم وفاة الأمة العربية جمعاء. وقد كان سبب الوفاة داء الظلم وداء الفقر وداء الذل وداء الغدر والنهب والسلب والكذب وتزييف الحقائق.. وستتم الصلاة عليها في مسجد المضطهدين، وسيتم دفنها في الغابرين.. ولا يوجد عزاء لعدم وجود معزين متقبلين للعزاء.

رحم الله الأمة العربية. قبـل ألف وأربعمائة سنة ونيف كانت موجودة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

# موت العرب السريري

كانت حياتي سياحة في عوالم التجارب الإنسانية. رأيت فيها ألوان الطيف ولم أجد الأبيض، لون صباحاتي المغردة على غصون الربيع. آه لقد غبت كثيرًا عن نفسي، إلى أن عدت إليها وعادت إلي. أيها المحبون أو الكارهون سأفسح لكم الزمان والمكان وأترك لكم ولائد أفكاري، تناجيكم أملًا يستشرف قوادم الأيام الضاحكة بأريج الحب والسماح والخير والعفو والعافية. فلعلكم تستقبلون ربيعًا أحلى من صيفنا وخريفنا. فنحن سعدنا بالماضي وتعبنا بالحاضر الدامي الذي نحاول تضميد جراحاته، ولكنه عصي على العلاج والشفاء أيها الأحباء، أيها الكرام، أيها الأعزاء، أيها العلماء والمفكرون والأدباء والشعراء والفلاسفة والحكماء.

أيها الطيبون الصادقون المبدعون أيها الساهرون على خديعة الوقت وبلادة الحس واقتناص سوانح الحظوظ سأقول لكم سرًا إن المسافة بينكم وبين تحطيم جدار برلين هي نفس المسافة التي يعاد فيها بناء سد مأرب، وإن قراءة أخطاء أوروبا وأمريكا العلمية والسياسية والأدبية والفكرية أهم من قراءة كتب الريادات العلمية على كافة وجوهها ومضامينها. يومًا قيل لنا ونحن في شرخ الشباب إننا سنكون من المشاركين في صنع الحضارة الإنسانية، وكتابة التاريخ العربي الجديد، فحلمنا كالأطفال الذين ينتظرون فرحة عيد الفطر وعيد الأضحى ولم تلبث تلك الأعياد أن تأجلت. والمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية تحولت إلى المشاركة في العصابات العدوانية ضد الإنسان في كل مكان، وكتابة التاريخ العربي أحجم عنها كل الفاضلين والنابغين

والمتخصصين والعارفين، خجلًا من هزائم الجهل المحيط بكل إحباطاتنا ويأسنا وتقاعسنا وفسادنا وعدواننا على بعضنا البعض. كنت أظن أننا أمة فإذا بنا غمة.. وكنت أظن أنني وحدي من يتوهم الضياع والموت السريري للعرب والمسلمين، فاطمأننت اليوم أن ما حسبته وهماً في الماضي هو حقيقة العصر وأهله.

❊ ❊ ❊

# كيف يطيب لنا؟

علينا كيف يطيب لنا أن نضحك ونلهو، وإخواننا وأهلنا في سوريا يقتلون ويسجنون ويعذبون أمام مرأى العالم الذي يدعي رعاية حقوق الإنسان. العالم المتقدم يدعي الحضارة ويسوغ لنا كلمة الحرية، والحرية ما هي إلا شعار سياسي لإنهاك الشعوب العربية اقتصاديًا وسياسيًا. إنهم ينادون بعدم التدخل في شؤوننا فيما بوارجهم تذرع البحر جيئة وذهابًا، كيما يحكموا الخناق علينا من كل جانب، وكيما نكون الزنوج العرب أو العبيد العرب فبالله متى ننتصر لبعضنا البعض. إن من أهداف الدول الكبرى خلق الشقاق والفرقة والعداء بين أبناء الأمة العربية محليًّا وإقليميًّا.

أيها الأحبة، لنتفهم حقيقة أعداء الإسلام، ولنلتف حول بعضنا البعض، وننبذ الفرقة والعنصرية والقبلية، ونحاول جمع شتات بعضنا، ولو بالتضامن الوجداني الذي يؤسس للاجتماع والإيثار. وإننا في مركب واحد، وإن الإرهاب ليس سوى إرهاب الدول العظمى للحملان الوديعة. فمتى نحس أننا أحوج ما نكون إلى بعضنا بعضًا، لكي يعيد أعداء الإسلام والحرية حساباتهم ويعترفوا بحقوق الشعوب المضطهدة.

أيها الأحباء، إن لم نفكر في إشغال الدول الكبرى بقضايا عالمية أخرى فلن يتركونا وشأننا ففكروا، قرروا، خططوا، وتدبروا ولا تتدابروا، ولا يقل أي منكم كما قال اليهود لموسى "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون".

***

# سيمفونية الغنم للموسيقار العالمي الكندي

معععأأأأ مااااعاأأأ معععأأأ

الراعي: تعا تعا.. سكسك سك

الغنم: معععأأأأ مااااعاأأأ معععأأأ

الراعي: تعا تعا.. سكسك سك

الجزار: الذبح السلخ

الراعي: الطبخ الطبخ

نأكلهم أكلْ

الغنم: معععأأأأ مااااعاأأأ معععأأأ

الراعي والجزار: الأغنام تتظاهر وتعلن رفضها للذبح والظلم والفقر والمرض والرشوة.. واستبداد القضاء.

الراعي للجزار: اذبحهم

الجزار: كم أنت ستذبح منهم فهُمُ بالآلاف

الراعي: اذبحهم لنعيش على أشلاء الموت

الجزار: أرى الأغنام تكشر عن أنياب الثأر

الراعي: اذبح منهم سيخاف الكل

الجزار: أخشى من حد القرن

وأخشى من حشد الحشد

الراعي: ماذا نفعل في الأمر

الجزار: نعطيهم برسيمًا وشعيرًا وبذورْ

نسقيهم من ماء ممطورْ

فالظلم إذا ما جرح العدل يثورْ

الراعي: إفعل ما كنت تقول

الأغنام: معأأأأ مااااعععأأأ معععأأأ

الراعي: لم ينصاعوا... لا شيء إذًا يجدي

وأرى الأغنام اتحدت كالأسْدِ

الجزار: فلنهربْ من هذا الهول إذن ولنستنجدْ بالغربْ

أسرع هيا قبل فوات الوقت

ويحك أسرعْ، كلُّ الأغنام تطاردنا

إحذر إدفع إمسك إذبح إسلخ...

لا يجدي شيء لا يجدي..

أغنام الأمس قد انتصرت لجميع الأغنام العزَّلْ

قد صحَتِ الأغنام وضجتْ واليوم تثور على الظلم

من يحكمُ فليحكمْ بالعدلْ

* * *

## قنبلة موقوتة

يبدو الناس وكأنهم خارجون من عنفوان الصمت. الكل يكتب ويقول ويخبر وينتقد ويعظ ويدعو ويشجب ويستنكر ويطالب. الكل ساهون في غيابة الجب عن نسائم الحياة. لو تعلمون أن الصمت والإرهاب والخوف والجور والقهر والظلم هي مقدمات القنبلة البشرية الموقوتة التي ستنفجر لا محالة في أجسام الموغلين في الظلم والطغيان، ويحسبون أنهم منيعون في حصونهم.

* * *

## كرمني العصر

ليس لدي ما أخاف عليه، فشعاري لا إله إلا الله محمد رسول الله. ومجدي نلته في حياتي، وقد كرمني العظماء من أهل عصري، فلست بحاجة إلى تكريم الجهلاء.

* * *

# معانــاة الفنان

لا تجعل حياتك مرتبطة بأديب أو شاعر، فهو نسيج مختلف يصيب من لا يعرف اختلافاته بالملل والضيق. فهو يعيش في عزلة ويخلو إلى نفسه مصاحبًا التأمل القلق والمجاهدة على استنطاق المجهول. وإما أن تلتمس له العذر في تقلباته المزاجية أو ترحل عنه. فهو كائن يصطنع لك من تقلباته المزاجية عقلانية الوجود وعذوبة الحياة، ويشعل لك الظلماء نورًا تبصر به حقيقة الأشياء، ويفتح لك أبواب المغلق والمستحيل. وهو من احتبس عقله وقلبه في سبيل الحياة. يجعل من ألمه شفاء للآخرين، ولكنك تظنه أسعد إنسان. وهو المعذب بفكره وقلبه، فلا تصاحب فنانًا إذا لم تدرك حقيقة معاناة الفنان.

❊ ❊ ❊

# عورات

هل نمتم أيها الأحباء عن عورات الوقت؟ أيكون الجنس هو آخر تطلعاتكم الروحية. دعونا نتساءل عن الرغبات والأمنيات. دعونا نعرف من نحن في هذا الكون.

❊ ❊ ❊

# رفقا أيها الزمن

أرجوك أيها الأمل أن تحتفي بالزهور من أبنائنا الشباب والشابات. أرجوك أن تخلصهم من كوابيس الهموم وآلام الخصوم. املأهم بالحب والعزيمة، وهبهم القوة على مجاهدة الرزق، واغنهم عن الحاجة والسؤال، فظروف العصر أصبحت مكلفة، والعيش أصبح محاطًا بهالات من التغير، وحالات من اقتناص الفرص، على حساب الضعفاء. والكفاءات لم تعدْ ذاتَ قيمة إلا عند الغربيين الذين يحكمون العالم ويتحكمون في مصائر الشعوب وأرزاقهم وثرواتهم. أرجوك وأتوسل إليك أيها الأمل أن تنظر إلى هؤلاء الشباب وأن تمنحهم الفرص ليعيشوا سعداء أعزاء. فالمستقبل لا يبشر إلا بالانحطاط الأخلاقي والتشرد والتسكع على أبواب الفاقة والعوز. أرجوك أيها الأمل، أرجوك أيها الأمل، أرجوك أرجوك، فأولادنا فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض.

* * *

# أخاف منك عليك

أنا الطائر الغريب والعاشق الحبيب. دعني أحبك بذكائي لا بغبائك. دعني أحسك فرحة أيامي لا نقمة الوداع. على مشارف الرحيل تبدأ أولى همساتي لأقول لك إني لا أحب الجراح. وأبغض البغض وأتلمس بقايا العمر في هدأة الحمأ الكوني. مللت من أن أداريك على وقع هموم الصبر. أرفض أعذار الصلف الممتلئ بالحقد. كن بعض تاريخي العظيم. كن إلهامي حين تنبثق أعياد الفجر على محيًّا الربيع. أسرفت على نفسك في وهم امتلاكي، فأنا أكره أن أكون أحد مقتنياتك الموضوعة على زجاج أحلامك. أرجو أن لا تحطم نفسك على أعتاب براءتي، لتعود وتلقي باللائمة على بدور أيامي، وتتوهم أنني كنت البادئ في قطع شرايين العمر. آه منك وعليك، حين أكون بداياتك وتكون نهاياتي. آه من صبري على اغتراب روحك، فأنا أخاف منك عليك.

❊ ❊ ❊

# البسمة الشحيحة في مصر

هذه سطور في إطلاق أول مبادرة نفسية في مصر.

- ماذا لو استمرت الأوضاع السياسية كما هي الآن لفترة طويلة.. وماذا لو استمرت الأوضاع الاقتصادية على وضعها الراهن لفترة أطول؟.. ماذا لو استمرت حكومة وسلطة ونخبة أقل من مستوى الشعب.. وماذا لو لم يعجل الله بالفرج القريب؟ هل يموت المصريون من القهر النفسي؟ هل يتوالى شهداء الحب لهذا الوطن مرضًا وكمدًا؟!

- يقول علماء النفس إن المصريين فقدوا سمات كانت فيهم لآلاف السنين، ماتت الضحكة وغابت البهجة، وأصبحت البسمة شحيحة بين الناس. لم تعد هناك قفشات ولا نكات، ولا ممتعون ولا حكاؤون. بل أصبحت مجالسهم بمعظمها صالونات لإدارة النكد!

* * *

# إلهــي

إلهي أحبك بفطرتك لا باكتسابي، وأطيعك بقدرتك لا بقدرتي، وأعصيك بضعف نفسي الأمَّارة بالسوء، وعلمي بحلمك أطمعني برحمتك، وغفرانك ألزمني طلب عفوك. أنت تعلم أنني عبدك. لك ما تشاء بقدرتك الأزلية، التي لا يعلم خيرها وشرها إلاك. والخطيئة شرف حين يخطئ العبد ويتوب. إننا لو لم نكن مخطئين لما عارضنا مشيئتك، فكنَّا كالشيطان الذي كابر على أمر ربه وخرج من رحمته إلى هلاكه الأبدي. ولكننا نخطئ لنرى نقصنا، ونرى كمالك على مخلوقاتك. أفأنت معذبنا يا مولاي بكل نقيصة فينا، لك أمرها ولنا فعلها؟ نرتكبها على علم بجهلنا وعلم بعلمك ضعفنا وقلة حيلتنا. إن في معصيتنا طاعتك. إذ أردتنا خطَّائين وأردتنا مستغفرين.

ها نحن نخطئ كي نستغفرك. فقوتك لا تعادل ضعفنا، وفضلك لا يقابل جحودنا، وكرمك لم يداخله بخلٌ يمنع عطاءك. ومن كمال عظمتك وكبر ذاتك أنك جعلت الحياة والموت والرزق منك إليك وعليك ولديك. وإلا لأسرف الخلق ظلمًا على بعضهم البعض. فاعفُ عمن تَعلمُ أنهم الخطَّاؤون المستغفرون. أنت أعظم من أن يقف أمامك مذنب، وتعلم أنه مذنب بضعفه فتؤاخذه، لأن عفوك ورحمتك ورضاك أكبر من المعاصي والذنوب. يا ربُّ، ليس عندي من شيء أقوله لك إلا أنني عبدك الضعيف المذنب الحقير الفقير إلى رحمتك. ارحمنا ضعفاء، جهلاء، فقراء، عصاة، حفاة، عراة وقانطين إلا من رحمتك. أقسمت عليك يا الله بعلمك المكنون في سر ملكوتك، أن تجعلنا خالصين مخلصين لك، ويكون رضاك عنا وعلينا هو رضانا منك.

❋ ❋ ❋

# السيرة الذاتية للأديب
# الشاعر الدكتور عبدالله محمد باشراحيل

**الاسم** : د/ عبد الله محمد صالح باشـراحيل

**الجنسيـــة**: سعـودي

**مكان الميلاد**: مكـة المكـرمـة

**تاريخ الميلاد**: ١/٧/١٣٧٠هـ الموافق ٨/٤/١٩٥١م

**المهنة**: رجل أعمال ـ ومستـشار قـانـونـي

**المنصب الحالي**

- رئيس مجلس إدارة مجموعة الباشراحيل الانمائية.
- رئيس مجلس إدارة مستشفى الشيخ محمد صالح باشراحيل.
- المشرف العام على فروسية مكة المكرمة.
- عضو مجلس إدارة مشروع الزواج الخيري بمكة المكرمة.
- عضو مجلس إدارة نادي مكة الثقافـي الأدبـي.
- عضو اتحاد الأدباء المصريين اليونانيين.
- عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهـرة.
- عضو بالجمعية السعودية للأطفال المعوقين.
- عضو جمعية رعاية الأيتام بمكة المكرمة.
- عضو مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.
- عضو المجلس التأسيسي بشركة جدة القابضة.

- عضو جمعية البر بمكة.
- عضو شرف الهيئـة العليا للحياة الفطرية.
- عضو مؤسـس بالجمعية العمومية للتعليم الإسلامي برابطة العالم الإسلامي.
- عضـو شـرف نادي الوحدة الرياضي بمكة المكرمة.
- صاحب جائـزة الشيخ محـمد صالح باشراحيل (يرحمه الله) للثقافة والإبداع. وجائزة الشاعر عبدالله محمد صالح باشراحيل للثقافة والإبداع للشباب بجامعة المنيا.

وجائزة مركز الإسكندرية للإبداع باسم (الشاعـر الدكتور عبدالله باشراحيل للأدباء الشبان) العضوية الشرفية للجمعية العلمية السعودية للأدب العربي.

**المـؤهل العلمي** : درس الحقوق بالقاهرة ثم منح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان.

**التخصص** : رجل أعمال ساهم في تقديم بعض المشاريع الوطنية والتجارية مع والده وإخوته. شاعر وأديب.

**الإنتاج الأدبي : صـدر له خمسة وعشرون ديـوانًا شعريًا وخمسة كتب نثرية هـي :**

**الأول** ديوان (**مـعـذبتـي**) سنة ١٩٧٨م ـ ١٣٩٨هـ في القـاهـرة

**الثاني** ديوان (**الهـوى قـدري** ) سنة ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ في تـونـس

**الثالث** ديوان (**النبع الظامئ**) سنة ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ في جـــدة

**الرابع** ديـوان (**الـخـوف**) سنة ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ فـي جـدة

**الخامس** ديوان (**قناديل الريح**) سنة ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ فـي بـيروت

**السادس** (**قلائد الشمس**) قصيدة مترجمة إلى الإنكليزية والفرنسية موجهة إلى مثقفي أمريكا ردًا على بيانهم إلى المثقفين العرب. سنة ٢٠٠٢ في بيـروت

**السابع** ديوان (**أقمار مكة**) سنة ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ فـي بـيـروت

**الثامن** ديوان (**سيوف الصحراء**) سنة ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ في بيـروت

التاسع ديوان (**بـوح النسايـم**) سنة ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ في بيـروت

العاشر ديوان (**كهـوف الوهم**) سنة ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٣ هـ في بيروت

الحادي عشر ديوان (**وحشة الروح**) سنة ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ في بيروت

الثاني عشر ديوان (**أبجدية قلب**) سنة ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ في بيروت

الثالث عشر ديوان (**مدن الغفلة**) سنة ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ في بيروت

الرابع عشر ديوان (**المصابيح**) سنة ٢٠٠٤ م ـ ١٤٢٤ هـ في بيروت

الخامس عشر ديوان (**بماذا تتنبأ يا صديقي**) سنة ٢٠٠٤ م في بيروت

السادس عشر ديوان (**بيت القصيد**) سنة ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ في بيروت

السابع عشر ديوان (**الجراح تتجه شرقا**) سنة ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٥ هـ في بيروت

الثامن عشر ديوان (**المـرايا**) سنة ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ في بيروت

التاسع عشر ديوان (**أنفاس الورق**) سنة ٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦هـ في بيروت

العشرون ديوان (**البرق الحجازي**) سنة ٢٠٠٨ م ـ ١٤٢٩هـ في بيروت

الحادي والعشرون (**عمرٌ بلا زمن**) سنة ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ في بيروت

الثاني والعشرون : ديوان (**صباح**)سنة ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ في بيروت

الثالث والعشرون : ديوان (**عصر الشعوب**) سنة ٢٠١٣م ـ ١٤٣٤هـ بيروت

الرابع والعشرون : ديوان (**لمع وومض**) خواطر فلسفية ٢٠١٣م ـ١٤٣٤هـ بيروت

الخامس والعشرون : ديوان (**شموس مظلمة**) سنة ٢٠١٥م ـ ١٤٣٦هـ بيروت

السادس والعشرون : **اللآلئ** (شعر ونثر) سنة ٢٠١٧م ـ ١٤٣٨هـ بيروت

كما صدرت لـه مجموعة كتب بيانـها كالتالي :

كتاب (**أصداء الصمت**) مقالات نقدية سنة ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ بيروت.

مُؤلَّف (**توقيعات**) مجموعة حكم فلسفية ٢٠٠٢م بـبـيروت.

كتاب (**صدى الصمت الصدى الثاني**) بيروت ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ.

كتاب (**أحاديث الأحداث**) مقالات نقدية وفلسفية سنة ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ في بيروت.

كتاب (**خريف الفكر**) مقالات نقدية وفلسفية سنة ٢٠١٣م ـ ١٤٣٤هـ في بيروت.

كتاب (**شذرات : نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع**) سنة ٢٠١٧م ـ ١٤٣٨هـ بيروت

**المترجم :**

ترجمت له كتب وطبعت باللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية ٢٠٠٥ بيروت.

وكذلك صدر ديوان (قناديل الريح) باللغة الإنكليزية في بيـروت.

أيضًا ديوان (قنـاديل الريح) باللغة الفرنسية في بيروت.

وترجم ديوان (المصابيح) إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية عام ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ بالمغرب.

وطبعت له مختارات من قصائده باللغة الفرنسية.

تـرجم بعض من شعـره إلى اليونانية.

**صدرت بعض الدراسات في شعره منها ما يلي :**

- (الجملة المثبتة في وطنيات الشاعر عبدالله محمد باشراحيل) للدكتور زين الخويسكي.
- دراسات في الأدب السعودي، للباحثين الدكتور عباس عجلان والدكتور عبدالله سرور.
- شعراء من مكة المكرمة دراسات في الأدب، للدكتور محمد مصطفى هدارة.
- دراسات وآراء في ديوان (النبع الظامئ)، تقديم الدكتور محمد مصطفى هدارة، صدر عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية.
- (جدلية الواقع والمتخيل) قراءة في ديوان (قناديل الريح) للدكتور محمد بن مريسي الحارثي.
- (شعر عبد الله باشراحيل الدلالات الفنية والإنسانية) للدكتورة تغريد الشيخ.
- (الذات الإبداعية المنكسرة والانبعاث) دراسة في شعر عبدالله باشراحيل للدكتور إدريس بلمليح.

- (الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل) للدكتور عبد الله بنصر العلوي.
- (في مغاصات لآلئ باشراحيل) عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي.
- (الالتزام الإنساني في شعر عبدالله باشراحيل) الدكتورة إيمان بقاعي.
- (مختارات من شعر عبدالله باشراحيل) اختارها الأستاذ عبد الله جبر.
- (المعنى والمضمون في شعر عبد الله باشراحيل) للأستاذ الناقد / عهد فاضل.
- (من الخيال إلى ما بعد الخيال عند عبدالله باشراحيل) للدكتور إدريس بلمليح.
- (زمن النقد الأدبي) آراء نقدية في شعر عبدالله باشراحيل لكبار الادباء والكتاب.
- (صورة الحبيب بين المقدس والدنيوي في شعر عبدالله باشراحيل) مجموعة دراسات لكل من د/عبد السلام المسدى أ/جورج جرداق وأ/عهد فاضل ود/محمد نجيب التلاوي ومجموعة كبيرة من دكاترة جامعة المنيا حيث قدمت في ندوة علمية خصصت له.
- (الرثاء في شعر باشراحيل) دراسة أدبية للشاعر محيي الدين صالح.
- دراسة باللغة الانجليزية بعنوان (Images of Women in Abdullah's Poetry) للدكتورة/فاطمة صديقي.
- دراسة باللغة الفرنسية بعنوان (CRISE DU SUJET ET EVEIL DE LAME) للدكتور/خالد حادجي.
- (قصائد مختارة) من دواوين الشاعر عبدالله باشراحيل اختارها وقدم لها عهد فاضل.
- (الأوزان والقوافي في ديوان عبدالله باشراحيل "المرايا") للأستاذة سهام مزياني تحت إشراف الدكتورة لويزة بولبرس.
- (واحات الضوء مواقع الإنسان في ديوان "قناديل الريح" للشاعر عبدالله باشراحيل) للدكتور إبراهيم المزدلي.
- (الشعر السعودي المعاصر تجليات العروبة في شعر عبدالله باشراحيل) للدكتور مصطفى عبد الغني.
- (الرؤية والتشكيل في ديوان قلائد الشمس... إلى مثقفي أمريكا للشاعر عبدالله باشراحيل) للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل عمار.

-(عبدالله باشراحيل ـ صناعة وردة الشعر من عطر مكة) دراسة جمالية للناقد الأستاذ نعيم مهلهل.

- (قراءة في شعر د. عبدالله محمد صالح باشراحيل) للأديب الأستاذ علي خضران القرني.

- (العروبة والإسلام في شعر عبدالله باشراحيل) رسالة الماجستير للباحث أنس عبدو الحموي وحصل على الماجستير بها بدرجة الامتياز في كلية الآداب بجامعة طنطا بمصر.

**الأوسمة والتكريمات والشهادات التقديرية.**

ـ حصل على وسام الأرز برتبة فارس من فخامة الرئيس إميل لحود رئيس دولة لبنان السابق ٢٠٠٤م.

ـ تم تكريمه في حفل كبير باليونان حضره نخبة كبيرة من الدبلوماسيين العرب والمثقفين والأدباء والسفير السعودي عبد الله الملحوق.

ـ تم تكريمه في جامعة المنيا عام ٢٠٠٣م بحفل حضره رئيس الجامعة الدكتور / عبدالمنعم البسيوني ومعالي محافظ المنيا اللواء /حسن حميده. كما أقيمت ندوة علمية في شعره بنفس الجامعة ومنح درع الجامعة لتميزه الإبداعي ودرع محافظة المنيا.

ـ تم تكريمه في مركز الإسكندرية للإبداع في حفل قيل فيه ما كتبه عنه أهم الكتاب والنقاد العرب.

ـ حصل على كأس مركز الإسكندرية للإبداع للعام ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ .

ـ شهادة تقدير من مكتبة الإسكندرية لمشاركته فيها ببعض دواوينه الشعرية وكتبه النثرية.

ـ تم تكريمه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ـ حاصل على دروع تكريمية في معظم الأنشطة الإنسانية والوطنية بالمملكة وغيرها.

ـ تلقى عددًا كبيرًا من الخطابات التقديرية من ملوك ورؤساء بعض الدول العربية بالإشادة بشعره العربي الأصيل.

ـ قدم له الرئيس عبد العزيز بوتفليقة خطاباً بمثابة دراسة عن شعر الشاعر عبدالله باشراحيل في ما صدر له في السابق حتى العام ٢٠٠٣، ووضعها الشاعر مقدمة لديوانه وحشة الروح.

- كما تلقى عدداً كبيراً من خطابات التقدير من الرؤساء الأوروبيين والأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان وبعض السفراء للدول الأوروبية والأمريكية وعلى سبيل المثال خطاب السفير الأمريكي برده على قصيدة (قلائد الشمس) للشاعر عبد الله باشراحيل واعتبرها نموذجاً لحوار الحضارات.
- كما أشاد الرئيس شيراك رئيس دولة فرنسا السابق وعبر عن ثنائه الشديد على القصيدة.
- تم تكريمه بمهرجان المتنبي الشعري العالمي السادس في سويسرا المقام في الفترة من ١٣-٢٠ مايو ٢٠٠٦ م تحت رعاية المركز الثقافي العربي السويسري.
- تم تكريمه في مهرجان الشعر العالمي بمديين – بدولة كولومبيا عام ٢٠٠٧م، وهو الوحيد الذي قابله الرئيس الكولمبي "ألفارو أوريبي فاليز" من بين أربعمائة وثمانين شاعرًا عالميًا بعد قراءة قصيدة قلائد الشمس.
- تم تكريمه بمهرجان الرواد والمبدعين العرب بدمشق دولة سوريا عام ٢٠٠٨م ، تحت رعاية الرئيس السوري بحضور معالي وزير الثقافة السوري الدكتور رياض نعسان أغا نيابة عن الرئيس وتسلمه الدرع التكريمي وشهادة تقدير.
- حصل على وسام (العلم والآداب والفنون الذهبي) من فخامة الرئيس عمر حسن أحمد البشير رئيس جمهورية السودان في عام ٢٠١١/٩/٢م.
- منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الأدب العربي من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان في ٢٠١١/١٠/١م.
- قلد وسام التميز للكشافة وربطة العنق الكشفية من جمعية الكشافة السعودية بمكة المكرمة ٢٠١١م.
- حصل على الوسام الذهبي لجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب العربي ودرع الجامعة التقديري من معالي رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور السرغيني فارس، وذلك لعطائه المتميز في شعره العربي الأصيل وإنه أحد الشخصيات العربية الفعالة التي انفتح وعيها على قضايا أمتها وانفتحت شاعريته على مساءلة الواقع الحضاري في تحدياته وتحولاته في ٢٠١١/١٢/٢٠م، في حفل تكريمي كبير بقاعة كلية الطب والصيدلة بفاس حضره عدد من الدبلوماسيين العرب وأساتذة وعمداء الكليات بالجامعة وجمع من طلبة وطالبات الجامعة وعدد من النقاد والشعراء والمثقفين المغاربة.

- قلد وسام كلية الآداب بجامعة طنطا بجمهورية مصر العربية بقاعة قسم اللغة العربية من عميد الكلية الأستاذ الدكتور خالد الفخراني تكريمًا له على عطائه المتميز لما قدمه من دواوين شعرية هي من روائع وعيون الشعر العربي الفصيح بما تحمله من معانٍ ومضامين وصور تعنى وتعبر عن هموم الأمة العربية والإسلامية التي دافع عنها بقصائده القوية والقومية في كل المحافل الدولية لما تتعرض له أمته العربية والإسلامية من زرع المشاكل والمكائد لعدم توحيد الصف العربي، وهذه الدواوين والنصوص العربية الأصلية كانت بمثابة الأرض الخصبة لينهل منها الدارسون والباحثون في الشعر العربي الأصيل في ٣١/١٠/ ٢٠١٦م.
- تم تكريمه تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله من وزير الثقافة والإعلام الدكتور عادل الطريفي بالرياض خلال حفل افتتاح مؤتمر الأدباء السعوديين الخامس ومنحه درع الشكر والتقدير لعطائه وتميزه في الشعر العربي الأصيل في ٢٧ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ٢٠١٦م.
- كرمه أهالي مكة المكرمة ونادي مكة الثقافي الأدبي في حفل كبير يوم ١٩ جمادي الأولى لعام ١٤٣٨هـ الموافق ١٦ فبراير ٢٠١٧م بمزرعة الأصدقاء بمكة، وذلك بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية لتميزه في الشعر العربي الأصيل. وتم عرض فليم وثائقي عن الشاعر وأعماله وإنجازاته خلال برنامج حفل التكريم، أعدته وأخرجته وكالة ماب نيوز الإعلامية.

**مشاركات في مهرجانات الشعر الدولية.**

- شارك بأمسيات شعرية عديدة بمهرجان المتنبي الشعري العالمي السادس في كل من زيورخ وبيرن وبازل وجنيف ولوكانو بسويسرا.
- شارك بعدة أمسيات مهرجان الشعر العالمي بمديين – بدولة كولومبيا عام ٢٠٠٧م.
- حظي بشرف مقابلة الرئيس الكولومبي "ألفارو أوريبي فاليز" عقب انتهاء مشاركته بالمهرجان - وتحدثا حول أهمية التعاون العربي الكولومبي المشترك في العديد من المجالات، وأثنى الرئيس على قصيدة (قلائد الشمس) الموجهه إلى مثقفي أمريكا - في ختام المقابلة أهداه باشراحيل ديوانه "المصابيح" المترجم للإنجليزية والفرنسية وقصيدته "قلائد الشمس" في ترجمتها للأسبانية والإنجليزية والفرنسية.
- شارك في مهرجان "جرش" للشعر بالأردن عام ٢٠٠٧م.

**الاهتمامات الأخرى والأنشطة :**

- **له صالون أدبي بمكة المكرمة سماه باسم (منتدى الشيخ محمد صالح باشراحيل (يرحمه الله) الثقافي).**

يقيم الندوات العلمية والأدبية والأمسيات، يهتم بإصدار الكتب لأهم الكتاب والنقاد والكتب العلمية والدراسات الإسلامية والثقافية.

- **أنشأ جائزة عربية** تمنح للأدباء والمثقفين العرب أطلقها باسم والده **(جائزة الشيخ محمد صالح باشراحيل (يرحمه الله) للإبداع الثقافي).**
- **أنشأ جائزة بجامعة المنيا** باسم (الشاعر عبد الله محمد صالح باشراحيل للثقافة والإبداع للشباب) على ثلاث مستويات:

  ١- جائزة مبدعي محافظة المنيا.

  ٢- جائزة مبدعي جمهورية مصر العربية.

  ٣- جائزة مبدعي الوطن العربي.
- **أنشأ مسابقة بمركز الإسكندرية للإبداع** تحت رعاية وزارة الثقافة باسم (جائزة الشاعر الدكتور عبد الله باشراحيل للأدباء الشبان).

**العنوان البريدي** : المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة ص ب ١٥٧٦ رمز بريدي ٢١٩٥٥

**المكتب الخاص هاتف** : مكتب ٩٦٦١٢٥٢٧٥٤٢٥+ أو ٩٦٦١٢٥٢٧٥٤٢٨+

فاكس : ٠٠٩٦٦١٢٥٢٧٥٤٣٤

**البريد الإلكتروني** dr_bashrahil@hotmail.com

# المحتويات

## نفسٌ بلا ضغينة

ما زلت أبحث في نفسي عن نفس خالية من الضغائن والعداوات، مغسولة بماء الطهر. لا تستبدل فطرة الحب بالكره، ولا تعرف شيئًا اسمه الشر أو الحقد أو الحسد أو الغل.

ما زلت أحاول أن أمحو من عقلي ذاكرة القبح في الكلمة والفعل والحس.

لا أريد أن أرى الجمال الخلقي مشوهًا في رسوم الأشياء، أريد تبديل قواميس اللغات المشوبة بالمعاني الحارقة لنضارة الحياة وثوابت الوجود، إلى معانٍ تحمل الصفاء والبذل والعطاء. أريد تنظيف ملوثات الهواء المحمول بذرات غبار الأسلحة المدمرة والغازات الخانقة. أريد عالمًا روحيَّ الصفات والأشكال والنوايا والأهداف. فنزعة الخير في النفوس هي الفطرة الأم، فلماذا لا نستخرج كنوزها الدفينة فينا، ونتقلد حبات نفائسها عقودًا نطوق بها أعناقنا، وتكون تيجانًا مرصعة بكرائم القيم على رؤوسنا؟ ابحثوا معي في نفوسكم عن نفوسكم الحقيقية. لا عن نفوس مغلولة بالأسى والألم إلى الماء والطين، لا إلى قسوة الحديد ووهج النار. تعالوا نعيش أعمارنا كملائكة النور. تعالوا، ولا تقولوا لا نستطيع. بل أنتم تستطيعون، فقط حاولوا، ابدأوا، جربوا لتعرفوا أن قيمة الحياة أغلى بالحب وأجمل.

ISBN: 978-9953-76-931-8



مطبوعات ومنشورات منتدى
الشيخ محمد صالح باشراحيل (يرحمه الله)
الثقافي بمكة المكرمة

